بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب تمم بالخير

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبا
الاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز
بينهن بفصول وغايات وما هي الا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من
استاثر بالاولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم انشاه كتابا ساطعا تبيانه
قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنياوية مصدقا
لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على
كل لسان في كل مكان افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدي به من
مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة
منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم
عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم
دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر
وان رماهم بماثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف
القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر
فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة على خير من اوحي اليه حبيب الله
ابي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي وذي الفرع المنيف في عبد مناف
بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب في التورية وا
الانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم ان
متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية
ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة
قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت
والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات
من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار
لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها
باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املا العلوم بما يغمر القرائح
وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم
التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن
فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام
وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ

والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم
احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين
بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته
على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد ان يكون آخذا
من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا و
رجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة
منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شانها منتبها على الرمزة وان خفي
مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات
الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه
ولقد رايت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا
الي في تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم
اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل
فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على
علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله و
ركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان
فامليت عليهم مسالة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال
والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا
يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل
بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على
اقتباسه فهز ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة
السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام
الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم
حشى واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاق بقطع
الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستقال
وعيت بي العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب
دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر
ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر
تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي
من بركات هذا الحرم المعظم اسال الله ان يجعل ما تعبت فيه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط

تسعى بين يدي وبيمنى ونعم المسؤول ﴿سورة فاتحة الكتاب﴾ مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة
مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن
التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها
تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية
وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه
على العكس ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قراء المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما
كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله
ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه
الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم
يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس رضي الله عنه من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة
آية من كتاب الله تعالى فان قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان
الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل
وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف
متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء
للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله تعالى فقلت الى الطعام
فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما فان قلت لم قدرت المحذوف متأخرا قلت لان الاهم من الفعل
والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب
ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله
اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجريها ومرسيها فان
قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان
الامر بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق
القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة
حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه بسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل
جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق به تعلق الدهن بالانبات في قوله
تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه
اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن فان قلت فكيف قال الله تعالى متبركا
باسم الله اقرأ قلت هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد
لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه

وكيف

وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف
واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف
وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل
بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي
بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان
دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم عن كل لكنة وبشاعة ولوضعها
على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم
يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسماء
المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه
من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز
بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط
واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي
عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد
العزيز رحمة الله عليه انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله
الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن
على الاناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع
كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل
ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط
والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم
يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله واله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق
من الناقة والحجر فان قلت اسم هو ام صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف
به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا
فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم
موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين
فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله
ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك
كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج
رحمه الله ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر
والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض

وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمان الدنيا
والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج رحمه الله في
الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من
مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل
منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال
فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران
والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة
في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم
في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو عطشان
وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه
بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى
فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض
فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة
ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان
الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة و
القسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما دونه
والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت
لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق
منها ولطف الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه
وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال
افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر
ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة
باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب و
ما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد
نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب
الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم
شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها
مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب

الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع
السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على
معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك
نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف
فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد
من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم
منهم وقرأ الحسن البصري رحمه الله الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم
اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة
تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية
تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل
من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن يقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينمه فهو نم
ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على
التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرأ
زيد بن علي رضي الله عنهما رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين
العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت
لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء
او ما في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ ملك يوم الدين
ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ
ابو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع و
وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك
يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم
كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى
المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن
الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف
ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير
الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر
كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين
ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه
قراءة ابي حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه

المراد بالرب هو المالك

اياك نعبد واياك نستعين

اهدنا الصراط المستقيم

ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله اياك ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت مواده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اي صدر اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم وكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا

قيل هي لغة بني تميم فانهم يكسرون في هذه اللغة ... ما بعدها ... الاستقبال ... الا في الياء ...

القرآن

صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم

القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله رضي الله عنه ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء صلوات الله عليهم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ورويت عن ابن كثير وذو الحال في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية

الى النعمة

اي الافصح ما يثبت الصاد لانه ثبت في مصحف عثمان رضي الله عنه

في التثنية معنى التكرير الا انه جمع بينهما لاختلاف في لفظ كقوله والعجز قولنا

والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد ألفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي عم لقنني جبرائيل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن اصحابه رحمهم الله انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس رضي الله عنهما عن رسول الله عليه السلام وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر رضي الله عنه ان النبي عم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب رضي الله عنه الا اخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليماني رضي الله عنه ان النبي عم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة وهي مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

سبع في عدد البصريين وستة في الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتقى الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحولقة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فتقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسابها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين

قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثيرة من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با وتا وبالتفخيم كقولك تا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يس وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو يس اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددتها فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه الاعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتأتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فتجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان

وبدأت بالحمد لله وفواتح سورة انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم ° احق الخيل بالركض المعار °
وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا ° فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الآخر تنادوا بالرحيل
غدا وفي ترحالهم نفسي روي مضموما ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا و
قال سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ صادَ وقافَ ونونَ مفتوحات
قلت الوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها
بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي
ان بعضهم قرأ ياسينَ ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان
قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعمَ اللهَ لافعلن واي اللهَ لافعلن على
حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة الا رب من قلبي له الله ناصح وقال
الآخر فذاك امانة الله الثريد قلت ان القرآن والعلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك
لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا
تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء في قولك
مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى
فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر
فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخيرة
واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو هذا ولا سبيل
فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت نقدرها مجرورة باضمار
الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع
الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد
عن الصواب ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه
قراءة بعضهم صادِ وقافِ بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر
المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات نحو ملتقى تارة
معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء فان قلت هل يسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة
معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كأنه قيل
اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى
له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة قلت
كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ
كما قال عز من قائل قرآنا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على
صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى

قيل للكاتب اكتب كيف وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك
الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السنن الاسود
والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير
ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن
القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ
وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه
المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط
العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء
هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر
في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم
النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان يأتوا بمثله بعد
المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب
والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت
بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء
مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة
بالقبول بمنزل ولناصر الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم
والعرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول
بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان
اعترضت عليه بانه قول مقول على الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بان لهم محملا سوى ما يذهب اليه وانه
نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول
الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل
باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة
السورة او الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد
من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض على الوجه الاول ان يقول التسمية
بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت
فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية
كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسوية
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك
واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف بمفرد و

المؤلف منها غير المفرد والآخر انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفاً منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم تكن من جملة الاسم والمسمى واحداً حيث كان الاسم مؤلفاً والمسمى مفرداً والوجه الثالث ان تورد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلاً بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصاً بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتابة وتعلم منهم وكان مستغرباً مستبعداً من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسعة وعشرين سورة على عدد حروف التهجي المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز وجل عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت ووقوعاً في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولما اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى

ومذاهب

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه

ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطاً كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيداً والآخر عمراً لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد بآية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئاً منها آية فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلاً الم اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعدودة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئاً احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذكره في معناه مستقيماً مجازاً اجراء لحكمه على المبتدأ في التذكير كما اجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحاً لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري

الذكر فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسماً للسورة ففي التاليف
وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانياً والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو
الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتاباً كما تقول
هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام
خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم
ويكون ذلك خبراً ثانياً او بدلاً على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت
الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة
والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله رضي الله عنه
الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة
الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله عم يقول
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة اي فان كون الامر مشكوكاً فيه مما تقلق
له النفس ولا تستقر وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس
ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفي
الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي ان احداً لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقاً للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان
بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم
في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل
للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في
ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه
ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتاباً آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول
تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا
العيب والنقيصة وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب
الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد
للواقف من ان ينوي خبراً ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز و
التقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل
وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى او في ضلال
مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف اصله
الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون
قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته

كقوله

كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول
رسول الله عم من قتل قتيلاً فله سلبه وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا اراد احدكم الحج فليتعجل فانه يمرض المريض
وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلاً ومريضاً وضالة ومنه قوله تعالى
ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً اي صائراً الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان
فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين
على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلالة
فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضاً فقد جعل ذلك سلماً الى تصدير السورة التي هي
اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم
وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ظلع من غلظ
الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق
به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق
على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين
الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبراً عنه ويجوز
ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقاً في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال
صفحاً وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب
فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها
متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى
معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولاً على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت
بغاية الكمال فكان تقريراً لجهة التحدي وشداً من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة
وتسجيلاً بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض الحكماء فيم
لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحاً وفي شبهة تتضاءل افتضاحاً ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه
يقيناً لا يحوم الشك حوله وحقاً لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد
ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز
الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على
الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكراً والايجاز
في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعاً على اسرار كلامه وتبييناً لنكت تنزيله وتوفيقاً للعمل بما فيه الذين
يؤمنون اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون
او هم الذين يؤمنون واما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولاً
كان الوقف على المتقين حسناً غير تام واذا كان منقطعاً كان وقفاً تاماً فان قلت ما هذه الصفة اواردة

بيانا وكشفا للمتقين ام مسرود مع المتقين تفيد غير فائدتها ام حال على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية
عليه تمجيدا قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسس عليه حال المتقين من فعل الحسنات
وترك السيئات اما الفعل فمنطو تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة
لانهما امّا العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمّى رسول الله عم الصلوة عماد الدين وجعل
الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمّى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار ساير العبادات واستتباعها ومن ثمّ اختصر الكلام اختصارا بان
استغنى عن عدّ الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم يتوقفوا خواته ان يقترن بها مع ما في ذلك من
الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل
ان لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل
ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها
على ساير ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال
امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما
حكى ابو زيد عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة و
كلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان
اي يعترفون به وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غايبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله
الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب
رسول الله وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما امن مؤمن افضل من ايمان
بغيب ثم قرأ هذه الاية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى
الغايب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمّي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب
والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوبها
كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا
فخفف كما قيل قيل واصله قيّل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم
منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع
وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته
حالا كان بمعنى الغيبة فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه
بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو
فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وادابها من اقام
العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا الذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على
صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل

العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه
المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها
وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر
وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبّر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبّر عنه بالقنوت
والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبّح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين
والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة ذلك في
ركوعه وسجوده ونظيره كفّر اليهودي اذا طأطأ راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين
وهما الكافرتان وقيل للداعي مصلّ تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام
بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهلون ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة
لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال
الحلال بالتصدق به وجايز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وان يراد
هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن
يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك
اذا تاملت فان قلت والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط
بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف
زيّابة للحارث الصابح فالغانم فالايب قلت يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه
من الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه
من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واجتماعهم على الاقرار بالنشأة
الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب
والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه اخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام
ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة و
السماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل
ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه فان قلت فاذا
اريد بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا
وكانت صفة المتقين مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين
لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك فان قلت قوله بما انزل اليك ان عني
به القرآن باسره والشريعة عن اخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان
اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سابقه
ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا

وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم

تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغايب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان
ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولهم كل
ما خطب فلان فهو فصيح وما يتكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد به الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه
ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي
تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وان
قولهم ليس بصادر عن ايمان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء
الشك والشبهة عنه والآخرة تانيث الآخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من
الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرأ
ابو حية النميري يؤقنون بالهمزة جعل الضمة في جار الواو كانها فيه فقلب واو وجوه ووقتت ونحوه كقوله
احب المؤقدان الي مؤسى ۝ وجعدة اذا اضاءهما الوقود ۝ اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين
يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون
بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون بان الكتاب
لهم هدى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب
الى ساقته كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي
استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هؤلاء
عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله الانصار
الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف
على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير
مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة
باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته
كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها
على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء
واولئك خبره قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو
اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال
حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش
لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به
شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية
مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو

اللطف

واولئك هم المفلحون ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون

وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد
ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت
رجلا وقال الهذلي فلا واني الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم
ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم
يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها الوجهان وفي تكرير اولئك تنبيه
على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها
عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه
وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران هاهنا فلذلك
دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد
فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده
خبر لا صفة والتوكيد وايجاب فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره
والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة
كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل هو زيد التائب اي هو الذي قد
اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية
فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو
فانظر كيف كرر الله عز من قائل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي
ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم
ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب و
التمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زيننا بلباس التقوى واحشرنا في
زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر
ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب
دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى لما قدم ذكر اوليائه وخالصة
عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره
بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود
الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف
كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين
وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار
من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت
هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام
آخر

في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستيناف
وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة
كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد
بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله
للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر
ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه
على انه خبر لان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم
انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع
الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح
الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى
وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تاكل السمك
وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من
عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا
قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذاك جرى على صورة النداء ولا نداء
ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه
ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب
واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين
وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت
ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام
على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله ولا الضالين
وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج
بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والانذار
التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان يكون جملة
مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء
بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من
غشاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع
وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون
من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص

الى ضمايرها

الى ضمايرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن
الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة
ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك
واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء
ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي
ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه
لحما يحركه لصقر ناقر فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق
والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله تعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص
على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء
ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى
الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم
فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت
الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان
تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به
العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته بحال من طارت به
العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب
الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي
شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز
ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة
تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب
له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها
الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة
راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم
وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة
وناقة ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او
الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب
ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي
عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا
طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم

وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبّر عن ترك القسر والإلجاء بالختم إشعاراً بأنهم
الذين ترامى أمرهم بالتصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حد لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء وهي الغاية القصوى
في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ، وخامس وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة
يقولونه تهكماً بهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره
في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة فإن قلت اللفظ
يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى أيهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله
تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فإن قلت
أي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاماً للقلوب والأسماع في تعدية
واحدة وحين استجد للأسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع
كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك إذا أمن اللبس فإذا لم يؤمن كقولك فرسهم و
ثوبهم وأنت تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع فلمح الأصل يدل عليه
جمع الأذن في قوله وفي آذاننا وقر وأن تقدر مضافاً محذوفاً أي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن أبي عبلة وعلى
أسماعهم فإن قلت هلا منع من حرف الاستعلاء الاستعلاء وهو الصاد قلت لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية
لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين وذلك أعون شيء على الإمالة وأن يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو
ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما أن البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران
لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للإبصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم
والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير
المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول
نكل عنه ومنه العذب لأنه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخاً
لأنه ينقخ العطش أي يكسره وفراتاً لأنه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذاباً وإن لم
يكن نكالاً أي عقاباً يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير
نقيض الصغير وكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والأحداث جميعاً تقول
رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس
وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله اللهم أجرنا من عذابك
ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم
ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً قلوباً وألسنة ثم ثلث بالذين
آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء
ولا إلى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً
وتدليساً وبالشرك استهزاءً وخداعاً ولذلك أنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ووصف حال

الذين

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم
وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صماً بكماً عمياً
وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة
على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم
لا يكاد يقال الأناس ويشهد لأصله إنسان وأناسي وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون
أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشراً ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول ألا ترى لك
تقول في وزن قه إفعل وليس معك إلا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر
الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن يكون للعهد والإشارة إلى الذين
كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من
أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام
ومن في من يقول موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال إن جعلت
اللام للجنس وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فإن قلت كيف يجعلون بعض
أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معاً وصيرهم جنساً واحداً وكون المنافقين
نوعاً من نوعي هذا الجنس مغايراً للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء
لا يخرجهم من أن يكونوا بعضاً من الجنس فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك
المغايرات إنما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فإن قلت لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان
باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لأن القوم كانوا
يهوداً وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف
صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثاً مضاعفاً وكفراً موجهاً لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على
وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين و
استهزاءً بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي كان خبثاً إلى خبث وكفراً إلى كفر وأيضاً فقد أوهموا
في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره
وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام فإن قلت
كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل
والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قلت القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى إلى
الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة
من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه
الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع
ونحو قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها

فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك
لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا
من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم
الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع ان يوهم صاحبه
خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره
اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر فان قلت كيف ذكر مخادعة الله والمؤمنين لا تكاد
تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون
وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع وقول
ذي الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع قلت فيه
وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع
الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة
واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا
امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن
يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته
تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا
ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد
الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال الملك كذا ورسم
كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون
من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة
الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه
وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر
احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد
ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه
صحيح قلت وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها
للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من
غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين
آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كانه قيل ولم يدعون

بفتح الراء والفاء بخط المصنف ه

كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت لم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم
عن اغراض لهم ومتكا مقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة بما يطرقونه به من سواهم
من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم
الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على
اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت
لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته
ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المكلفين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه
ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون
تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول
فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان
يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما
يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون
للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء يعني يختدعون ويخدعون
ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب
نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم
وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عينه فيصح
نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامرين واتجه له رأيان وداعيان
لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما
عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد
بالانفس هاهنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من
سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان
حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في
القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار
لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن
والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد
به هاهنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي
على رسول الله والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء
من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن
ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك

الا انفسهم بالنصب لا غير ه

فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما

اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك شرق بذلك
او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثونه
به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال
الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجرأتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا
وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا سطوة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله
الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسناد
للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا او كلما زاد رسوله
نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت
قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع
وقرأ ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال اليم كوجع فهو وجيع ووصف
العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم
كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته و
تخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما
خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح
كله واما ما يروى عن ابرهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته
صورة الكذب سمي به ومن ابي بكر رضي الله عنه ورفعوه مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون
من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما
بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهائم وبركت الابل ومن قولهم كذب
الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد كما مر ولذلك قيل له مذبذب وقال
عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة اخرى واذا قيل لهم معطوف
على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا بالله لو قلع ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا
كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو
الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض
وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا
تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل
لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم
على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان
ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق

مصلحون ولكن لا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء

في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم
كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة
قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه
على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا
المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من
مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك رد الله ما ادعوه
من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف
وما في كلمتي التنبيه والتأكيد الاداة من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون النصح في
النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لتعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني
تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم
وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا
وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى
لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلاثة احرف ومنه زعموا مطية
الكذب وما في كما آمن يجوز ان يكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت والسلام والناس
للعهد اي كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم
ومن ابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية او جعل المؤمنون
كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في
معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد
فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق
في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم
واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل
ولانهم كانوا في رياسة وبسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال
فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله بن سلام رضي الله عنه واشياعه ومفارقتهم دينهم
وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم
انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون
والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج
الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض
فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم
من التغاور والتناحر والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم

معه أحسن طباقاً لمساق هذه الآية لخلاف ما سيقت له أوله قصة المنافقين فليس بتكرير لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحباً بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحباً بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحباً بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيراً فنزلت ويقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريباً منه وهو جاري وملاقيّ ومراقيّ وقرأ أبو حنيفة وإذا لاقوا وخلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به إذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه إذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلاناً وأذمه إليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية وفي آخر زائدة والدليل على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل إنا معكم إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فإن قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بأن قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم في ادعاء الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل ألا ترى إلى حكاية الله عز وجل قول المؤمنين ربنا إننا آمنا وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فإن قلت أنى تعلق نحن مستهزءون بقوله إنا معكم قلت قوله إنما هو توكيد له لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزءون رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتداً به

ودفع

ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم إنا معكم فقالوا فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف فإن قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل ألا ترى إلى قوله قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر في يخادعون من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فإن قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاماً للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم باستهزاء مثله فإن قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقاً لقوله إنما نحن مستهزءون قلت لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتاً بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وأمدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وأمده إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكاً فيه فإن قلت لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال قلت كفاك دليلاً على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع وإخوانهم يمدونهم على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له فإن قلت فكيف جاز أن يوليهم الله مدداً في الطغيان وهو فعل الشياطين ألا ترى إلى قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي قلت إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مدداً وأسند إلى الله سبحانه لأنه مسبب عن فعله بهم بسبب

كالمكافأة والموازنة

كفرهم وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله تعالى لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية
بينه وبين إغواء عباده فإن قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت
لا يطاوع عليه قلت استجرهم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسند إلى الشياطين ولكن المعنى الصحيح
ما طابقه اللفظ وشهد لصحته وإلا فما منه بمنزلة الأروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه
المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فإذا
لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم
يتمادون وإن هؤلاء من أهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه
في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فإن قلت أي نكتة في إضافته إليهم قلت فيها أن
الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم وأن الله بريء منه ردا لاعتقاد الكفرة
القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند إسناد المد إلى ذاته لو لم يضف الطغيان إليهم أن
الطغيان فعله فلما أسند المد إليه على الطريق الذي ذكر أضاف الطغيان إليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع
في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة
في قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة
وهو التحير والتردد لا يدري أين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق
وسكر أرضا عمياء لا منار بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة
لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ومنه أخذت بالجمة رأسا أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
كما اشترى المسلم إذ تنصرا وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني إسرائيل تتفقهون لغير الدين وتتعلمون
لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فإن قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت
جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به
ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة
الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين
والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك أشف بعضهم على بعض إذا فضله ولهذا شف والتجارة
صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ
ابن أبي عبلة تجاراتهم فإن قلت كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها قلت هو من الإسناد
المجازي وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فإن قلت
هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الإسناد المجازي قلت نعم إذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة
رأيت أسدا وأنت تريد المقدام إن لم تقم حال دالة لم يصح فإن قلت هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا
في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي
تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن

لم تر كلاما أحسن ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذكر نحو العرب في البليد كأن أذني قلبه خطلا
وإن جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة
تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه
جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر
ونحوه قول بعض فتاكهم في أمه فما أم الردين وإن أدلت بعالمة بأخلاق الكرام إذا الشيطان قصع في
قفاها تنفقناه بالحبل التؤام أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد
إذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم
إليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم
بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فإن قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين قلت معناه أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا
الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا
بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم
له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر
لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء
المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة
المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الآبي
ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الأنبياء والحكماء
قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور الإنجيل سورة الأمثال والمثل في أصل
كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه
بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض
الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فإن قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين
ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال
أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا
وكذلك قوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة
ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة أي صفتهم
وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن
فإن قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا والذي
سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما
أن الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته

حقيق بالتخفيف ولذلك ذهلوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء
الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذاك علامة لزيادة الدلالة الا ترى
ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد
نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت
قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون
اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها واخواته وقل في الجبل اذا صعد وعلا
والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار
ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله
والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه
وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار وهي الاضاءة ويجعل اشراق ضوء النار حوله
بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب ~~لانه يدور على الظرف~~
وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان
احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما
جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالتباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من
الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى
كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت
الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق
ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال هذا المستوقد
الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل
له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير
في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع
واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى
اسناد الفعل الى الله في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي
ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد
في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة
للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض
المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فاطفاها الله وخيب اماينهم فان قلت كيف صح في النار

المحارنة

فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم
لا يرجعون

المجازية ان يوصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره
فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة
على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور
عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه
وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون
فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يتضمحل ولريح الضلالة
عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه
ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما
ذهبوا به اذ الذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما
يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقراءة اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا
علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب
كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل
ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا
اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة
على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال
لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون
فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا
في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافقين وهل هو ابدا الا حائر خابط في ظلماء الكفر قلت المراد
ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق
التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد
اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد
الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى
عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي
اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم
كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم
وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها
للاحساس والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم
عما ساءه سميع اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد اخر فاصممت عمرا واعميته
عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث اكرو صاريه اعمى
صاريه اعمى

او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق

للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات
والافعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت هل يسمى ما في الآية استعارة
قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون و
الاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه
والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم
تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام
ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وبعضهم لا يحسبوا ان في سرباله رجلا ففيه غنى وليث
مستبسل وليس لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة لحذف المبتدأ فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه
في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم
بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون ام
يتأخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدأوا منه ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم
بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك
الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال
وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته
اذاك ام نمش بالوشي اكرعه اذاك ام خاضب بالسي مرتعه فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول
بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني
بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب
لان القلوب تحيا به حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد
والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق
والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان
قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله عز وجل وما يستوي
الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا
ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن
الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب
الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه
ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه
به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض

لم يأخذ

لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظايرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة
من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا
التوراة الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله
بما يحمل من اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله تعالى
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد
تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع
المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد
من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف
من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي
صيب هل تقدره في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم ما
يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف
التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه
الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم
وفناءهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اي التمثيلين
ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك أخر وهم يتدرجون
في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت او في
اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك
قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان تجالسهما ومنه قوله تعالى
ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله تعالى
او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين
سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها
بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال
الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل
كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصايب والصيب ابلغ والسماء هذه المظلة وعن
الحسن رحمه الله انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون
الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد
من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله
واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه غمام مطبق

يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين

أخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير أمد ذلك
بأن جعله مطبقا لمن يزعم أنه يأخذ من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء وفيه أن السحاب من
السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من جبال فيها من برد فإن قلت قد ارتفع ظلمات بماذا قلت بالظرف
على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب
وتنتفض إذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء
بريقا إذا لمع فإن قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو إما أن يراد به السحاب أو المطر
فأيهما أريد فما ظلماته قلت أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة
إليهما ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانسجامه بتتابع القطر وظلمة أظلال غمامه مع
ظلمة الليل فإن قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وإنما مكانهما السحاب قلت إذا كانا في أعلاه
ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه ألا ترى إلى قولك فلان في البلد وما هو منه إلا في حيز يشغله جرمه
فإن قلت هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالأبلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين
بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد العينان العين البرق وعين الرعد
ولكنهما لما كانا مصدرين في الأصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم أصلهما بأن ترك جمعهما
وإن أريد معنى الجمع والثاني أن يراد الحدثان كأنه قيل وإرعاد وإبراق وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات
لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير
في يجعلون إلى أصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال أو هم قائلون لأن المحذوف باق
معناه وإن سقط لفظه ألا ترى إلى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لأن المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا
لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل
يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف أبصارهم فإن
قلت رؤوس الأصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل أناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي
لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وقال فاقطعوا أيديهما أراد البعض الذي
هو إلى المرفق والذي إلى الرسغ وأيضا في ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل فإن قلت فالأصبع
التي تسد بها الأذن إصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لأن السبابة فعالة من السب
فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة
والمهللة والدعاءة فإن قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها
الناس في ذلك العهد وإنما أحدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون أي من أجل الصواعق
يجعلون أصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها
شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر

بشيء إلا

يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم الآية

بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم
طفئت ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما لشدة الصوت وإما بالإحراق ومنه
قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرأ الحسن رحمه الله من الصواقع وليس بقلب للصواعق لأن كلا البناءين
سواء في التصرف وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله ألا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب
مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها إما أن تكون صفة
لقصفة الرعد أو للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية أو مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن أبي ليلى
حذار الموت وانتصب على أنه مفعول له كقوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان
وقيل عرض لا يصح معه إحساس معاقب للحياة وإحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى أنهم لا يفوتونه
كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الأخذ بسرعة وقرأ
مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح أفصح وأعلى وعن ابن مسعود رضي الله عنه يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء
والخاء وأصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي رضي الله عنهما يخطف من
خطف وعن أبي رضي الله عنه يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما أضاء لهم استئناف ثالث كأنه
جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين
بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون إذا صادفوا من البرق
خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فإذا خفي وفتر
لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم أو في ضوء البرق
فأعماهم وأضاء إما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف وإما غير متعد
بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن أبي عبلة كلما ضاء لهم والمشي
جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعي فإذا ازداد فهو عدو فإن قلت كيف قيل مع الإضاءة كلما
ومع الإظلام إذا قلت لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه فكلما
صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو
الظاهر وأن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب أظلم على ما لم يسم فاعله
وجاء في شعر حبيب بن أوس هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب وهو وإن كان
محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى
إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه ومعنى
قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء
محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد
تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله
فلو شئت أن أبكي دما لبكيته وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لو أراد الله أن يتخذ ولدا

ان الله على كل شيء قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم

الى التأنيث فرع التذكير هـ

واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرأ ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه وعند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لك ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله أي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذاك للتأكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله تعالى ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله وأي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو أي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان أيا لا يستقل

بنفسه

والذين من قبلكم لعلكم تتقون

بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الاضافة فان قلت لم كثر في كتاب الله تعالى النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله باوجه من التأكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل للقائم قم وكذلك الكفار لا يعرفون الله تعالى ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المأمور بالصلوة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وما كان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كانوا للفريقين جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول وهو من الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في قولك لا ابا لك لعل للترجي او الاشفاق يقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه

الخطاب ع

ادغم

الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية

او ضياع اجرهم ورسومهم ان يقتصر في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى
ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء
من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذي العز
والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه
في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان تحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة
وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة
لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم
وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو
منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان
لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه
بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم
لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى
على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت
ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال
اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت
لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب
لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين
اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي
هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء
التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين
المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان
من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف
ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا
من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس
كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول
مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء
وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا
ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده

لعلهم ح

فهذا ابلغ من الثاني ه

بيان المخلوقات

وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان
الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير
مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد
من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان
او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته
قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان
ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء
الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته
والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى
الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب
ومن في من الثمرات للتبعيض لشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات
ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل وانزلنا
من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة
المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في
الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا
قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا
لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه
وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد
ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق
والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات و
ثلاثة قروء وتعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على
الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا اياكم فان قلت
بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له
اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب
تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في
رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل
لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية
فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا

اي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ندّ ندوداً اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ندّ
ولا ضدّ نفي ما يسدّ مسدّه ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمّون اصنامهم باسمه ويعظّمونها
بما يعظّم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقرّبوا اليها وعظّموها
وسمّوها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادّته
فقيل لهم ذلك على سبيل التهكّم وكما تهكّم بهم بلفظ الندّ شنّع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا
انداداً كثيرة لمن لا يصحّ ان يكون له ندّ قطّ وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه أرباً
واحداً ام الف ربّ ادين اذا تقسّمت الامور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندّاً فان قلت
ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحّة تمييزكم بين الصحيح والفاسد و
المعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون
عنه وهكذا كانت العرب خصوصاً ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة
بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ
فيه آكد اي انتم العرّافون المميّزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله انداداً
هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدّر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون
ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل فعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم
من شيء لما احتجّ عليهم بما يثبت الوحدانية ويحقّقها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلّم الطريق الى اثبات ذلك
وتصحيحه وعرّفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطّى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على
ذكر ما هو الحجّة على اثبات نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة واراهم
كيف يتعرّفون اهو من عند الله كما يدّعي ام هو من عند نفسه كما يدّعون بارشادهم الى ان يحزروا يحزروا
انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزّلنا على لفظ التنزيل دون
الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدّي وذلك انهم كانوا
يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوماً سورةً بعد سورة
وآيات عقيب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر
من وجود ما يوجد منهم مفرّقاً حيناً فحيناً وشيئاً فشيئاً حسب ما يعنّ لهم من الاحوال المتجدّدة و
الحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة
فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن
جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة
من نوبه وهلمّوا نجماً فرداً من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتّى مفتريات وهذه غاية التبكيت
ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامّته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة
التي اقلّها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلاً فاما ان تسمّى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة

من القرآن

فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين

من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسوّر او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء
سور المدينة على ما فيها واما ان تسمّى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حرّاب وقدّ سورة
في المجد ليس غرابها بمطار لاحد المعنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقّى فيها القارئ وهي ايضاً
في انفسها مترتّبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شأنها وجلالة محلّها في الدين وان جعلت واوها
منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه
فان قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامرٍ ما انزل الله
التوراة والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسوّرة مترجمة السور وبوّب المصنّفون
في كل فنّ كتبهم ابواباً موشّحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع و
اشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بياناً واحداً ومنها ان القارئ اذا ختم
سورة او باباً من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهزّ لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه
لو استمرّ على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلاً او طوى فرسخاً او انتهى الى رأس بريد
نفّس ذلك منه ونشّطه للسير ومن ثمّ جزّأ القرّاء القرآن اسباعاً واجزاء وعشوراً واخماساً
ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلّة بنفسها لها
فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجلّ في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه
كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا ومن ثمّ كانت القراءة في الصلوة بسورة تامّة افضل
ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني
ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلّق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة
من مثله والضمير لما نزّلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلّق بقوله فأتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله
حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلوّ الطبقة
في حسن النظم او فأتوا ممّن هو على حاله من كونه بشراً عربياً او امّياً لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا
قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنّه نحو قول القبعثرى للحجّاج وقد قال له لاحملنّك على الادهم مثل الامير
حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احداً
يجعله مثلاً للحجّاج وردّ الضمير الى المنزّل اوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله
على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصحّ الاساليب
والكلام مع ردّ الضمير الى المنزّل احسن ترتيباً وذلك ان الحديث في المنزّل لا في المنزّل عليه وهو مسوق
اليه ومربوط به فحقّه ان لا يفكّ عنه بردّ الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن
منزّل من عند الله فهاتوا انتم نبذاً مما يماثله ويجانسه وقضيّة الترتيب لو كان الضمير مردوداً الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم في ان محمداً منزّل عليه فهاتوا قرآناً من مثله ولانّهم اذا
خوطبوا جميعاً وهم الجمّ الغفير بان يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ

فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين

في التحدي من ان يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودوّن الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية بن ابي الصلت يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تنالك بغيره ومن دون الله متعلق بادعوا من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قوله الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما يدعيه حق كما يقول العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان يأتي بمثله دون شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية كما ارشدهم الله الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان ساق القول معهم على حسب

حسبانهم

حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر قلت لن اقيم كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه لم ينقل على الله اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمة ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال سيبويه والوقود اكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط اي ليس حيوته الا به فكان نفس السليط حيوته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وهاهنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة

سورة بيانية

الا جملة نائبا عنه

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات

ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت
معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق
الناس او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته
الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل
به النار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها
نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم
واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا
وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم
وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من
دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله
انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في
حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون
المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا
في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها
من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير
دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت عدة
لعذابهم وقرأ عبد الله رضي الله عنه اعتدت من العتاد بمعنى العدة من عادته عز وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب
مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف
ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق
والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت
من المامور بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال
عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما
كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق
بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له
مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف عقاب الكافرين كما يقول زيد يعاقب
بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني
تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما وبشر
على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال
العلماء رحمهم الله اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو

ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف

تجري من تحتها الانهار

هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه
البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام
الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتالمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل
ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة
كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال
بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قيل اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة
على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه
الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد بعضه لا الى الواحد لان وزانه
في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت
فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في
مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقي
جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي
المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها
من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة
يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي و
الرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب
كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم
جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما
المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعات وترك المعصية فهلا شرط
ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول
ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه
وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه
واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان
تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة
جري الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان
انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة
والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض
وان كانت آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط
حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاكبر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح
فيها

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها

~~الانهار كالارواح للاجسام~~ وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنان مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها
مسوقين على قران واحد كالشيئين لابد لاحدهما من صاحبه وما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع
فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب
على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان تطؤهم الطريق وصيد عليه يومان
فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما
تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي
في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الراس
شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه الآية وقوله عز وجل كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر
مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه
اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمار
ها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية من غير ان لا يعلمها الا
الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك
فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها
او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان
الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول
رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول
من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدا من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من
ضمير الجنات مبتدا من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا
التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك
رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة
فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي
رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها
وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت
الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي
رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى
المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة
لم تكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمالوف آنس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يالفه

اي قوله كلما رزقوا

اي قوله هذا الذي

ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون

نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم معه الف
وراى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه
وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده
وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة
من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع
السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر
الدنيا وقدر امتداده ثم يرون في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية
واجلب للسرور وازيد للتعجب من ان يفاجئوا ذكر الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا
القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة
وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن مسروق نخل الجنة
نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في
غير اخدود والعنقود اثنتا عشرة ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة
اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن رحمه الله
يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل
فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول
الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى
قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله عز وجل واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت
هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل وراى من الراي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة
اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير
الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس
ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما
يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن
ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان
يقال النساء فعلن وهن فاعلات والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا
العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرا
زيد بن علي رضي الله عنه مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله
فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة
لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده
الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال

لفظ هذا في قوله تعالى قالوا هذا الذي رزقنا من قبل

الطبع الوسخ وما يشينه الوسخ

إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها

الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون قال: ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي * وهل ينعمن من كان في العصر الخالي * وهل ينعمن إلا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت بأوجال * سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذن إلا أمرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ألا ترى إلى الحق لما كان واضحا جليا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا أنه الحق إلا أن حب الرياسة وهوى الإلف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا فإذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبوادیهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة ولا إقناع أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة إذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة رحمهما الله لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي وشظي الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء

لا يرتع فيها

جعل

جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فإن قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه وكذلك معنى قوله إن الله لا يستحيي إلا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال إنك لسبط الشهادة فقال الرجل إنها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه إذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في إناء من الورد وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اصطنع رسول الله خاتما من ذهب وما هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي أن يضرب مثلا حقا أو البتة هذا إذا نصب بعوضة فإذا رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لأن التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي أحسن ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال إن الله لا يستحيي أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى أن الله أن يتمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ وبما لا يدرك لتناهيه في صغره إلا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب فلان أقل من لا شيء في العدد ولقد ألم به في قوله إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بأنها عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه أو انتصب مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض

فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم

وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد لنعم البيع بيع ابي دينار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضرب فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفه يشح باذنى شيء فيقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما يبخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله عليه السلام مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون الاية

وانشدت لبعضهم ۞ يا من يرى مد البعوض جناحها ۞ في ظلمة الليل البهيم الاليل ۞ ويرى عروق نياطها ۞ في نحرها ۞ والمخ في تلك العظام النحل ۞ اغفر لعبد تاب من فرطاته ۞ ما كان منه في الزمان الاول ۞

واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم وزيهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على

واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين

الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رايت خيرا اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا وفي قوله تعالى يسالونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فاعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي امرت بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرا ابن زيد بن علي رضي الله عنه يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل ابن عطاء وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمال في كتاب الله بكل الاسم الفسوق بعد الايمان يريد الكفر والتنابز بالقاب

الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون

هم الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت
من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن
التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك
واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه
بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف
منه واذا تزوجت امرأة فاستوثقها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة
بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق
منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما المراد بعهد
الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه
واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل
لعيسى ثم سانزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريته اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما
نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنعي للذين قاموا بميثاقي
الله واوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا
بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليهما من التحريف والجحود كفروا به كما
كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم
وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي اخذ على جميع ذريته اي ذرية آدم الاقرار بربوبيته
وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو
قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله
والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان
يرجع الضمير الى الله من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله
ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من
الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت
طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو
اليه من يتولاه شبه بامر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به
كما قيل له شان والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده هم الخاسرون
لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة التي
في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره

هذا الضمير يرجع الى ما ذكر من القطع والفساد وغيرهما كما ذكره [illegible]

[illegible] العهد

قولك

٣٨

كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون

قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه
مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة
المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار
الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال
التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال
فكان انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار
الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك عن حال وصفة
عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله
وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد
قام الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون
كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء
ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضه مستقبل
والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر
الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها و
آخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته
قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل
الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا
فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة
اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان
قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما تصح فيه الحياة من البنى قلت
يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون
استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز
ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت
لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما
الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا
وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت
من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها قلت لانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر وعلى
نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات
من اعظم النعم لكم لاجلكم ولانتفاعكم به دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع

جمع بنية

اي البواقي لعله اهل [illegible]

واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون

الدينية فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالاخرة و
ثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح و
المراكب والمناظر الحسنة البهيجة وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق
والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي
يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها
ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان
اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء
وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة
يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من
غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته
بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل
ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل
الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن
تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم
فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة قلت
ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين
امنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء
لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر فان قلت اما يناقض هذا قوله
والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن
الحسن رحمه الله خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد
الدخان وخلق منه السموات والارض وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله
كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ نصب على باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك
على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء لتانيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخلا على المبتدأ
والخبر وهما قوله في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف
غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف
او خلفاء قلت اريد بالخليفة ادم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك
مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد
خليفة مني لان ادم صلوات الله وسلامه عليه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك

وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين

خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا
حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده
المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة
غنيا عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل
الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار
من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم
ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة
وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفّك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان
وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء
وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك
لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في
ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله
كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد تبين لهم بعض ذلك فيما اتبعه
من قوله وعلم ادم الاسماء كلها واشتقاقهم ادم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب
من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل
كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه
لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الراس
شيبا فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم ادم
مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء
انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء
وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها علمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا
وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان
في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين
يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليه وان فيمن يستخلفه
من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين
لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح
وقرئ وعلم ادم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله رضي الله عنه عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض
مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها

بيان ونصحائهم

لا الاسماء بيان

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا الآية

والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابوا يوسف واخوته له ويجوز ان يختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرههما وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل ومن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله رضي الله عنه فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فناداهما وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل قوله تعالى اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذكر قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت فتلقى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ

بعضهم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون الآية

والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هي قلت هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان احب الكلام الى الله تعالى ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفي بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة التي اهبط بها آدم صلوات الله عليه وسلامه عليه ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله عليه السلام وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسماعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرائل وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدك اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك

ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتأمرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون الآية

وايّاي فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من ايّاك نعبد وقرئ اوفّ بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم
كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان
بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم اول كافر به اول من كفر به او اول
فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض
بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من
اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدّون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان
امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة الى قوله
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا
تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة
موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه (اي القرآن)
فقد كفروا به (اي بما معكم) والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصّرا
فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل
الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله فاستبدلوها وهي
بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير
وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم
الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرّون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا
الباء التي في بالباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في
التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت
باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه
وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا
لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين
متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان
لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التوراة
صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه وتكتمون بمعنى
كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه
واقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في
صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما
يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها
مع المصلين لا منفردين اتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف
ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه

في السر

اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة
وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين

من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا
اوتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطّلعوا على ناس
من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف الى غيرها
وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون
يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد عليه السلام او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل
افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن
ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان العقول تأباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من
دون الله افلا تعقلون واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلّوا
صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع
الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه
انتصاب بين يدي جبار السموات ليسأل فكاك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله وأمر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة
عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس رضي
انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس
ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن
المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا
بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون
لجميع الامور التي امر بها بنوا اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة لشاقة
ثقيلة من قولك كبر علي هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين
لانهم يتوقعون ما ادّخر للصابرين الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء
ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه يعلمون ومعناه يعلمون انه لا بد من
لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب
كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع
اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ
مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان
يقول يا بلال روّحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين
والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا وتفضيلي على العالمين
على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة يوما يريد يوم
القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن
احد بعدك

اي ولا تقضي الواجب عن احد بعدك

اي عن ابي بردة بن نيار رضي الله عنه وهو عبد الله بن نيار
ضحى بالجذعة قبل الوقت

واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم الآية

احد بعد لا وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا تظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ
من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السرار الغنوي لا تجزئ نسمة عن نسمة
شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره
لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي ترد حيا اجدرات تقيل اي ما اجدر بان تقيل فيه ومنهم من ينزل فيقول
اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير
ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل
منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة
ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل
كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأيسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة
لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها
شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية
العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع
لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو
اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى
العباد والاناسي كما تقول ثلاثة انفس آل فرعون اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص
استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك مصر
كالعمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح
بعضهم قد جاء موسى الكليم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم ونجيتكم يسومونكم من
سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا
واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء
يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده
وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله
يضاهئون قول الذين كفروا وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ
عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم
يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به
الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق
بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه
ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يتوسط بينهما وان
يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم
والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم
على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا

وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل
من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم
تهتدون الآية

فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه
لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله
موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان
الشهور غررها بالليالي وقرئ وعدنا لان الله وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور من بعده
اي من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم
للامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب
والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك
رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا
واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق
بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل
معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده
وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا
ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه
او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون صلوات الله
عليهما وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار
من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاآت قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم
سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم
قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة
متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد
تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى
فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق
بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور
المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال
المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور
حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقتهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم
حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها قيل القائلون السبعون
الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان
الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع

وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم
فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم وإذ قلتم
يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ولانه

من الرؤية فتنصب بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء
وهي إما مصدر كالغلبة وإما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على أن موسى صلوات الله عليه رادّهم القول وعرّفهم
أن الرؤية مما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض
فرادّوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجّوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط
على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم أي أماتهم قيل نار وقعت
من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسها فخرّوا صعقين ميتين
يوما وليلة وموسى لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما أفاق والظاهر أنه أصابهم
ما ينظرون إليه لقوله وأنتم تنظرون وقرأ علي رضي الله عنه فأخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون
نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعد ما كفرتموها إذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة و
إذاقتكم الموت وظللنا وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم
يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم
المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر لكل إنسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى
وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على إرادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بأن كفروا
هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه القرية بيت المقدس وقيل أريحا
من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون
إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى صلوات الله عليه أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب
شكرا لله تعالى وتواضعا وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع وإخبات
وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على أوراكهم حطة فعلة من الحط
كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك حطة والأصل النصب بمعنى حط
عنا ذنوبنا حطة وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله يشكو إلي جملي طول السرى صبر جميل فكلانا
مبتلى والأصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الأصل وقيل معناه أمرنا حطة أي أن
نحط في هذه القرية ونستقر فيها فإن قلت هل يجوز أن ينصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى
قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والأجود أن تنصب بإضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ
يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين أي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة
سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا أي وضعوا مكان
حطة قولا غيرها يعني أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما
أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ آخر لأنهم لو
جاؤوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب إليك
أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا

بما كانوا يفسقون وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين وإذ قلتم يا موسى
لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها
قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة

أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا وفي
تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الأعراف فأرسلنا
عليهم على الإضمار والرجز العذاب المقدر عليهم وقرئ بضم الراء وروي أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون
ألفا وقيل سبعون ألفا عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام إما للعهد و
الإشارة إلى حجر معلوم فقد روي أنه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه
ثلاث أعين لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي أمر بسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر
اثنا عشر ميلا وقيل أهبطه آدم صلوات الله عليه من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب صلى الله عليه وسلم فدفعه
إليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل إذ رموه بالأدرة ففر به فقال له جبرائيل صلوات
الله عليه يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فإن فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته وإما للجنس أي اضرب الشيء
الذي يقال له الحجر وعن الحسن رضي الله عنه لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة وروي
أنهم قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه وقيل كان يضربه
بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا إن فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى إليه لا تقرع الحجارة وكلمها
تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الإنسان وقيل كان من أس
الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى صلى الله عليه وسلم وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار
فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أو فإن ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على
هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان كل أناس كل سبط مشربهم
عينهم التي يشربون منها كلوا على إرادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون
وقيل الماء ينبت منه الزرع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب ولا تعثوا أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد
في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا إلى عكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة و
طلبت أنفسهم الشقاء على طعام واحد أرادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فإن قلت هما طعامان فما لهم قالوا
على طعام واحد قلت أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل
يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب
واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة أهل زراعات فما نريد إلا ما ألفناه وضرينا به
من الأشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما أنبتته الأرض
من الخضر والمراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها وقرئ وقثائها
بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا أي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وثومها وهو
للعدس والبصل أوفق الذي هو أدنى الذي هو أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة
المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون
الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي أدنأ بالهمزة من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم أي انحدروا

وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه الآية

اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين
وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف
والتانيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد
وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه وقراءة الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله
ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم
فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط
فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم مخافة
ان تضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به
لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه وذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والحلاقة
بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم صلوات
الله عليهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم
لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا
وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرا علي رضي الله عنه ويقتّلون بالتشديد
ذلك تكرار بالاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم
بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى
ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات و
قتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون
والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى
وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري
سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية
والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا صادقا وعمل صالحا
فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم
والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن
من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التورية ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك
ان موسى صلوات الله عليه جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها
فامر جبرئيل صلوات الله عليه فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى عم ان قبلتم والا القي عليكم
حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب
وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة
ان تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ

خذوا ما آتيكم

لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين الآية فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين واذ قال
موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون الآية

خذوا ما آتيناكم وتذكروا واذكروا السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا
منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك
ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال
تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا
اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم قردة
خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني المسخة
نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها
من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما
بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما
تاخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل
شيخ موسر فقتله بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا
بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه
لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون
الزاي نحو كفؤا وكفؤا وقرا حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد وفي قراءة عبد
الله رضي الله عنه سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها
ميت فيحيا فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر الفارض المسنة وقد فرضت
فروضا قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكانها سميت فارضا
لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال نواعم بين ابكار وعون
وقد عونت فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث
وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة
الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال
جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذاك وقد
يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه
في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت
كان ذاك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك
الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرونه اي ما تؤمرون به بمعنى تؤمرونه من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد
اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر
ومدهام واورق خطباني وارمك رداني فان قلت فاقع هنا واقع خبرا على اللون فلم يقع توكيدا للصفراء

لونها

قال ادع لنا ربك يبين لنا ان البقرة تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه بقرة لا ذلول
لا تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون

قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من
سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء
فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة
الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج
من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه
لقوله تسر الناظرين وعن الحسن رضي الله عنه صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة
الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن
صفر اولادها كالزبيب ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا
لوصفها وعن النبي عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء
شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما
ابدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتني باي نوع منها ابدأ وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا امرتك
ان تعطي فلانا شاة سألتني اضأن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء
ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل
مسألته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح
وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة وقرأ محمد
ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر
الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله وانا ان شاء الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا
من امر القاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض
ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى
لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ ابو عبد الرحمن
السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولأن توصف به فيقال هي ذلول ونحو
قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى مسلمة
سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله او معبر الظهر ينبي عن وليته
ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمر او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من
الالوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها
وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشي القوائم الآن
جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة
لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء
لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم و

واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون

وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في
ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها
لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فتساوموها اليتيم
وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة
اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة
والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع
الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم
نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين
يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح
عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون
مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت
قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه وهما ادارأتم فقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تأويل الشخص و
الانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلفوا في البعض الذي ضرب
به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن
وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه
قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث
قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك
يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم
وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما
ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلعم فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة
وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف
واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم
ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال
ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا
يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار
ما يتقرب به وان يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق من ينظر
اليه وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان الزيادة

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج
منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق
منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون الاية

في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لاداية الى البداء و
يعلم بما امرين ضرب الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان المؤثرين الحاصلين
في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل
والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه
ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها
ولما جدد فيهم من الايات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا
متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية
للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الاية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل
لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما
استؤنفت الثانية استيناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها
الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية
مخرج الاستيناف مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة ومعنى ثم قست استبعاد القسوة
من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ
مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من
الايات المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف
اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بنصب الدال
عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى
منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة
وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه
اخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة
وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم
وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ
وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح
بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق
واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا
يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ يهبط بالضم والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما
يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون بالتاء والياء وهو وعيد افتطمعون
ان يؤمنوا لكم الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم
كقوله فامن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله

واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون
اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون فويل للذين
يكتبون الكتاب بايديهم

وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واية الرجم وقيل كان قوم من
السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عم بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول
في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه
من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر
هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود قالوا قال منافقوهم امنا بانكم على الحق وان محمدا
هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم
التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فيقول المؤمنين قد ثبتا منافقون
اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم
هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون
وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية
ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم و
يرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم احبارهم من ان النار لا
تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلفة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي
لابن داب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤن من قوله تمنى
كتاب الله اول ليلة والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق
والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء
الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء
لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم يكتبون الكتاب
المحرف بايديهم تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه
مما يكسبون من الرشي اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون
مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم
عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام اما ان يكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير
لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان يكون منقطعة بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا
النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من
الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتقص عنها بالتوبة
وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسأل رجل الحسن
فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل اية نهى فيها
الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة لا تعبدون اخبار

ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون

في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله ألا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ابن عبد الله رضي الله عنه ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان مفسرة وان يكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وقيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظاهرون بمعنى تتظاهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحي ان نذل حلفاءنا الا خزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما ذكر من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ يردون ويعملون بالياء والتاء ولا يخفف عنهم عذاب الدنيا ينقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم ولذلك عذاب الآخرة الكتاب التورية اتاه اياها جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه من القفاء نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهو يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم صلوات الله عليهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم

لهم عذاب ولا هم ينصرون ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده

وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه آجد بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل جبريل صلوات الله عليه وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عم عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو وقلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل

بما يغضب على غضب وللكافرين عذاب أليم وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما
وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم
العجل من بعده وأنتم ظالمون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا
وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس
فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين

أي علا أن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته إرساله فباءوا بغضب
على غضب فصاروا أحقاء بغضب مترادف لأنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد
قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من أنواع كفرهم بما أنزل الله مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب
قالوا نؤمن بما أنزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التورية وهو
الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها
ثم اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الأنبياء وأنتم ظالمون
يجوز أن يكون حالا أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها وأن يكون اعتراضا بمعنى وأنتم قوم
عادتكم الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما أمرتم
به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك فإن قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث إنه
قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وأشربوا في قلوبهم
العجل أي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله
إنما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يأمركم به إيمانكم بالتورية لأنه ليس في التورية عبادة العجل
وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلوتك تأمرك وكذلك إضافة الإيمان إليهم وقوله إن
كنتم مؤمنين تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد
الجنة أي سالمة لكم خاصة بكم ليس لأحد سواكم فيها حق يعني إن صح قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا
والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة
الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي رضي الله عنه
يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن رضي الله عنهما ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي
أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن حذيفة رضي الله عنه أنه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء
على فاقة لا أفلح من ندم يعني على التمني وقال عمار رضي الله عنه بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه
وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن إليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات
مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي بما قدمت أيديهم بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما
جاء به وتحريف كتاب الله وسائر أنواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه أبدا من المعجزات لأنه إخبار
بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا فإن قلت ما أدراك أنهم لم يتمنوا قلت لأنهم لو تمنوا
لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولي المطاعن
في الإسلام أكثر من الذر وليس منهم أحد نقل ذلك فإن قلت التمني من أعمال القلوب وهو سر لا
يطلع عليه أحد فمن أين علمت أنهم لن يتمنوا قلت ليس التمني من أعمال القلوب إنما هو قول الإنسان
بلسانه ليت لي كذا إذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال أن يقع التحدي بما في الضماير
والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا

ذكر فان قلت

ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون
قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون

فإن قلت لم يقولوه لأنهم علموا أنهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من أشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء
على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا محمل له إلا الكذب البحت ولم يبالوا
فكيف يمتنعون من أن يقولوا إن التمني من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن يكونوا صادقين
في قولهم وإخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالإيمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذبا لأنه
أمر خاف لا سبيل إلى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي إلى مفعولين
في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم أحرص فإن قلت لم قال على حياة بالتنكير قلت لأنه أراد
حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي على الحياة ومن الذين
أشركوا محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس فإن قلت ألم يدخل الذين أشركوا
تحت الناس قلت بلى ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف
لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون إلا الحياة الدنيا
فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم
التوبيخ فإن قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لأنهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صائرون
إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف
نيروز وألف مهرجان وعن ابن عباس رضي الله عنه هو قول الأعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام
مبتدأ أي ومنهم ناس يود أحدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا إلا له مقام معلوم والذين أشركوا على
هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لأحدهم وأن يعمر فاعل بمزحزحه أي
وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وأن يعمر بدل منه ويجوز
أن يكون هو مبهما وأن يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والإنحاء فإن قلت يود أحدهم ما موقعه قلت هو
بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف فإن قلت كيف اتصل لو يعمر بيود أحدهم قلت هي حكاية لودادتهم
ولو في معنى التمني وكان القياس لو أعمر إلا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود أحدهم كقولك حلف بالله ليفعلن
روي أن عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال
جبريل عليه السلام فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت
المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال إن
كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإن لم يكن إياه فعلى أي حق تقتلونه وقيل أمره الله أن يجعل
النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود
وكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما أجيئكم لحبكم ولا أسألكم
لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل صلوات
الله عليه فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وإن ميكائيل يجيء بالخصب
والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا أقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو
لجبريل

أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب
الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر

فقال عمر رضي الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هم بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما كان عدوا للآخر ومن
كان عدوا لهما كان عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل صلوات الله عليه قد سبقه بالوحي فقال عم لقد وافقك ربك
يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف
الياء وجبرئل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن
جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الإضمار أعني إضمار ما لم
يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح
بذكر شيء من صفاته على قلبك أي حفظه إياك وفهمكه بإذن الله بتيسيره وتسهيله فإن قلت كان حق الكلام
أن يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله عز وجل كما تكلم به كأنه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان
عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك فإن قلت كيف استقام قوله فإنه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان أحدهما أن عادى
جبريل صلوات الله عليه أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو
أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني إن عاداه أحد فالسبب
في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا
يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك إن عاداك فلان فقد آذيته وأسأت إليه أفرد الملكان بالذكر لفضلهما
كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار و
ميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب إذا نطقت
بالأعجمي خلطت فيه عدو للكافرين أراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله تعالى إنما عاداهم لكفرهم و
أن عداوة الملائكة كفر وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله
وعاقبه أشد العقاب إلا الفاسقون إلا المتمردون من الكفرة وعن الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع
على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه
وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والأحسن أن يكون إشارة إلى أهل الكتاب أو كلما
الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ أبو السمال بسكون الواو على أن
الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها إلا الذين فسقوا أو نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا
وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم
عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه
وقرأ عبد الله رضي الله عنه نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لأن منهم من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون بالتوراة
وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول
كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني أن علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا و
نبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه

المتمردون بيانا

فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا
لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا
يعلمون

وعن الشعبي هو بين أيديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب
ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا أي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر
والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع
ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس
وفشا ذلك في زمن سليمان صلوات الله عليه حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما
تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه تسخر الإنس والجن والريح تجري بأمره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين
ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال
السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به إغواءهم وإضلالهم وما أنزل على الملكين عطف على السحر
أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا أي واتبعوا ما أنزل هاروت وماروت عطف
بيان للملكين علمان لهما والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان
كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام
على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلم الملكان أحدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له
إنما نحن فتنة أي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا أنه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه
من أحد أي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق
بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء
منه لا أن السحر له أثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله لأنه ربما أحدث الله عنده
فعلا من أفعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لأنهم يقصدون به الشر وفيه أن اجتنابه أصلح
كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية ولقد علم هؤلاء اليهود أن من اشتراه أي استبدل ما تتلوا الشياطين
على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به أنفسهم أي باعوها وقرأ الحسن رحمه الله
الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهري هاروت و
ماروت علمان هما بالرفع هاروت وماروت وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو
الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يعلمان من أعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسره مع الهمزة والمر
بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج وإجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الأعمش وما هم بضاري
بطرح النون والإضافة إلى أحد والفصل بينهما بالظرف فإن قلت كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور بمن قلت جعل
الجار جزءا من المجرور فإن قلت كيف أثبت لهم العلم أولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم
في قوله لو كانوا يعلمون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه ولو أنهم آمنوا برسول الله
والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ
لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل
بالعلم فإن قلت كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة

قلت معناه لو كانوا يعملون

يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم يود الذين كفروا من اهل الكتاب ان ينزل عليكم
من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من الله او ننسها الم يعلم ان الله على كل شيء قدير

واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى
لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم
له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله اذا القى عليهم شيئا
من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون
بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون
به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرأ ابي رضي الله عنه
انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه راعونا على انهم كانوا يخاطبونه
بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن رحمه الله راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا
الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا
واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان
حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل
سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه
تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة
الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا
اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين يعني اليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه عذاب اليم
من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة
كقوله عز وعلا اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما
يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله
ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا روي ان
انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول
اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننساها
وقرئ ننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول عم وقرأ عبد الله رض ما ننسك من
آية او ننسخها وقرأ حذيفة رضي الله ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال
اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يأمر جبرئيل صلوات الله عليه بان يجعلها منسوخة
بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب و
المعنى ان كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى
بدل او غير بدل نأت بآية خير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك على كل شيء قدير
فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها
ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم ان الله مالك

وننسيها ح

امورهم

الم تعلم ان الله تعالى له ملك السموات وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل
الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق
فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون

امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقرر على ذلك بقوله الم تعلم
اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما
اقترحته آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله
جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل
سواء السبيل روي ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله
عنهما بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل
ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار رضي الله عنه كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا
اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة رضي الله عنه واما انا فقد رضيت
بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال عليه السلام اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم
قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن
قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم
من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم
سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني اسرائيل قريظة و
اجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم من حسنة
مع صلوة او صدقة او غيرها تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل
عامل الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا
وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا
من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى
والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت
حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن رحمه الله الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين
وقرأ ابي بن كعب رضي الله عنه الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة
امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم
وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض واريد
امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل
امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل
غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه
لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه

وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم

كيف موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اى بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفى اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية والانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك اى مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروى ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولى منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركون رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس والمسجد الحرام قلت لا بأس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وعلا ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد من منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين وروى انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء رحمهم الله في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة رضي الله عنه ولم يجوزه مالك رحمه الله وفرق الشافعي رحمه الله بين المسجد الحرام وغيره

وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم

وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب اى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اى جهته التي ارتضاها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اى كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اى احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تأتينا آية جحودا لان يكون ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء ومن قبلهم

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من
الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس

في الحكم كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يتصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان
لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسأل عن
اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
وقرئ ولا تسأل على النهي وروي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام
باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال
لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله
ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره
فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله رضي الله عنه ولن تسأل وقراءة ابي رضي الله عنه وما تسأل كانهم
قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن
دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني
ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى
وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي
هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم
الكتاب هم مؤمنو اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث
اشتروا الضلالة بالهدى ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز
عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه
على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه ابراهيم ربه برفع ابراهيم
ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل
في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر
ان يقال ابتلى ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم ربه او ابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل
الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابراهيم فيه مقدم
في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن
في فاتمهن في احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط و
توان ونحوه وابراهيم الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي
عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث
فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتلاه كان
كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استيناف كانه قيل فماذا قال

له ربه

اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق
اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير

له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز
ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده
والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب
والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم
الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشر في براءة التائبون العا
العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنين وسأل سائل الى قوله
والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام و
التعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة
والامام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي
عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي
الظالمين وقرئ الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه
بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح
للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم
للصلوة وكان ابو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما وحمل
المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه
وقالت له امرأة اشرت على ابني بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل
فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني
على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة
والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى
الذئب ظلم والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار
يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع امن
كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ
مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا
على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب
دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى
يريد افلا نؤثره لفضله بالصلوة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابراهيم فقال لم اومر بذلك
فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل
ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي

اي حلق العانة اي شعر العانة

كان يتبدا الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابراهيم وعن عمر رضي الله عنه انه سأل
المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء
مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام
ابراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه
به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا او اي طهرا والمعنى طهراه
من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم
والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين
يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام
والركوع والسجود هيئات المصلي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله عيشة
راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله
خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابراهيم
صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف
استرعاء يختص بمن ينتصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا
للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا
معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه فاضطره فالزه الى
عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ ابي رضي الله عنه فنمتعه قليلا ثم
نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فامتعه قليلا ثم
اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابراهيم اي قال ابراهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق
ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع
وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي
حروف ضم شفر يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي
صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه اقعدك الله اي اسأل الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس
البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر
ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد
رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابراهيم
ما قعد من البيت اي استوطأ يعني هيئته القاعدة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا
قبل ابراهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي
وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا
وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض

الهند

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه

الهند الى مكة على رجليه وكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم
ان الله امر ابراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها
لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء
وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه ايام الطوفان وكان
ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابراهيم صلوات الله عليه يبني واسماعيل
صلى الله عليه يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله
رضي الله عنه في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا
فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام
ما ليس من اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من
قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا
واذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه
ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم
فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا و
لان اولاد الانبياء صلوات الله عليهم اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين
من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله
عليه وعلى آله وسلم وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا
متعبداتنا في الحج او عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلت
لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وفي
قراءة عبد الله رضي الله عنه وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما وابعث
فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله
فيهم محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي
يتلوا عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن
والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح
الذي هو ملة ابراهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير
موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه
وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو
قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم
زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص

ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنيّ ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا
ونحن له مسلمون

الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف
بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطاء رأي من يرغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله
في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير بالآخرة لم يكن احد
اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر
استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب
عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت
اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي ان عبد الله بن سلام رضي دعى ابني اخيه سلمة و
مهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد
فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة رضي الله عنه وابى مهاجر ان يسلم
فنزلت وقرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على
تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون
الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابراهيم
داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه
ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بنيّ على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق
بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بكسر
الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قرائة ابي بن كعب وابن مسعود رضي الله عنهما
ان يا بنيّ اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا
تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال
الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلوته
فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة
التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام
لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الآية
اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق السعداء
هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون
على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهار الفضلها على غيرها وانها
حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد
بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين
بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون
ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه

أُجعلا خبر بمعنى القول فكسر انّا

تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة
ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط

على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون
ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد
علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون
اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما
يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤالا عن
صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابراهيم و
اسماعيل واسحق عطف بيان لآبائك وجعل اسماعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب
والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عم الرجل
صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي
وقال ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود رضي
وقرئ اي رضي واله ابراهيم بطرح آبائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابراهيم
وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وفدينا بالابينا الها واحدا بدل من
اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله آبائك الها واحدا ونحن
له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان تكون جملة معطوفة
على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او
مذعنون تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان
احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم
لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله عم يا بني هاشم
لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم
حسناتهم بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد
من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ ملة ابراهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته بمعنى
اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل
الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال قدمه وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن
كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم صلوات الله عليه
وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم
على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته
والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب صلوات
الله عليه ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود

وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون

والنصارى واحد في معنى الجملة ولذلك صح دخول بين عليه بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه ويجوز ان لا يكون الباء صلة ويكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما بما آمنتم به وقرأ ابي رضي الله عنه بالذي آمنتم به وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله عليه السلام بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي تقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم يصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد على قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التيامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكر سيبويه والقول ما قالت حذام وقرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن

ام يقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل أانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا الآية

كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء صلوات الله عليهم والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا يكون الا منقطعة قل أانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحو قوله ثم انظوا النجعة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء واكتفى بالنجع وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتنفت بكة جاء اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهن اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله تعالى الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى

وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم

والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل الا شهادة العدول الاخيار ويكون الرسول شهيدا عليكم يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت اخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله عم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبين الرسول فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله عم والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة وعن ابن عباس رضي الله عنه لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرأ ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون

منهم ح

الضمير في كانت لما دل عليه قوله ... [illegible]

قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين اتيناهم الكتاب

القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان يكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله عم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبرائيل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واظعن بالقوم شطر الملوك وقرأ ابي رضي الله عنه تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب رضي الله عنه قدم النبي عم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين يعملون قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل اية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذن لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا في حكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم

بكم نسخ

وهو مسجد قبا

على تمامه حتى اذا خفق المحدج

اضطربوا وتحركوا

يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل
عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا
تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون

معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء
غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله عم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم
قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رضي الله عنه راسه وجاز الاضمار وان لم
يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته
بانه وكونه علما معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد
للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم
لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم استثناء لمن امن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان
ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله عم او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه
هو الحق من ربك وان يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم
يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز
ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق من
ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة
قبلة وفي قراءة ابي رضي الله عنه ولكل قبلة هو موليها هو موليها فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها
اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد
ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة يتوجه اليها منكم
ومن غيركم فاستبقوا الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى اخر وهو ان يراد ولكل وجهة
منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا
يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات
وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل
صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون من حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت
للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به لحق من ربك وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا
التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة
الى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر فاختلفت
فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين
ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي
حجة تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له
لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين
قلت لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى

الكعبة

كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي
ولا تكفرون يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء عند ربهم ولكن
لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم واولئك هم المهتدون ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه

الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسماعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع
الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه
ووقف على حجة ثم استانف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا
امري وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك
او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي
الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا متصل بما
قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم بارسال الرسول في الدنيا او بما بعده اي كما ذكرتكم
بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا
نعماي اموات بل احياء هم اموات بل احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء
عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة
وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله
من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا
اربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على
ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا و
طرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي عم من استرجع
عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول
الله عم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة
وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم
ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف
على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله عم او لكل من يتاتى منه البشارة
وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي عم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد
عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت
موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رافة ورحمة رءوف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة
ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله تعالى الصفا والمروة
علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته
والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في
الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله

ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون

ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلنا كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا
رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان
اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية
وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلفوا في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه
من التخيير بين الفعل والترك كقوله غير وعلا فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله تعالى ومن تطوع خيرا
فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلا
جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه
وعند مالك والشافعي رحمهما الله هو ركن كقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع
بمعنى ومن تطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية
من البينات من الايات الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد
ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا
الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن
عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا
ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا اسمة الكفر عنهم ويعرفوا
بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هؤلاء
الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا
على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه
قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر
قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في
اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا
يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة اله واحد فرد في الالهية لا شريك
له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن
الرحيم المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة
واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا
وقالوا ان كنت صادقا فاتنا باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله تعالى جعل الليل والنهار
خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف
على انزل فداخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به فصارا جميعا
كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على

والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما
ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر
بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله
ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب
وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا منا كذلك
يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم
بخارجين من النار يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا
تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم
عدو مبين

فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح
في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح و
قيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر للرياح تقلبه كما تحب بمشية الله يمطر حيث
يشاء لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين
وتصريف الريح على الافراد اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم وما
يطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله و
الخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه
لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون
اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف
المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم
وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه
الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الاها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى
متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على
كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب
يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم
فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى
على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وقرئ
اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرا بدل من اذ يرون
العذاب اي تبرا المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرا مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء
للمفعول اي تبرا الاتباع من الرؤساء وراوا العذاب الواو للحال اي تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت
عطف على تبرا والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع
والاستتباع كقوله عز وجل لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه
قيل ليت لنا كرة فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات
ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين
هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص
حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا
في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات
بضمتين

وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل
الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا
الله إن كنتم إياه تعبدون

وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو وخطوات بفتحة
بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة
والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه إذا اقتدى به واستن سنته مبين ظاهر العداوة
ولا خفاء به إنما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير قط إنما يأمركم
بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب
فيه الحد وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما
يضاف إلى الله مما لا يجوز عليه فإن قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه
وبعثه على الشر بأمر الآمر كما تقول أمرتني نفسي بكذا وتحته رمز إلى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم
له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال
تعالى إن النفس لأمارة بالسوء لما كان الإنسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير للناس وعدل
بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لأنه لا أضل من المقلد كأنه يقول للعقلاء انظروا إلى هؤلاء
الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام
فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فإنهم كانوا خيرا منا وأعلم وألفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع
ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه أيتبعونهم ولو كان
آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين
كفروا كمثل الذي ينعق أو ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثلك ومثلهم في دعائك إياهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون
من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم
التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت لها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يعي
العقلاء ويفهمون ويجوز أن يراد بما لا يسمع الأصم الأصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا
النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل
البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون
أهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع إلا أن قوله إلا دعاء
ونداء لا يساعد عليه لأن الأصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن
قال الأخطل فانعق بضأنك يا جرير فإنما منتك نفسك في الخلاء ضلالا وأما نعق الغراب فبالغين المعجمة
صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لأن كل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالا
واشكروا لله الذي رزقكموها إن كنتم إياه تعبدون إن صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه مولى
النعم وعن النبي عليه السلام يقول الله تعالى إني والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري
وقرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم أهل به لغير الله أي رفع به الصوت
للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد

الجوعة

إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم إن الذين يكتمون ما أنزل
الله من الكتاب أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ليس البر أن
تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر

الجوعة فإن قلت في الميتة ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله عليه السلام أحلت لنا ميتتان ودمان
قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة ألا ترى أن القائل إذا قال أكل فلان الميتة
لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد كما لو قال أكل دما لم يسبق إلى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف
قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وإن أكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتأكلوا منه لحما
طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وإن سماه الله دابة في قوله إن
شر الدواب عند الله الذين كفروا فإن قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لأن الشحم داخل في ذكر
اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم في بطونهم ملء بطونهم
تقول أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه إلا النار لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة
عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي بدل منه قال أكلت دما إن لم أرعك
بضرة وقال يأكلن كل ليلة إكافا أراد في الإكاف فسماه إكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم
الله تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام
عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو
قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير
مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض
لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب فعل التعجب والذي روي عن الكسائي أنه قال قال لي قاضي اليمن
بمكة اختصم إلي رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك
على عذاب الله ذلك بأن الله نزل أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وإن الذين اختلفوا
في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن
الحق والكتاب للجنس أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا
فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم أساطير لفي شقاق بعيد يعني أن أولئك
لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسروا هو الآن البر اسم للخير ولكل فعل مرضي أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب الخطاب لأهل الكتاب لأن اليهود تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق
وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حول رسول الله عليه السلام إلى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن
البر التوجه إلى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما بينه
وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يحسن أن تذهلوا بشأنه عن
سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة إليه بر من آمن وقام بهذه الأعمال
وقرئ ليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم وقرأ عبد الله رضي الله عنه بأن تولوا على إدخال الباء على الخبر للتأكيد
كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن بالله على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو بتأويل البر بمعنى
ذي البر أو كما قالت فإنما هي إقبال وإدبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء

البر

والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب و
اقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك
الذين صدقوا واولئك هم المتقون يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى
فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه

وقرئ البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القرآن على حبه مع حب المال والشح
به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا
بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو
طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان
لانها صدقة وصلة وقال عم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء
منهم لعدم الالتباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر
ابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل
هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله عم للسائل حق وان جاء
على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها
وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل
ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه
الاية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث
نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على
من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد
ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر
والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز و
الحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رحمه الله ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل
بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله ان النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية
ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب
والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله انها منسوخة
بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله عم
المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا
واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول
فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله
عم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من
جهة اخيه يعني من العفو عما انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون
شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له
اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه
ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من

باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي
الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على
المتقين

الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى
بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال
عفى الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت
له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية فان قلت هلا
فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن
اعفاه ومنه قوله عم واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا
جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات
عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة
نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل
من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جراءة يستعاذ بالله منها فان
قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو بعض منه بان يعفى عن بعض
الدم او عفى عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن
اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف
بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا
يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التورية كتب
عليهم القصاص البتة وحرم عليهم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص
والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى
بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية
يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة
وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عم لا اعافي احدا قتل بعد
اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت
للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة
لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد
الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله
فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة
او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه
اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان
القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل
والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن

ومن بدّله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدّلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما
فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
لعلكم تتقون اياما معدودات

لعلكم تتقون اي اراتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل
التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة اذا حضر احدكم الموت
اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال و
اربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة الاف قالت
كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن
علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير
هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع
في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عم
ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر
وان كان من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع
له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به
الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي
للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل
وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين ~~فمن بدله~~ فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان
موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء
المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف ان الله سميع
عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شايع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون
التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطا في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح
بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل
باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين من قبلكم
على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني الصوم عبادة قديمة اصلية
ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها
لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصايم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عم
فعليه بالصوم فان الصوم وجاء او لعلكم ينتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه
كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا
بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعاشهم
فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء
وثلاثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان و
قيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله

مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا

اجلكم

فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم
ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي

لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة و
اصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام
كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة
وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار
فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان
يفطر فكذلك لكل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك
رحمه الله عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار
وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي رحمه الله لا يفطر
حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء رحمهم الله على التخيير وعن ابي
عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتره
وان شئت ففرقه وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم رضي الله عنهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي رضي
الله عنه فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام
المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا
لا يؤتى عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام
الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق
وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص
لهم في الافطار والفدية وقرأ ابن عباس رضي الله عنه يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او
القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه
ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه و
يتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم
تديّر المكان وما بها ديّار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه
على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه
ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ
وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن
يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم
خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي رضي
والصيام خير لكم الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما
ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه
عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم

أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة
من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون

فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اى يزعجهم اضجارا بشدته عليهم
وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر
ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في
الاحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت
هو من باب الحذف لا من الالباس كما قال بما اعيا النطاسي حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتداء
خبره الذي انزل فيه القرآن وعلى انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتداء محذوف
وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا
ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل
الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما يقول انزل في عمر كذا وفي علي
كذا وعن النبي عم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث
عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اى انزل وهو هداية للناس الى الحق
وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات
من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق
بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر
فليصمه فمن كان شاهدا اى حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف
وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله
ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص
لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما
فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين ولتكملوا الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره وليكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعنى جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة
عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من
كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف
المسلك لا يكاد يهتدى الى تبيينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه
متضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ
ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا
العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول
اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال
فانى قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه
فاذا دعى اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروى

واذا سألك عبادي عني فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم
وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود من الفجر

ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون
ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء
الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان
عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي
عليه السلام وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال
عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء
فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اى احل الله وقرأ عبد الله رضي الله عنه الرفوث وهو
الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس رضي الله عنه انه انشد
وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان
عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان
قلت لم كنى عنه هاهنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما
تغشاها باشروهن او لمستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم
به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت
لم عدى الرفث بالى قلت لتضمنه معنى الافضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما
على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت
ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن
مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن
تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب
فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا في
الوقوع من الولد بالمباشرة اى لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من
التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون
ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس
رضي الله عنه واتبعوا وقرأ الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب
ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في
الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دؤاد
فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به
عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر
واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة

فكانت عليه لباسا

وا طلبوا ما قسم الله لكم

ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله
آياته للناس لعلهم يتقون

حماني قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها
وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل
عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا
وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين
ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود
فلما اصبحت غدوت الى رسول الله فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض
القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات
لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه فان قلت فما تقول
فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط
احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيناه فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا
انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ
ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت
اما من لا يجوز تأخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح
عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم
على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم
رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها
والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة
الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف
وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد
فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون
مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد
جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت
كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل
بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي
ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا
عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله عم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك
ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله
ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه

ولا تدلوا بها

ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون يسئلونك عن الاهلة قل هي
مواقيت للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون
وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم
بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي عم انه قال للخصمين انما انا بشر
وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء
من حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي
فقال عليه السلام اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها
الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق
وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ روي
ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري رضي الله عنهما قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل
الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت
معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام
حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل
احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل
ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم
من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم
عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة
بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم
تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج
ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره
والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم
يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها
ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير
اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسئل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم
الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع
ابن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله عم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم
القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم
لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون
رسول الله عم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف
المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت واطلق لهم

واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم
فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فلا
عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا
ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين

وقاتلوا الذين يقاتلونكم ثم نسخ في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او
بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجأة
من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل
ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة
وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء
الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى
فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد
السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك
اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك
الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام
اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم
فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم
فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة اي شرك و
يكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين
او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون
عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال
وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون
حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة
اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا
واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين
ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم والباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى
ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره
ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك
الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او
عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا
من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري
رضي الله عنه نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله فنصرناه وشهدنا معه المشاهد

وآثرناه على

الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع
المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم
فما استيسر من الهدي

وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى
اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد
وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على
ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة و
التتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت من
الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما
لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام
جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل تمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وروي ذلك
عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد رحمه الله حجة كوفية
وعمرة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة
والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في
ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما
امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل
على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب
وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه صلى الله عليه وسلم الحج
جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن
عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال رضي الله عنه
هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج
ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر
ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه
بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجب عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذي ذكرناه اخرج
العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك
تأمره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها
عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى
الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول
وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر
في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي
حنيفة رحمه الله كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي رحمهما
الله منع العدو وحده وعن النبي من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي فما
تيسر منه

ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك
فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة
كاملة ذلك

يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي
وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج
او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدي
المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة رضي الله عنه يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار
وعندهما رحمهما الله في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه
ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا
ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه
وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فان النبي عم نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف
الحديبية الذي اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله عم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية
هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى
من رأسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احلق فدية من صيام ثلاثة ايام او صدقة على ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه ان رسول الله عم قال له لعلك
اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق رأسك وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة
وكان كعب رضي الله عنه يقول فيّ نزلت هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا اذى وامره
ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم
الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه
بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع
باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي
حنيفة رحمه الله عليه ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده
يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين
الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة
ويوما قبلها وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي رحمه الله لا يصام الا بعد الاحرام بالحج
تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم يعني اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة
رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله هو الرجوع الى اهاليهم وقرأ ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة
ايام كانه قيل فصيام ثلاثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة
قلت الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا
منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم
العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان
خير من علم وكذلك كاملة تأكيد اخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا

تاكيد بعد
جهتين بيانا

ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن
الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي
الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم

ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله
لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة ابي رضي الله عنه فصيام ثلاثة ايام متتابعات
ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام
عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من
اهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي رحمه الله اشارة الى الحكم الذي هو وجوب
الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضرو المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة
عند ابي حنيفة رح وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في
المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف
ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات
شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة رح وعند الشافعي رحمه الله تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر
وعند مالك رحمه الله ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من
افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة رحمه الله عليه
ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما
وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال
لو قيل ثلاثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا او على عهد
فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك رحمه الله
وهو مروي عن عمر وابن عمر رضي الله عنهما قلت قيل انها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر رضي الله عنه انه
كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر رضي الله عنه انه قال لرجل
ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل
من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة الى اخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن
عليهم وفيه ان الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه
بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله بالنية فلا رفث فلا جماع
لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز
بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب
في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها
وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين
بالرفع والاخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف
سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه

فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام

سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج و
استدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة
يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان
يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه ويؤيده قوله وتزودوا فان
خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن
لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم
ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون و
خافوا عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباب فكانه لا لب
له فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتاجروا
ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون
هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها ايام
الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح
ما لم يشغل عن العبادة وعن ابي امامة رضي الله عنه ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون
ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله عم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به
فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا
الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا فاذا افضتم
دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما
ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره
بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كأذرعات فان قلت هلا منعت
الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث قلت لا محل للتأنيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة
كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير
التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التأنيث في بنت لان
التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها
وصفت لابراهيم صلوات الله عليه حين كان يدور بها في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها
آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان
العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان يكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة
لا تكون الا بعده وعن النبي عم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل
والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء عند المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف

عليه الامام

واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم
فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب

عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا
وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر رضي الله عنه ان النبي عم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة
بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر
الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف
الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم
العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة
لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم صلوات الله عليه اجتمع فيها مع حواء رضي الله عنها وازدلف
اليها اي دنى منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون
الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية
حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا
ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس
والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون
بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن
الى غير كريم تأتي ثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم
بالذكر عند الافاضة من عرفات ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احديهما صواب والثانية خطأ وقيل
ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض
الناسي يعني آدم الى الناس وهو آدم صلوات الله عليه من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة
من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا
قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا
فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخركم ومفاخر آبائهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى
وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف
اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على آبائكم
بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه
فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين
آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو
النصيب او ما له في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنة ما هو طلبة الصالحين
في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة
في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما
كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما

كسبوا

واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون
ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل والله لا يحب الفساد

كقوله مما خطيئاتهم أغرقوا أو لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا أو من ثوابه
في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب بما كسبت أيديكم ويجوز أن يكون أولئك
للفريقين جميعا وأن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب
العباد فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة
أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي أنه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق
ناقة وروي في مقدار لمحة الأيام المعدودات أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير في أدبار الصلوات وعند الجمار وعن
عمر رضي الله عنه أنه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن
تعجل فمن عجل في النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الأمر و
استعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك
المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لأجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي
يسميه أهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي
رحمه الله ويروى عن قتادة وعند أبي حنيفة رح وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث
والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند أبي حنيفة رح وعند الشافعي لا يجوز فإن قلت كيف قال فلا إثم
عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت دلالة على أن التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا أو تأخروا فإن
قلت أليس التأخر بأفضل قلت بلى ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم و
الإفطار وإن كان الصوم أفضل وقيل إن أهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل
المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى أي ذلك التخيير ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج
المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب أن أحدهما يرهق صاحبه آثاما في الإقدام عليه لأن ذا التقوى
حذر متحرز من كل ما يريبه ولأنه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم
ويجوز أن يراد ذلك الذي مر ذكره من أحكام الحج وغيره لمن اتقى لأنه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير
للذين يريدون وجه الله من يعجبك قوله أي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الأخنس
بن شريق كان رجلا حلو المنطق إذا لقي رسول الله عم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال يعلم
الله أني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي ألسنتهم وقلوبهم أمر من الصبر فإن قلت
بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا قلت بالقول أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأن ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به
حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالإيمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول عم فكلامه إذن في
الدنيا لا في الآخرة ويجوز أن يتعلق بيعجبك أي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في
الموقف من الحبسة واللكنة أو لأنه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه أي
يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف أبي رضي الله عنه
ويستشهد الله وهو ألد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة

لأنهم يأكلون فيه رؤس الأضاحي

فبيتهم ليلا

وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله
رؤوف بالعباد يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين فإن زللتم من بعدما
جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله
ترجع الأمور

فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم والخصام المخاصمة وإضافة الألد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر
أو جعل الخصام ألد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة
وإذا تولى الغدر عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق سعى في الأرض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل
وإذا تولى وإذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم
حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على أن الفعل للحرث والنسل والرفع
للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو أبى يأبى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول أخذته العزة
بالإثم من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه أي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذي
ينهى عنه وألزمته ارتكابه وأن لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا أو على رد قول الواعظ يشري نفسه يبيعها
أي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان أراده
المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير إن
كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله و
أتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين
وفتحها وقرأ الأعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه كافة
لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته وقيل هو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم و
كتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث
الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من أنفاسها جرع على أن المؤمنين أمروا
بأن يدخلوا في الطاعات كلها وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها وأن
لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه استأذن رسول الله عم أن يقيم على السبت وأن
يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم فإن
زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات أي الحجج والشواهد على أن ما دعيتم إلى الدخول
فيه هو الحق فاعلموا أن الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم إلا بحق وروي أن
قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال إن كان هذا كلام الله فلا
يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه وقرأ أبو السماك زللتم بكسر اللام وهما
لغتان نحو ضللت وضللت إتيان الله إتيان أمره وبأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم
بأسنا ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه
بقوله فإن الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما أظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل
وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل أو على الغمام فإن
قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع
وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر

سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب
كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق والله
يهدي من يشاء وما اختلفوا فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم

فكيف اذا جاء الشر من حيث يحسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العقاب المستفظع لمجيئها من حيث
يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله تعالى قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي
الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الامر على المصدر المرفوع
عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما سل امر للرسول
صلوات الله عليه او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم من آية بينة
على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله آياته وهي
اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب
هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين
محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت كم استفهامية ام خبرية قلت يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير فان
قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد
ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف المزين
هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله
قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين
للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم
من الدنيا كابن مسعود رضي الله عنه وعمار وصهيب وغيرهم رضي الله عنهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن
لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين
من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او لانهم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما
يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق
من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره
فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه
المؤمنون احق بها منكم فان قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده
الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة متفقين على
دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا
فيه وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما
كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا
عليهم والاول هو الاوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس رضي الله
عنه انه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة
وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا
فيه في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين

اوتوا الكتاب

جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان
نصر الله قريب يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله
به عليم

اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا
في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم من الحق
بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير
وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله
والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال
لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان
ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا
قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من
الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم
يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصرة وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل
على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم
فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول
يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال
لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ما
ضية محكية فان قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون و
اجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم
وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها
طريق المصنع وعن ابن عباس رضي الله عنه انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق
من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع وهو
كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع
الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا
بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف
والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كأنهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليه
ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان
النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون
ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد
عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير
وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش
قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وعظم ذلك على اصحاب
السرية
اي يتفرق

معناه فانما مقبلة ومدبرة

ووقف رسول الله العير

كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون
يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة
اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم

وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله عم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنه لما
نزلت اخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسألك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه
بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا
لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام
فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل
على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره يعني وكباير
قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله
والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطاء والبناء على الظن والفتنة
الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على المعطوف به ولا يزالون يقاتلونكم
اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوكم عن دينهم وحتى معناها
التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم
كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع
عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من
ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي رحمه الله على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة
رحمه الله انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش
واصحابه رضي الله عنهم حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت
اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون
وانه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال
فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد
بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء للانصار
فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله عم فقال عمر رضي الله عنه اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله
عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن
عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلاء لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو ادخلت

ونبتت بيادة

[illegible]

قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله
لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة

تتبعني

اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف
بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه
ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب
عند ابي حنيفة رحمه الله عليه وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ثم
ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام
كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكر
هما وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع
من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا
تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس رضي الله عنه كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله
وماله قال اقول لهم بالشعب اذ ييسرون اي يفعلون لي ما يفعل الياسرون بالميسور فان قلت كيف
صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس
والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزونها
عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام
ليس فيهن ربح واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة
وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم
يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ
الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا
يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه
البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي عم اياكم وهاتين الكعبتين
المشؤومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين
كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما
وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل
بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال
بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي رضي الله عنه واثمهما اقرب ومعنى
الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو
ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي و
يقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي عم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب
اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله عم فاتاه من الجانب
الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها

اي العجم خوارزم

لعله عما في تعاطيهما

[illegible]

ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله
لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم اولئك يدعون
الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون

فتقدمونه بما حذفنا لو اصابته شدة او عسرة ثم قال يجي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس
انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والاخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق
بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او يتفكرون في الدارين
فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا
في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما
ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم و
الاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح
لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق
الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح لا يخفى على الله
من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله
لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرا طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه
ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز
غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرئ بضم
التاء اي لا تتزوجوهن او لا تزوجوهن والمشركات الحربيات والاية ثابتة وقيل المشركات الحربيات
والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من
المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك
ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره
فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن
لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان
المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركين والمشركات اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا
ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال والله يدعوا الى الجنة يعني
واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم
ومصاهرتهم وان لا يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة
والمغفرة وقرا الحسن رحمه الله والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض
مصدر يقال حاض محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر

ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن
من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم

ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان
اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها
في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس
من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت
وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم
باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود
كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة
وابو يوسف رحمهما الله يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن رحمه الله لا يوجب الا اعتزال الفرج
وروى محمد رحمه الله حديث عائشة رضي الله عنها ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حائض
فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم رضي الله عنه ان
رجلا سال النبي عم ما يحل لي من امراتي وهي حائض قال عم لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها
ثم قال وهذا قول ابي حنيفة رضي الله عنه وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرا
عبد الله رضي الله عنه حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين
مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة رحمه الله عليه الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل
وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وذهب الشافعي رحمه الله الى انه لا يقربها
حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن من حيث امركم من
المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب
ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم
بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان
ما ليس بمباح وغير ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن
من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم
التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من
اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث
امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها
في كلام الله اداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم
ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها
احول فذكر ذلك لرسول الله عم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال
الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا

وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم

على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك
القبايح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان
والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا
له وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا
من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت ما بال يسالونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا
قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات
سؤال مبتدأ وسالوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال
عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة
والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا
ومانعا منه يقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم
ومعنى الاية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان
الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا
تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال
النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن
يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف
عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تتعلق اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي
ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه
شيئا يعترض البر من اعترض كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي
ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف
مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله
غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطتهم واصلاح ذات بينهم
اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو
من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله عليهم اجمعين هو ان يحلف
على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي رحمه الله هو قول العرب لا والله وبلى والله
مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام
لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي
يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو

ان يحلف

لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة
اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم فان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء

وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقول وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين
الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب
اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم قرا عبد الله رضي الله عنه آلوا من نسائهم
وقرا ابن عباس رضي الله عنه يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن
في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم
من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة
اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن
ابراهيم النخعي رحمه الله وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث
القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة الاشهر بانت بتطليقة عند ابي حنيفة
وعند الشافعي رحمه الله لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى
طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله رضي الله عنه فان فاؤا فيهن فان الله غفور
رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون
على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان
عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى
قول الشافعي رحمه الله معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت
الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين
يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم
الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق
مما لا يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة
ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان
والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي
العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم
المشترك فان قلت فما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص
المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله
فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في
صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده ايضا فضل
تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما
قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة
بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال
فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء

ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا
اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم

وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام
الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام
دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وقال ابو عمرو بن
العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول
في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما
تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فان قلت فما تقول
في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم
في الاعتداد به اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لا
لاقتحامه في الحروب والغارات وانه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعن فيها او اراد من
اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فان قلت
فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن
مضي ثلاثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون
جمع القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما
في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع
قرء من الاقراء فأوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ
الزهري ثلاثة قرو بغير همزة ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت
المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها
او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط
ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه
ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من
العظائم والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد
بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن
وفي قراءة ابي رضي الله عنه بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا
احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها قلت المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المرأة
وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة
اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن
مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه
الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم
ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة

لا في جنس

الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما
حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به

كما قال الرجال قوامون على النساء

في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله
بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل
وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى
التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة
واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد
كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك
وهذاذيك ودواليك وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم
كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح
الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف
اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد
بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال عم او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه
الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه
لما روي في حديث ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله عم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا
فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي رحمه الله لا بأس بارسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن
امرأته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله فلم ينكر عليه وروي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت
تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله فقالت يا رسول
لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر
في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا
واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول
خلع كان في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه
قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن
قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير
عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند
الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون مما آتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا
الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية
لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت
فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر
مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل

تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره

ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده أقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا إذا كان النشوز منها فإن كان منه كره له أن يأخذ منها شيئا وقرئ إلا أن يخافا على البناء للمفعول وإبدال أن لا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه إقامة حدود الله ونحوه وأسروا النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله رضي الله عنه إلا أن تخافوا وفي قراءة أبي رضي الله عنه إلا أن يظنا ويجوز أن يكون الخوف بمعنى الظن يقولون أخاف أن يكون كذا وأفرق أن يكون كذا يريدون أظن فإن طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه أو فإن طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور أنه لا بد من الإصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن رفاعة طلقني فبت طلاقي وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وإنما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت إنه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الأول فلن أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت أرجع إلى زوجي الأول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي إليه فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه قالت مثله لعمر رضي الله عنه فقال إن أتيتني بعد مرتك هذه لأرجمنك فمنعها فإن قلت ما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والأوزاعي وأبو عبيد ومالك وغيرهم إلى أنه غير جائز وهو جائز عند أبي حنيفة رضي الله عنه مع الكراهة وعنه أنهما إن أضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا إلا نكاح رغبة غير مدالسة فإن طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما أن يتراجعا أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج إن ظنا إن كان في ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لأنك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولأن الإنسان لا يعلم ما في الغد وإنما يظن ظنا فبلغن أجلهن آخر عدتهن وشارفن منتهاها والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الإنسان أجل وللموت الذي ينتهي به أجل وكذلك الغاية والأمد يقول النحويون من لابتداء الغاية وإلى لانتهاء الغاية وقال إذا انتهى مدة ويتسع في البلوغ أيضا فيقال بلغ البلد إذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وإنما شارف ولأنه قد علم أن الإمساك بعد تقضي الأجل لا وجه له لأنها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فأمسكوهن بمعروف فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة أو سرحوهن بمعروف وإما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان

من الدلس وهو الظلمة

اجل

فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم وإذا طلقتم النساء فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف

الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الإمساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن إلى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا أي جدوا في الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الأمر إنما أنت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا وإلا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وبنبوة محمد عليه السلام وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما أنزل عليكم فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج والمعنى أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وإما أن يخاطب به الأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن روي أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه أن يكون خطابا للناس أي لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة وإن قصائدي لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح وبلوغ الأجل على الحقيقة لا على المشارفة كما في الآية الأولى وعن الشافعي رحمه الله عليه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين إذا تراضوا إذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنها إذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللأولياء أن يعترضوا فإن قلت لمن ذا في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد ونحو ذلك خير لكم ذلكم أزكى لكم وأطهر من أدناس الآثام وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاة والطهر وأنتم لا تعلمونه أو والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام والشرائع وأنتم تجهلون يرضعن مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لأنه مما يتسامح فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس رضي الله عنه أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وأن تتم الرضاعة وأن يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأن بما لتآخيهما في التأويل فإن قلت كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه إليه الحكم كقوله هيت لك لك بيان للمهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعي رحمه الله يجوز فإذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فإن قلت

بيان لتظلموهن

لا يكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك

فالمراد بالوالدات مامورات بان يرضعن اولادهن فلتحمل اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وفي محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للاباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد للمامون بن الرشيد فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللاباء ابناء فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحدهما ما ليس في وسعه ولا يتضار وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها وقراءة لا تضار بالفتح اكثر القراء وقراءة الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين ايضا ويبين ذكرانه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرا ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان يكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى رحمه الله كل من ورثه وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات الاب وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام

فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء

ارضاعها وقيل على الوارث مما الباقي من الابوين من قوله وجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوزانها الا عن تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وان اردتم ان تسترضعوا يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنا ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في امره فامرنا بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا ادبتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تعجيل الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون اجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم به هو ان تقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالة له قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة رضي الله عنها

ما ادعيتم ايتاءه ... الصلوة ...

لعله استحجته

... بالنصب ...

او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم

وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما عبر بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلتم بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لاداته الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت ويريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا فحش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستحيى منه لان مسارتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس رضي الله عنه الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يقول انك لجميلة وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة رضي الله عنه الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي عليه السلام انه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان

بمسها

الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم

مسها امتعها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات فان قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله او يعفو الذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي رحمه الله وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرأ الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاهما وقرأ ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرأ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلوة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي عليه السلام انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة رضي الله عنها انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املي عليك كما سمعت رسول الله عليه السلام يقرؤها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وروي بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضي الله عنه هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله عليه السلام يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلاث وقرأ عبد الله رضي الله عنه وعلى الصلوة الوسطى وقرأت عائشة رضي الله عنها والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون

والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن
في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون

في الصلوة تنهوا او عن مجاهد هو الركود وقيل الابرد والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة
هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان
كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل بمعنى راجل
رجلا اي راجلا وقرئ فرجالا بضم الراء ورجّالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة رضي الله عنه لا يصلون
في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي رحمه الله يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط
عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن
او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع وكيف تصلون
في حال الخوف وفي حال الامن تقديره ومن قرأ وصية بالرفع وصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون
وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم ومن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية
كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله رضي الله
عنه كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم متاعا الى الحول وقرأ ابي رضي الله عنه متاع لازواجهم متاعا وروي عنه رضي الله عنه فمتاع
لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمر يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي رضي الله عنه
متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمدا لك واعجبني ضربك زيدا ضربا شديدا
وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل منه من متاعا او حال من الازواج
اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع
ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول
الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت
النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض
للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون
الاية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب
وجهك في السماء وللمطلقات متاع عمم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن
وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير و
ابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا
وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار
وتعجيب من شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى
التعجب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله
ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل
وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما رأى فاوحي اليه ناد

فيهم ان

الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن
اكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له
اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون الم تر الى الملإ من
بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل
في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا فلما كتب عليهم القتال
تولوا الا قليلا منهم والله عليم
بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله

66

فناداهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت
وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم
وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذكر مبلغهم فقيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير
الوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم
وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله تعالى ومشيته وتلك ميتة
خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا
اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت
اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم
ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث
احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق
هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله واعلموا ان الله سميع
يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء اقراض الله
مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه والغرض الحسن اما المجاهدة في نفسها او النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة
قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لنبي لهم هو يوشع
او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى
امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها
ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا ساموا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون
والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون
بالملك قالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة ملكا وخبر عسيتم الا تقاتلوا
والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان
يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون
واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان
معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا ان لا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال
واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم
بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم
ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال و
ترك الجهاد طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول
لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان اشتقاقه

صرفه

اي المفعول

وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله

يمتنع ان يكون منه الالف ثم طالوت علم عبراني كداود وجعله فعلوتا من الطول يدفعه منع صرفه قيل لو كان عربيا لكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى اي كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك لان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه يؤتي ملكه من يشاء في الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك التابوت صندوق التوراة وكان موسى صلوات الله عليه اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه صلوات الله عليه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى صلوات الله عليه فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل صلوات الله عليهم بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار وكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت رضي الله عنهما التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله عم فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى صلوات الله عليه وقرئ كلم

الله بالجنب

اليه فهو اذن

فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم

اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأها بالهاء فهو فاعول عند الاخفش جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التأنيث وقرأ ابو السماك سكينة بالفتح والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء فان قلت من آل موسى وآل هرون قلت الانبياء من آل يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب وكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود وروي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتداء شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وتقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فانه مني استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي والاعمش رضي الله عنهما الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل

المفعول ح

الاشتراك كمن عطف عليه البرد وهو انعم ح

فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين

عليه كانت تقبل لم يطيعوه الا قليل منهم وهو قوله الغرفة لم يدع من الماء الا ستة
او نحلة كانه قال لم يبق من الماء الا ستة او نحلة وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا والذين آمنوا يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين
اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون
يختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين
انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر
اولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل
لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة
من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به
في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلوب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشى
ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم
فاوحي الى اشمويل صلوات الله عليه ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه
فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت
فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله
ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل
على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب
وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم
لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث
والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض
بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل
اهل الارض تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم
وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي
بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين
حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل اشارة
الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك
من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى صلوات الله عليه وقرئ كلم

الله بالنصب

ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي
يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم

٦٨

كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات
اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا
صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف آية او اكثر
ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء صلوات الله عليهم لانه المعجزة الباقية
على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على
انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف
واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس
فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي
لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابراهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس رضي الله عنه كنا
في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى
برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه
لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى صلى الله عليهما من بين الانبياء صلوات
الله عليهم بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث
جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات
خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان
نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل
غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل
لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء
ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة
انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما
فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم
ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثمة في زيادة
الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما
قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء
وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ
القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان
اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم

له ما في السموات والارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء
من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم

فضل آية الكرسي وصفاتها

لانه من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى صلوات الله عليه ارسال الملائكة وكان ذلك من قومه
كطلب الرؤية ان ينام ربنا فاوحى الله اليه ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين
فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهولاء اني امسك السموات
والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا
لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من
الملائكة والانبياء من علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد
وفي قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته

الآية

وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل
لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا
تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي
انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن رحمه الله الكرسي
هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي الشان العظيم الملك
والقدرة فان قلت كيف ترتبت الجمل في اية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على
سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا
ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما
يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب
للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم
قدره فان قلت لم فضلت هذه الاية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عم ما قرئت هذه
الاية في دار الا اهجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا
علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت
نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من
دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله
على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم افضل ما في القرآن
فقال لهم علي رضي الله عنه اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله عم يا علي سيد البشر ادم و
سيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد
الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة
اية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده

وصفاته

لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين امنوا يخرجهم من
الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان اتاه الله الملك

اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها

تمامه والاثر للباب الناس خشادا

69

وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف
العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين
تلقاها محسدة لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار
ونحوه قوله عز وعلا ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي
لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان
من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله فقد
استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم
بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به
وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله تعالى جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية
وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله عم ثم قدما المدينة فلزمهما
ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله عم فقال الانصاري رضي الله عنه
يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين امنوا اي ارادوا ان يؤمنوا
يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك
او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها
الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك
والشبهة الم تر تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره به ان اتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما
حاج لان اتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع
المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان اتاه الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني
فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان اتاه الله فان قلت كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر قلت
فيه قولان اتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه
امتحانا لعباده واذ قال نصب بحاج او بدل من ان اتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد
اعفي عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم صلوات الله عليه لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه
فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل
من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابراهيم الكافر وقرا ابو حيوة فبهت بوزن قرب
وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من
ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي معناه او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة
الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت كالذي حاج

ابراهيم

فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك
لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله
على كل شيء قدير قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك

أو كالذي مر على قرية والمار كان كافراً بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي
هي أنى يحيي وقيل هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم صلوات
الله عليه وقوله أنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين
خربه بختنصر وقيل هي التي خرج منها الألوف وهي خاوية على عروشها تقديره فلبث بعد يوماً أو بعض يوم بناء
على الظن روي أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً ثم التفت فرأى
بقية من الشمس فقال أو بعض يوم وروي أن طعامه كان تيناً وعنباً وشرابه عصيراً أو لبناً فوجد التين والعنب
كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه أي لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين
لأن لامها هاء أو واو وذلك لأن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه
حرف علة كتقضي البازي ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان
كأنه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه فانظر إلى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ أبي
رضي الله عنه لم يسنه بإدغام التاء في السين وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار
قد ربطه ويجوز أن يراد وانظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام
من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد إحياءه
بعد الموت وحفظ ما معه وقيل أتى قومه راكب حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا
التوراة فأخذ يهذها هذاً عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفاً فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ
التوراة ظاهراً أحد قبل عزير صلوات الله عليه فذلك كونه آية وقيل رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخاً
وهو شاب فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر إلى العظام هي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين
تعجب من إحيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا
وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له
أن الله على كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني
وضربت زيداً ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعني أمر إحياء الموتى وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فلما
تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الأمر وقرأ عبد الله رضي الله عنه قيل اعلم فإن قلت
فإن كان المار كافراً كيف يسوغ أن يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن إذ ذاك كافراً
أرني بصّرني فإن قلت كيف قال له أولم تؤمن وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً قلت ليجيب بما
أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى إيجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن
ليطمئن قلبي ليزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة
أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم
الضروري فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فإن قلت بم تعلقت اللام في
ليطمئن قلبي قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب فخذ أربعة من الطير قيل

طاوساً

ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة
يتبعها أذى

٧٠

طاوساً وديكاً وغراباً وحمامة فصرهن إليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن إليك قال ولكن
أطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس
رضي الله عنه فصُرّهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره إذا جمعه نحو ضره يضره وعنه فصرّهن
من التصرية وهو الجمع أيضاً ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً يريد ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل
من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك قيل كانت أربعة أجبل وقيل سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين بإذن الله
يأتينك سعياً ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن فإن قلت ما معنى أمره بضمها إلى
نفسه بعد أن يأخذها قلت ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم
أنها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعياً وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط
ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعاً من كل طائر
ثم يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن
كل جثة إلى رأسها وقرئ جزؤاً بضمتين وجزّاً بالتشديد ووجهه أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد
في الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم
كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سبباً أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض و
الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقاً يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا
التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر فإن قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود
قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المغلة فيبلغ
حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحاً على سبيل الفرض والتقدير فإن قلت هلا قيل سبع سنبلات
على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء من
وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق
لتفاوت أحوال المنفقين أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستوجب ذلك المن
أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقاً له وكانوا يقولون إذا صنعتم
صنيعة فانسوها ولبعضهم وإن امرأ أسدى إلي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم صنوان
من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن ومنها طعم الآلاء أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن والأذى
أن يتطاول عليه بسبب ما أزل إليه ومعنى ثم إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى وأن تركهما خير
من نفس الإنفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فإن قلت أي فرق
بين قوله لهم أجرهم وقوله فيما بعد فلهم أجرهم قلت الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق
بينهما من جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة على أن الإنفاق به استحق الأجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول
معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول أو ونيل مغفرة من الله
بسبب الرد الجميل أو وعفو من جهة السائل لأنه إذا رده رداً جميلاً عذره خير من صدقة يتبعها أذى

صح بالواو

على وزن فعال

والله غني حليم يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم
يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات

وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة **والله غني** لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي **حليم** عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه **كالذي ينفق ماله** اي لا تبطلوا صدقاتكم **بالمن والاذى** كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضاء الله ولا ثواب الآخرة **فمثله كمثل صفوان** مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس **عليه تراب** وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان **فاصابه وابل** مطر عظيم القطر **فتركه صلدا** اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق **لا يقدرون على شيء مما كسبوا** كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق **وتثبيتا من انفسهم** وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله **كمثل جنة** وهي البستان **بربوة** بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا **اصابها وابل** مطر عظيم القطر **فآتت اكلها** اي ثمرتها **ضعفين** مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل **فان لم يصبها وابل فطل** مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان تطلب بها وجه الله وتبذل فيها الوسع زاكية وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف **فاصابها اعصار** ريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عنها الصحابة رضوان الله عليهم فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنه في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر

لا يقدرون بيانه

[illegible]

71

فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وما يذكر الا اولوا الالباب وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار
ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء

صبيانه افقر ما كان الى جنته واحدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان يكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل **ايود احدكم** لو كانت له جنة واصابه الكبر **من طيبات ما كسبتم** من جياد مكسوباتكم **ومما اخرجنا لكم** من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات **ولا تيمموا الخبيث** ولا تقصدوا المال الرديء **منه تنفقون** تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله رضي الله عنه ولا تأمموا وقرأ ابن عباس رضي الله عنه ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده **ولستم باخذيه** وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم **الا ان تغمضوا فيه** الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرأ الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ **الفقر** بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا **ويامركم بالفحشاء** ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل **والله يعدكم** في الانفاق **مغفرة** لذنوبكم وكفارة لها **وفضلا** وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا عليه في الآخرة **يؤتي الحكمة** يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه **فنعما هي** فنعم شيئا ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها **وان تخفوها وتؤتوها الفقراء** اي وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء

عنه اي يعدكم في الانفاق الفقر ونقول [illegible]

[illegible]

فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا وما تنفقون من خير فان الله به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية

فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرايض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرايض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتداة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ يكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرئ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون وليست نفقتهم نفقتكم الا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلفوا في الواجب فجوز ابو حنيفة رضي الله عنه صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله عز وعلا في تسع آيات ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله عليه السلام فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول الله عليه السلام يوما على اصحاب الصفة فراى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسالة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي عليه السلام ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سالوا يتلطفون ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على

فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة رضي الله عنه كان اذا مر بفرس سمين قرا هذه الآية الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتب الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورايتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجايب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرا ابي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا يذهب الله ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها وروي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرا الحسن ما بقا بقلب الياء الفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول

وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من
الربوا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان
ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت ولا يظلمون يا
أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب

جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ما في العزيمة ما في حكمه حتى إن كنتم مؤمنين إن صح إيمانكم يعني أن دليل
صحة الإيمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك فأذنوا بحرب فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به
وقرئ فآذنوا فأعلموا بها غيركم وهو من الأذن وهو الاستماع لأنه من طرق العلم وقراءة الحسن فأيقنوا
وهو دليل لقراءة العامة فإن قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع
من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم
من الارتباء فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فإن قلت
هذا حكمهم إن تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم
لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو عسرة وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة أو ذو إعسار وقراءة
عثمان بن عفان رضي الله عنه ذا عسرة على وإن كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة
فالحكم أو فالأمر نظرة وهي الإنظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره
أي منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل
وعنه فناظره على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها إلى ميسرة إلى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة
ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله وأخلفوك عد
الأمر الذي وعدوا وقوله تعالى وإقام الصلوة وأن تصدقوا خير لكم ندب إلى أن يتصدقوا برؤس
أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها كقوله عز وعلا وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل أريد بالتصدق
الإنظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون أنه خير لكم
فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء ترجعون
قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله رضي الله عنه تردون
وقرأ أبي رضي الله عنه تصيرون وعن ابن عباس رضي الله عنه أنها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس
المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله عم بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين وقيل سبعة
أيام وقيل ثلاث ساعات إذا تداينتم إذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل إذا عاملته بدين
معطيا أو آخذا كما تقول بايعته إذا بعته أو باعك قال رؤبة داينت أروى والديون تقضى فمطلت
بعضا وأدت بعضا والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فإن قلت هلا قيل إذا تداينتم إلى أجل مسمى وأي
حاجة إلى ذكر الدين كما قال داينت أروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله فاكتبوه إذ
لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال فإن
قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والأشهر و
الأيام ولو قال إلى الحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وإنما أمر بكتبة الدين لأن ذلك
أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والأمر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنه أن المراد به السلم وقال
لما حرم الله الربوا أباح السلم وعنه أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول

آية

وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو
فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحديهما
فتذكر إحديهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا

آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له أي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط
لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه
معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيها دينا ولا يأب كاتب
ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة
الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك أي ينفع الناس
بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية فكما علمه الله يجوز أن يتعلق بأن يكتب
وبقوله فليكتب فإن قلت أي فرق بين الوجهين قلت إن علقته بأن يكتب فقد نهي عن الامتناع
من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وإن علقته بقوله فليكتب
فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ثم أمر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن الممل
إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به والإملاء والإملال لغتان قد نطق بهما
القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا
سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير
مستطيع للإملاء بنفسه لعي به أو خرس فليملل وليه الذي يلي أمره من وصي إن كان سفيها أو صبيا أو
وكيل إن كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله أن يمل هو فيه أنه غير مستطيع بنفسه
ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين من
رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام عند عامة العلماء رحمهم الله وعن علي رضي الله
عنه لا يجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي أنها جائزة ويجوز عند أبي حنيفة شهادة
الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فإن لم يكونا فإن لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد
رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي حنيفة رحمه الله فيما عدا الحدود والقصاص
ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم أن تضل إحديهما أن لا تهتدي إحديهما للشهادة بأن تنساها من ضل
الطريق إذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أي إرادة أن تضل فإن قلت كيف يكون ضلالها مرادا
لله قلت لما كان الضلال سببا للإذكار والإذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب
منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار فكأنه قيل
إرادة أن تذكر إحديهما الأخرى إن ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه وأعددت
السلاح أن يجيء عدو فأدفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان فتذاكر وقرأ حمزة إن تضل
إحديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ أن تضل إحديهما
على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل إحديهما الأخرى ذكرا يعني أنهما إذا اجتمعتا
كانتا بمنزلة الذكر إذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما
يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد فنزلت

أي انتصاب بمحل تضل

صح بفتح الراء

والحواء جماعة بيوت من الناس مجتمعة والجمع الأحوية وهي من الوبر

ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى
ان لا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب
ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فان
امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه

كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرة مداينتهم فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل لكثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اقر به الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه على سفر مسافرين وقرأ ابن عباس وابي رضي الله عنهما كتابا وقال ابن عباس رضي الله عنه ارأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك رحمه الله يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الداينين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرأ ابي رضي الله عنه فان اومن اي آمنه الناس ووصف المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن

[margin: الربح]

[margin: امانته بيان]

ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

بيان
بودي

الداين به وامنه منه وايتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو مضمون لايتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراء ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فتقول الذي ايتمن او الذتمن وعن عاصم انه قرأ الذي اتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء من استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه انه تلاها فقال لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس رضي الله عنه فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله نفسا وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنون اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله تعالى وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه رضي الله عنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت

[margin: في قلبه بالنصب ... ورد عليه الشيخ]

[margin: خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ]

لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين
من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم الكافرين

كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لان الواحد اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه
شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو لا يفرق بالياء على ان الفعل
لكل وقرأ عبد الله رضي الله عنه لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا
اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون
الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة
والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر
من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم
خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة
اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما
لا دلالة فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطاء متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت
ذكر النسيان والخطاء والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان
والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم
كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطاء فكان وصفهم بالدعاء
بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطاء مما يؤاخذ به فما فيهم
سبب مؤاخذة الا الخطاء والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته
والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف
الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي
ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من
العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من
العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير
لقوله لا تحمل علينا اصرا مولينا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر
عبيده وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه
عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله آيتين
من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه من قيام الليل
فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قراءة البقرة قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم
من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله الا غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين

قولك

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد
والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات

75

بين قولك سورة الرحمن وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله عز وجل
واسأل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر
فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة
قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما
فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي
همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان
ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن
قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها
حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم
وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء
الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم
النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن
انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم
ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت
فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتورية والانجيل
اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ
الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل
الكتاب وانزل التورية والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب
بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى صلوات الله عليهما ومن قال نحن متعبدون
بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق
بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل
من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر
القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا
لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء
في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من
الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته
اثلة اي اصلا وتأثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه هذا حجاج على من زعم ان عيسى
كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات

تصغير الاصم

وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا
به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب
ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا
أولئك هم وقود النار

أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات محتملات هن أم الكتاب أي أصل
الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها ومثال ذلك لا تدركه الأبصار إلى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء
أمرنا مترفيها فإن قيل فهلا كان القرآن كله محكما قيل لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا
عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل
إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل
فيه ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة
والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف
إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر
وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه به المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده
وقوة في إيقانه الذين في قلوبهم زيغ هم أهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه
الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق ابتغاء الفتنة
طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب أن يأولوه التأويل الذي يشتهونه
وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله
وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا في العلم وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف
على قوله إلا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه ومعرفة
الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والأول هو الوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال
الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أي بالمتشابه كل من عند ربنا أي كل واحد منه
ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف
كتابه وما يذكر إلا أولو الألباب مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز أن يكون يقولون
حالا من الراسخين وقرأ عبد الله رضي الله عنه إن تأويله إلا عند الله وقرأ أبي رضي الله عنه ويقول الراسخون لا تزغ
قلوبنا أي لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا وأرشدتنا لدينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت
بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب
جامع الناس ليوم أي لجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على
الأصل إن الله لا يخلف الميعاد معناه أن الإلهية تنافي خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيب سائله
والميعاد الموعد وقرأ علي رض لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من نحو قوله
من الله مثله في قوله إن الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله شيئا أي بدل
رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك
وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى أهل
وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قريظة والنضير الدأب

كدأب

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم
وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة
لأولي الأبصار زين للناس حب الشهوات

دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب
هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني
عنهم مثل ما لم تغن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم تقول إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد كظلم أبيك ومثل
ما كان يظلمهم وإن فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم بما فعلوا
وفعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم
اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى
وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقيل جمعهم رسول
الله عم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال عم يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا
قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم
لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لتعلمن أنا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون
بالياء كقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون فإن قيل أي فرق بين القرائتين
من حيث المعنى قلنا معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم فهو إخبار
بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الأمر
بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال أد إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون
قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد
المشركين قريبا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم
ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم
يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم فإن قيل فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال
ويقللكم في أعينهم قلنا قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل
والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان
وقوله وقفوهم إنهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية وقيل
يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فإن يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين بعدما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله إن يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف وكان الكافرون
ثلاثة أمثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف ترونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أي
يريهم الله تعالى ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب
على الاختصاص أو على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة
كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس المزين هو الله سبحانه
للابتلاء كقوله إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية
الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لأنا لا نعلم أحدا أذم لها من خالقها حب الشهوات جعل

صح بالضم

تقديره بآياتنا

من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا
والله عنده حسن المآب قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة
ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام

الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح فان قلت أليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالى فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عاملا فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم

شهادة

وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب

في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كأنه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله رضي الله عنه القائم بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كأنه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله رضي الله عنه ان لا اله الا هو وقرأ ابي رضي الله عنه ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فان قلت علام عطف في هذه القراءة والملائكة واولوا العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كأنه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان يكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا تجويز لله بغيا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤن اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد عم حيث آمن به بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى عم ومنهم من آمن بعيسى عم وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التورية سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى عم بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله

وان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم

فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبت عندكم صحته كما ثبت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وجل فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي هل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى قرأ الحسن ويقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون النبيين الذين يأمرون وقرأ عبد الله رضي الله عنه وقاتلوا وقرأ ابي رضي الله عنه يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله عم والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال عم رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال صلوات الله عليه يا ابا عبيدة قتلت بنوا اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار في الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح المحفوظ التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله عم دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال عليه السلام على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال عم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل

اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب

نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله عم ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والمخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي اللهم الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الاخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله عم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله عم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله عم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال عم اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال عم اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال عم اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر

لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات والأرض والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا

على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فإنه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليها اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب إلا أن تتقوا منهم تقية إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الأمير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم أن العالم الذات الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا ويجوز أن ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود فإن قلت فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا أي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والأمد المسافة كقوله

يا ليت بيني

وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم

ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله عليه السلام أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملؤوا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحبكم من حبه يحبه قال أحب أبا ثروان من حب تمره وأعلم أن الرفق بالجار أرفق والله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق فإن تولوا يحتمل أن يكون ماضيا وأن كان مضارعا بمعنى فإن تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم آل إبراهيم إسماعيل وإسحق وأولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم ابنة عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل إبراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من إسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن إيشى بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلوات الله عليهم وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء أو يعلم أن بعضهم من بعض في الدين أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها وإذ منصوب به وقيل بإضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله إذ قالت امرأة عمران على إثر قوله وآل عمران مما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه أن موسى يقرن بإبراهيم كثيرا في الذكر فإن قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهارون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على أنه عمران أبو البتول لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة وروي أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت فبيناهي في ظل

اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت
وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن

شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني
ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي
حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من
النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل
وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق
ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تأويل الجبلة
او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى
انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتأنيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم
في ما كانت امك لتأنيث الخبر ونظيره قوله فان كانتا اثنتين واما على تأويل الجبلة او النسمة فهو ظاهر
كانه قيل اني وضعت الجبلة او النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول
قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر
ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله
اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت
وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت
وفي قراءة ابن عباس رض والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم
من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية
لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم
للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فان قلت
علام عطف قوله اني سميتها مريم قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان
كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى
العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها
ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود
يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته
فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل
من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل
وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي لما تؤذن
الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا
ولو سلط ابليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي
بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء

مطلب نذر مريم

مطلب مس الشيطان المولود حين يولد

كالسعوط

وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله
يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل
ما يشاء

كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد به وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها
انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة وروي ان حنة حين ولدت
لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت
لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس
بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا حتى نقترع عليها فانطلقوا
وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها
والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو
الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى
استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي وخير الامر
ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين
ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها
وقرئ وكفلها زكريا بوزن وعملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والله الفاعل يعني وضمها
اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وتزيدها قراءة ابي رضي الله عنه واكفلها من قوله تعالى اكفلنيها وقرأ
مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك
اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد اي غرفة يصعد
اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل
كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة
ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل من الجنة عليها ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها
فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق
الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد
قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى عم وهو في المهد وعن النبي صلعم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رغيفين
وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت
وعلمت انها من عند الله فقال لها عم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير
حساب فقال عم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلعم علي بن ابي طالب
والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان
الله يرزق من جملة كلام مريم عليها السلام او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بغير بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد
عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى زكريا حال مريم في كرامتها
على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا
عجوزا

قال اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار واذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين

فقد كانت امها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية
تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء مجيبه قرأ فناديه الملائكة وقيل ناداه جبرئيل وانما قيل الملائكة على قولهم
فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول
وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وابشره وبشرك بفتح الباء من بشر ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر
فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة بعيسى مؤمنا
به وقيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير اب وقيل
مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا
الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف فكان يحيى عليه السلام فائقا على الناس كلهم في انه لم يركب سيئة
قط ويا لها من سيادة وحصورا الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل
في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين
ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين
انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية
والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة كذلك اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة
مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة
الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات آية اعرف بها الحبل لا
تلقى النعمة بالشكر قال آيتك ان لا تقدر على تكلم الناس ثلاثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلم انه
يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر
ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت
لم حبس لسانه من كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء
حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية لاجلها كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له
آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه
قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين
جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك
وتستطارا بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين زوال
الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر
كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما ادى
مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا يا مريم روي انهم
كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام اصطفاك اولا حين تقبلك من امك
ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفتك به اليهود واصطفاك

آخرا

يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم
وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن
المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه
الكتاب والحكمة

آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلوة بذكر
القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلوتك
مع المصلين اي في جماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم
ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع
مع الراكعين ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى وعيسى ومريم صلوات الله عليهم يعني ان ذلك
من الغيوب التي لا تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة
وترك نفي استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس
من اهل السماع والقراءة وكانوا ينكرون للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد و
الاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما
كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم
وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التورية اختاروها
للقرعة تبركا بها اذ يختصمون في شأنها تنافسا في التكفل بها فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق
قلت بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون
المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك
كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم
في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من اذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون
على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى
بن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها
انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على سائر العالمين فان قلت لم ذكر
ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة اشياء
الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من
غيره فكانه قيل الذي يعرف ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة لانه قد يكون مسيح في الدنيا وهو
المبارك ولا يكون عيسى وقد يكون ولا يكون ابن مريم وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين
ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة
والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من
المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر في المهد
في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس
في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة والكهولة التي يستحكم فيها العقل
ويستنبأ فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبرائيل بمعنى يا سيدي ويعلمه عطف

في عيسى

والتورية والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم باية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه
فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان
فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التورية ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون
ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله
واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين

على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا وقرا عاصم ونافع ويعقوب بالياء فان قلت
على ما يحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله انى قد جئتكم وما بين يدى يابى حملها عليها قلت
هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلته على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة
ونقول ارسلته رسولا بانى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى والثانى ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه
قيل وناطقا بانى اصدق ما بين يدى وقرا اليزيدى ورسول عطفا على كلمة انى قد جئتكم اصله ارسلته
بانى قد جئتكم بحذف الجار وانتصب بالفعل وانى اخلق لكم نصب بدل من انى قد جئتكم او جر بدل من اية
او رفع على هى انى اخلق لكم وقرئ انى بالكسر على الاستيناف اى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف
اى فى ذلك الشىء المماثل كهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كساير الطيور حيا طيارا وقرا عبدالله فانفخها
قال كالهيئة تتحى بنفخ الهمزة وقيل انه لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذى ولد اعمى وقيل هو ممسوح العين ويقال
لم يكن فى هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير وروى انه ربما اجتمع عليه خمسون
الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده
وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالوهية وروى انه احيا سام بن نوح عم وهم ينظرون
فقالوا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ولاحل
رد على قوله باية من ربكم اى جئتكم باية ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اى جئتكم
باية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم فى شريعة موسى عليه السلام الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك
وكل ذى ظفر فاحل لهم بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا فى احلاله
السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدى من التورية او الله عز وجل او موسى عم لان ذكر التورية
دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتى
وهى قولى ان الله ربى وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من
اية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا القول اية من ربه قلت لان الله جعله علامة يعرف
بها انه رسول كساير الرسل حيث هداه للنظر فى ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم باية اى
جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتى بغير اب
ومن كلامى فى المهد ومن ساير ذلك وقرا عبدالله وجئتكم بايات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات واطيعون
فيما ادعوكم اليه ثم ابتدا فقال ان الله ربى وربكم ومعنى ثم فتح دلان ربى وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس
عيسى فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصارى مضمنا معنى الاضافة
كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصروننى كما ينصرنى او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اى من انصارى ذاهبا
الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اى انصار دينه ورسوله وحوارى الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات
لخلوص الوانهن فى نظافتهن قال فقل للحواريات تبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح وفى وزنه الحوالى وهو الكثير
الحيلة وانما طلبوا منهم الشهادة باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم مع ان هذا

ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين
كفروا الى يوم القيمة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين
واما الذين فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك
فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل
تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا
ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله
على الكاذبين

الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد عم ومكروا الواو لكفار بنى اسرائيل
الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه
على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر
المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله انى متوفيك اى مستوفى اجلك ومعناه انى عاصمك من ان
يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الى سمائى ومقر
ملائكتى ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل قابضك من الارض من توفيت مالى على فلان
اذا استوفيته وقيل مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الان وقيل متوفى نفسك بالنوم من قوله
تعالى والتى لم تمت فى منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت فى السماء امن مقرب فوق الذين
كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفى اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه فى اصل
الاسلام وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم بينكم تفسير الحكم قوله
فاعذبهم فيوفيهم اجورهم وقرا فيوفيهم بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره
نتلوه ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذى ونتلوه صلته ومن الايات
الخبر ويجوز ان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القران وصف بصفة من هو سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة
حكمه ان مثل عيسى ان شان عيسى وحاله الغريبة كمثل ادم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له شبه عيسى
بادم اى خلق ادم من تراب ولم يكن ثمة اب ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد
ادم بغير اب وام قلت هو مثيله فى احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة
مشاركة فى بعض الاوصاف ولانه شبه به فى انه وجد خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران ولان الوجود
من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم
لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى
قالوا لانه لا اب له قال فادم لانه لا ابوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر
واحيا حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص فقال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام
سالما خلقه من تراب قدر جسده من طين ثم قال له كن اى انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا اخر فيكون حكاية
حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اى هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس والنهى عن الامتراء
وجاز رسول عم من ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لكل سامع فمن حاجك
من النصارى فيه فى عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من البينات الموجبة للعلم تعالوا هلموا والمراد المجيء بالراى والعزم
كما تقول تعال نفكر فى هذه المسالة ندع ابناءنا وابناءكم اى يدع كل منى ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة
ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالضم والفتح اللعنة وبهله الله لعنه وابعده
من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه
وان لم يكن التعانا وروى انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب يا عبد المسيح

ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون

ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل
قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم
عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة
تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى
وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم
القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال عم فاذا ابيتم
المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب
طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف صفر
والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران
ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على
رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله عم خرج وعليه
مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص
به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه
حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب
خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم
الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب
ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم
وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام
وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي عم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا الذي
قص من نبإ عيسى لهو القصص الحق وقرئ لهو بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل منزلة بعضه
فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر
ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز
لانه اقرب الى المبتداء منه واصلها ان تدخل على المبتدا ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في
لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد
لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون يا اهل الكتاب قيل اهل
الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن
والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا وبشر

لعله عليهم الوادي

مثلنا

يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما ليس لكم به علم والله يعلم
وانتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي
والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون

مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبد
هم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا
ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء
بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب
عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف
باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث
توليتم عن الحق بعد ظهوره زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله
عليه السلام والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين
ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة
متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره
وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة
عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له
في كتابيكم من دين ابراهيم وعن الاخفش ها انتم هو أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام
التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به ثم
اعلمهم بانه بريء من دينكم وما كان الا حنيفا وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى
لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين
اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء
في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابراهيم ودت طائفة هم اليهود دعوا حذيفة وعمار
ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم
واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم بآيات الله بالتورية والانجيل
وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله عليه السلام وشهادتهم اعترافهم بانها آيات الله
او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون
انها حق تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عم
كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وجه النهار اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت
نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون
في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ
اثنا عشر من احبار اليهود وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر
النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت فظهر لنا كذبه وبطلان دينه

ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله
واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك
الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

فاذا منقلتم ذكر بعض اصحابه في دينه وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب الاشرف آمنوا بما
انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون
هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان آمنوا وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا
ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا مثل
ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام
او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم على
ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه
ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم
تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق
او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن
تبع دينكم الا من كان تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم
ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء
آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم
ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير آن يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى الان يؤتى
احد فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ودبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما
اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان
يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى تحاجوكم عند ربكم
فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب
اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون
مثله فلا يحاجوكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى
احد مثل ما اوتوا عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان تامنه بقنطار عبد الله بن سلام استودعه رجل من
قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار فنحاص بن عازورا استودعه رجل من قريش دينارا
فجحده وخانه وقيل المامونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة
عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف
او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء وضمها بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة
الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق
علينا عتاب وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار
بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل
تابع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حين تركتم دينكم وادعوا انهم

بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزوله كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي
الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو
من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل
الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم
سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من
اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يخيل انه
لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا
اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في
ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله على ان كل من وفى بعهد
الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال
السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير عن ابن
عباس رضي الله عنهما نزلت في عبد الله بن سلام وبحير الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب يشترون
بعهد الله يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما
حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل
نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله عم
واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال
لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا
فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته حتى رجعوا اليه وقالوا
قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين
رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله عم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال
من حلف على يمين يستحق بها مالا وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع
الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان
تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر
وفيمن لا يجوز قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم جاء فيمن
لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر لفريقا هم كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ
اهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة

ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون واذ اخذ الله ميثاق النبيين

ثم حققناها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام ترجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه
يلوون السنتهم من الكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب ويقولون هو من عند الله
تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورّون وانما
يصرحون بانه في التورية هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا
فيه صفة رسول الله صلى الله عليه ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب
لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد
ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل
قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله
ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقول رقباني ولحياني وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن
الحنفية انه قال حين مات ابن عباس رضي الله عنه اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء
وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع العالم العامل المعلم بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين العلم
اوجب ان تكونوا ربانيين التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي
من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء
تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون تقرؤون وقرئ تدرسون
من التدريس وتدرسون بمعنى تدرسون كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدرسون من التدريس ويجوز
ان يكون معناه بمعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناها بمعنى تدرسون
من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع
حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بالطاعة قرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان
تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء
الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا انتخذك ربا
قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة
بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في يأمركم ويأمركم للبشر وقيل هو الله
والهمزة في ايأمركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له
ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى
النبيين اضافة الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق

الذي وثقه

لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا
قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى

٨٥

الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد
اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا
كان النبيون ويدل عليه قراءة ابن مسعود وابي واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة
لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى الذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ
لما آتيتكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن على ان ما مصدرية والفعلان فيها اعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرية واللام داخلة
للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي امركم
بالايمان به موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم
وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان
ما معكم في حكم ما آتيتكم فكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى
حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما
فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت
لما ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ اصري بالضم
وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر
كعبر وعبر وان يكون جمع اصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلك من اقراركم
وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على
بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفار دخلت
همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت
الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير
دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود الباطل وروي ان اهل
الكتاب اختصموا الى رسول الله عم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه
اولى به فقال عم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ
يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئ
بالتاء وبالياء طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام
كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده
وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين امر رسول الله عم بان يخبر عن نفسه وعمن معه
بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من
الله تعالى لنبيه فان قلت لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء

وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين

قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالاخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل وإلينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن من وقول الشاعر مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او ودخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد عليه السلام والقرآن او كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقهم وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كأنه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم وان قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل قلت قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر لا دليل فيه على التسبب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قوله فله درهم فان قلت فحين كان المعنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد الكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اشد الاحوال واغلظها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ

سنقرئه

عبادتهم

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة

الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل وهو الله تعالى ونصب ملء، وملء الارض بتخفيف الهمزة لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف اذا احبوا شيئا جعلوه لله تعالى وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال عليه السلام بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله عليه السلام اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء للتبيين ما تنفقوا من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعزّ الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى فيه في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت اليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله تعالى فهو كتحريم الله تعالى ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل قبل انزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما نعى عليهم اغاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت

بيانه فنذر

قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا
ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم
ومن دخله كان آمنا

عليه وما هو التحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم جرا إلى أن انتهى التحريم إلينا فحرمت
علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا وأخذ
أموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فأتوا بالتوراة
فاتلوها أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم
لا تحريم قديم كما يدعونه فروي أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي عم
وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه أن ذلك كان محرما على بني إسرائيل قبل إنزال التوراة من بعد ما
لزمتهم من الحجة القاطعة فأولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات قل صدق الله
تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون
فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وهي ملة الإسلام التي عليها محمد عم ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم
في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم طيبات الله التي أحلها الله
لإبراهيم ولمن تبعه وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله تعالى تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل
ومعنى وضع الله أنه جعل متعبدا لهم فكأنه قال إن أول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله عم أنه سئل عن أول
مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال أربعون سنة وعن علي أن رجلا قال
له أهو أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة وأول من
بناه إبراهيم عم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض خلقه قبل الأرض بألفي
عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحته وقيل هو أول بيت بناه آدم في الأرض وقيل لما أهبط آدم عم
قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بألفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح
فرفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السماوات للذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان
فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحو من الأعتاب أمر راتب وراتم وحمى سخطة ومخبطة
وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك
الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك إلا بمكة كأنها سميت ببكة وهي
الرحمة قال إذا الشريب أخذته الأكة فخله حتى يبك بكة وقيل تبك أعناق الجبابرة إذ لم يقصدها جبار
إلا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه
على الحال من المستكن في الظرف لأن التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى
للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم مقام إبراهيم عطف بيان لقوله آيات بينات فإن قلت كيف يصح بيان الجماعة بالواحد
قلت فيه وجهان أحدهما أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة إبراهيم
عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله إن إبراهيم كان أمة والثاني اشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة
الصماء آية وغوصه فيها إلى الكعبين آية وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية ويجوز أن يراد فيه آيات بينات مقام إبراهيم
وأمن من دخله لأن الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله
شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن

دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت
حنيفة أثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عم حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة
عيني في الصلاة وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وأبو جعفر المدني في روايته آية بينة على التوحيد وفيها دليل على أن
مقام إبراهيم واقع وحده عطف بيان فإن قلت كيف أجزت أن يكون مقام إبراهيم والأمن عطف بيان للآيات وقوله
ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة إما ابتدائية وإما شرطية قلت أجزت ذلك من حيث المعنى لأن قوله ومن دخله كان
آمنا دل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن داخله ألا ترى أنك لو قلت فيه آية بينة من دخله
كان آمنا صح لأنه في معنى قولك فيه آية بينة أمن من دخله فإن قلت كيف كان سبب هذا الأثر قلت فيه قولان أحدهما
أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل إنه جاء زائرا
من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل انزل حتى يغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه
الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر
قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم
وذلك بدعوة إبراهيم عم رب اجعل هذا بلدا آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي
الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند أبي حنيفة رحمه الله من لزمه القتل في
الحل بقصاص أو ردة أو زنا فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا
يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي عم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا
وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود
رضي الله عنه وقف رسول الله عم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة
ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم
في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي عم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم
مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس وروي أن رسول الله عم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن
ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما وعليه أكثر العلماء رحمهم الله وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك رحمه الله
أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر
عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال إن كان لبعضهم
ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في إليه للبيت أو للحج وكل ما أتى
إلى الشيء فهو سبيل إليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني
أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج عن عهدته ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل من استطاع إليه سبيلا
وفيه ضربان من التأكيد أحدهما أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد
الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة

يبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون
وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته

متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله اهل الاديان فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي عم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان ينبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجترئوا على الكفر باياته وقرأ الحسن تصدون من اصد عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال فمر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتل فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي عم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله عليه السلام فما كان يوم اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان ايات الله وهي القران المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي

فقد حصل

ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر واولئك هم المفلحون

فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في ذكر ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان القاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغ في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او اجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي عم القران حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت النصارى واليهود او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما ياباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوة والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الشيء حرفه بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البالغ يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي عم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عم من امر بالمعروف ونهى

عن المنكر

ما استطعتم بيان

الله

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يوم تبيض وجوه ~~وتسود~~ واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون

فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة رضي الله عنه يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان النهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان النهي لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد الآلة وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشر قلت كل مسلم تمكن منه واختص شرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليتمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب الكبيرة ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان تركه ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل واثنا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكر وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله تعالى وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل هم اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب الراشي تقوله برأيك ام شيء سمعته

من رسول الله

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون

من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شأنك بكيت قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيدي فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله تعالى هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه كنتم خير امة كأنه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كأنه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت اي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كأنه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر

اهل الكتاب

ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا
يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون كتاب الله
اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين
وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله
عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

كما تقول القائل وعلى ذكر فلان فانه من شانه كيت وكيت وكذلك جاء من غير عطف الا بحبل من الله في محل النصب على الحال
بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة
عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه
الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة
كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة
الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء ثم
قال ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في
استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا
واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل والضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب
مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف
بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا
منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة
امرهم وقيل عنى صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها عن ابن مسعود رضي الله عنه اخر رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الكتاب
احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الاية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفات لامة
اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة ايات الله بالليل ساجدين
ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتاب والرسل دون بعض ومن
الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين
ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة فرط الرغبة فيه لان من
رغب في الامر سارع في توليه والقيام به واثر الفور على التراخي واولئك الموصوفون بما وصفوا من جملة الصالحين
الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليه ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين فلن تكفروه حجازي
وصفي الله عز وعلا في قوله تعالى والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدي
الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى مفعول واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان
فكانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروه بالتاء والياء والله عليم بالمتقين فيه
بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى الصر الريح البارد نحو الصرصر قال لا
تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات كما قال ليلى الاخيلية ولم يغلب الخصم الالد ويملا الجفان سماحة
شتوتها يوم نكباء صرصر فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها ان الصر في صفة
الريح بمعنى البارد فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد في المبالغة والثاني ان يكون
الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول

مثل ما ينفقون في هذه الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون يا ايها الذين امنوا لا
تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون ها انتم
اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها

١٠ ٩٠

اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل وفي الرحمن للضعفاء كاف شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم
في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما
وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله تعالى مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة رسول الله عليه السلام فضاع عنهم لانهم
لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك
عن سخط اشد وابلغ فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام
غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من تشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل
الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم
حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا
انفسهم بارتكابهم ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها هم ولا يجوز ان يراد
ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي
اليه بشقوره ثقة شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي عليه السلام الانصار شعار والناس دثار
من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم
مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا الوك نصحا ولا الوك
جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية
والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر
وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم
به بغضهم للمسلمين وعن قتادة رضي قد بدت البغضاء لاوليائهم من الكفار والمنافقين لاطلاع بعضهم بعضا
على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء
الله تعالى ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان
يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير مالكيكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا
فكلام مبتدأ واحسن منه وابلغ ان يكون مستانفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه
وانتم مبتدأ واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان
لخطاهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون
للحال وانتصابها من لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم
وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يالمون كما
تالمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحارث
بن ظالم المري فاقتل اقواما لئاما اذلة يعضون من غيظ رؤس الاباهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان
يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم
في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق
والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها فان
قلت كيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل

اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون

[illegible]

غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تطمعوا ان يشاس
اسراركم تخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم بما
هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثمة قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول
الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به فكانه قيل حدث
نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان
لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت وصف الحسنة
بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم
وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير
منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا
الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع
ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على
كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما تعملون
من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في
عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي
ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم
يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال
في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب
لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما
فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال
رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس
لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه فقالوا اصنع يا رسول
الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد
يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا
قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا
بالنبل لا ياتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرئ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف
وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق
حتى قال حارثة عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فثبتني قول عمرو بن الاطنابة
ولو كانت عزيمة لما ثبت معها الولاية والله يتولى والله وليهما يجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما
تفشلا ولا يتوكلان على الله وان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي
هممنا وقد اخبرنا الله بانه وليهما قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله تعالى وانزاله فيهم آية

ناطقة الولاية

ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله
العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين

الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لتوليها والفشل الجبن و
الخور وقرأ عبد الله رضي الله عنه والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا
الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم
في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع كثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا
كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على
النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة
وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر
اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون
بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع
الانعام لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت
على ان يقوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قلت
قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما
قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن
يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للاشعار
بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن بمعنى
بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين
للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة
اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة رضي الله عنه الامر على الفور لا على التراخي وهو
مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من
صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم
ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصركم وييسر فتحكم ان
صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح
الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم
وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم
وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء
فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت
وما جعله الله الهاء لان يمدكم اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن
قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من

ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا

عند المقاتلة اذا تحاش والامن عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لاكبت حاسدا واري عدوا هو من الكبد والرية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله ببدر او بقوله وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شج عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن عن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء رحمه الله يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن ايات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس رضي الله عنه من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رضي الله عنه يقول هي اخوف اية في القران حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الايات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وفي مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير

واو

الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون

واو وقرا الباقون بالواو وتنصره قراءة ابي وعبد الله رضي الله عنهما وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به عرضها السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتي الحالتين ما قدروا عليه من كثير وقليل كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادل على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملاها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون مبتداء خبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنى وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا

مصححات صح

بيان لا ينفقوا

لعله في الامة عفي

المتقين

والذين صح

على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين
قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا
ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس

ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم
سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار
وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها و
بالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الايات بيان قاطع ان
الذين امنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين دون
المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما
في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر
مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع
في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب
من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق
وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي
واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية رضي الله عنها انها كانت تنشد ترجوا النجاة ولم تسلك
مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين
ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن يريد سنن الله في الامم المكذبين من وقايعهم كقوله
وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد
خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء
عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه
بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله
قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان
اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله
وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم
ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم و
اغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد وانتم الاعلون شانا لان قتالكم
لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وهي بشارة
لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي
بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه
او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة وقرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما
لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرا ابو السمال قرح بفتحتين وقيل
القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف

ولما يعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين

ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يالمون كما تالمون و
ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول
الله صلى الله عليه فان قلت فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت
بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ
تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام تلك
مبتدا والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام اوقات
الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من ابيات
الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد
ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر رضي الله عنه
هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر قال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال
فقال عمر رضي الله لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا و
المداولة مثل المعاورة قال يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تثنية وسماع يقال داولت بينهم الشيء
فتداولوه وليعلم الله الذين امنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز
الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان
يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها
وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون
العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف
للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه
ما يجري عليه من المصايب ولا يشعر ان الله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء
وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على
الامم يوم القيمة بما يبتلي به صبركم من الشدايد من قوله لتكونوا شهداء على الناس والله
لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على
الايمان المجاهدين في سبيل الله المحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين
ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح
لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو اثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله بمعنى
ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول
الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي
الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله
وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين

ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل

والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقرا الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلمُ بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحّوا على رسول الله صلى الله عليه في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهله الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المامول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى موته قيل له ردكم الله لكنني اسال الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبد او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلعم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله صلى الله عليه يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروى انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك رضي الله عنهما يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري وهو يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال رضي الله عنه ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه

افإين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

افإين مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه لا للانقلاب عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا خبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه واسلامه فلن يضر الله شيئا يعني فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه رضوان الله عليهم اجمعين وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله فيه تمثيلا ولان ملك الموت صلوات الله عليه هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله صلى الله عليه عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كاينا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء

وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب
الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض
الدنيا والله يريد الآخرة ان تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى
وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا
لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه
وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع
الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا
يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ با
النصب على بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف
الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا
الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء
الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت
كأن هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم
لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها
ينجحر ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله وان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا
وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة
واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما
اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم يحسونهم اي تقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلتم والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا
فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ها هنا وقال بعضهم لا تخالف امر رسول الله فممن
ثبت مكانه عبد الله بن جبير رضي الله عنه امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله و
منكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة
وقتلوا عبد الله بن جبير رضي الله عنه واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى
هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان
عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله صلى الله عليه والله ذو فضل

على المؤمنين

على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء
رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا قلت هو محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم
نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او
بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل و
اصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد
الاولى قراءة ابي رضي الله عنه اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد
العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون
ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في
اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم
واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم
عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا
بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر
لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع
ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما
نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه
لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا
على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو انزل الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي
كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة رضي الله عنه غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان
السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن ابن الزبير
لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني
لاسمع معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا والامنة الامن
وقرئ امنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول
وامنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون
حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على
النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم
ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم
وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباكي غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله
غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله
ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظنه

جمع مصعد وهو موضع الصعود

وهي تراس من جلد

بيان

قتلنا

الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل
الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله يسألونه هل
لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على
العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي
وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا
من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم
لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر
كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو
كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد
من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم وهي مصارعهم
ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون
لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات
تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل
معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد
وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا
لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو
اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب
عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين
من الاخلاص وليمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء
والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد اهمتهم صفة لطائفة
ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها
ويقولون بدل من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسألة عن الامر بدلا من الاخبار
بالظن قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون
وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون
استئنافا انما استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين
انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم
التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب
قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن
استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول

بيان ملكنا

بيان الجمل

الله صلى الله عليه بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها
فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت
هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين
امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها
وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى وفي قوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف
الزاي على حذف التاء من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية
كقولك حين يضربون في الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون
حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في
النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت
ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع
الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة و
ضيق الصدور فعل الله عز وعلا كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون
ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم
فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد
يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه انه قال عند
موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين
الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا لمغفرة جواب القسم
وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر
من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد
ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من
المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
خيرا من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اي يجمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع
الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على
الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة ما مزيدة
للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى
الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم واساهم بالمباثة
بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا
من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص

بيان المعتقد

بحق الله انما الشفقة عليهم وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي
لتستظهر برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم
حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد
امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله وقيل كان
سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل
عليهم استبداده بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على
شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه
الا الله لا انت ولا من تشاور وقرئ واذا عزمت بضم التاء يعني فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك
اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم وان
يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب
التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرا عبيد بن
عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من
الله والتاييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص
المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه يقال
غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد
والغل الحقد الكامن في الصدور ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله
على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه صلى الله عليه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه عليه السلام
لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واحمدته ومعنى وما كان لنبي ان يغل
وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرا على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول
لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان
يبرا رسول الله صلى الله عليه من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا
يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض
المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة
المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه من اخذ شيئا فهو له وان
لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز
حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم
لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم
فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم

بالسوية

بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل
لجاز يات بما غل يوم القيمة يات بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه
وروي الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد
يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت
عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد ياتي بما احتمل من وباله
وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب
من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا
او شرا مجزي فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون
اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات
كقوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض او هم ذوو درجات والمعنى تفاوت
منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين والتفاوت من الثواب والعقاب والله بصير بما
يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من امن
مع رسول الله صلى الله عليه من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثه من انفسهم
من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسماعيل صلوات الله عليه كما انهم من ولده فان قلت فما وجه
المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب
عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه
والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول
الله صلى الله عليه وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد
اسماعيل صلوات الله عليه ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر و
مدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم و
فيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء
مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر
وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام
على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو
والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه
وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ
في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت
بعثه يتلوا عليهم اياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم
ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث

وقيل و يأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم
من دراسة العلوم وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة و
اللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين
ظاهر لا شبهة فيه اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم
مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما
اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان
قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم
الله وعده ويجوز ان يكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا
من اين هذا انى لك هذا قل هو من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم
لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء اسارى
بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب
بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن
باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن
مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان
هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب
اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان
يقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا
للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم
واموالهم فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد
الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل اوادفعوا العدو بتكثيركم سواد
المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد
الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت ثغرا من ثغور المسلمين فكنت
بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله اوادفعوا اراد اكثروا سوادهم
ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم
يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال
انما هو القاء بالانفس الى الهلكة لان رأى عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب
الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون
بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما
قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب

نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم
لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير
لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم
والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة
بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين
قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على
الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن
بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى
الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا
فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم
الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن
عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد
لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت فقد
كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه
ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة
وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون
في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما
قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤا عن انفسكم
الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا
تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله
او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين
قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول
قلت هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما
وقرئ تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم
مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون
ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين
بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من
كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه لما اصيب اخوانكم باحد جعل
الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب

معلقة في ظل العرش و يستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اى لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم
يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ان لا
خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم
يبعثون آمنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم
بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم و
احماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر
يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان
ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا
على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله
والله لا يضيع الذين استجابوا مبتداء خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح روى
ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب
ابي سفيان وقال صلى الله عليه لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه مع جماعة
حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم
الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها
في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد
احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان ابويك لمن الذين استجابوا
لله والرسول يعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم روى ان ابا
سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه ان
شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في
قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت
محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن
وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشرة
من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم فلم
يفلت منكم احد الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد
وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب
ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج
معي احد فخرج صلى الله عليه في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي
الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار ووافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال

وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو
سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق والناس
الاولون المثبطون والآخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده
قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد
ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه
فان قلت الام يرجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه
قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا
اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا
عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد
الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان
لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد
وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضي الله عنه
انه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه عليه السلام لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة
لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اى كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب
انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية و
نعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر
العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم
يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل
عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رأيهم
حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو
ورضي عنهم الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستانفة
بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان
ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اى قول ابليس لعنه الله يخوف
اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود رض
يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه
فالام رجع الضمير فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم
فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم
به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك احد الا انه
يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل

هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن انما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله عز وعلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا تخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت عن البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم

كما يفعلون وانما ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين اللام لتأكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلان في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا تحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه مانع الزكاة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر

لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء
سنكتب ما قالوا وقتلهم
الانبياء بغير حق ونقول
ذوقوا عذاب الحريق ذلك
بما قدمت ايديكم وان الله
ليس بظلام للعبيد
الذين قالوا ان الله عهد الينا
الا نؤمن لرسول حتى
ياتينا بقربان تاكله النار قل
قد جاءكم رسل من قبلي
بالبينات وبالذي قلتم فلم
قتلتموهم ان كنتم صادقين
فان كذبوك فقد كذب رسل
من قبلك جاءوا بالبينات والزبر
والكتاب المنير كل نفس ذائقة
الموت وانما توفون اجوركم
يوم القيمة فمن زحزح

الاعين متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحايف الحفظة
او سنحفظه وسنثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل
ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا موكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته
وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول
ما ركبوه من العظايم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على
مثل هذا القول وروى ان رسول الله صلى الله عليه كتب مع ابا بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم
الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان تقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين
سالنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى
رسول الله صلى الله عليه وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم
بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال
ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرا حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرا الحسن
والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود رضي الله عنه ويقال ذوقوا ذلك اشارة الى ما تقدم
من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت
فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا
لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب
المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه الاية
الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتاكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك ايتهم كان
يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان
اكل النار القربان لم يجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وساير الايات سواء فلا يجوز
ان يعينه الله تعالى من بين الايات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاءوهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق
وجاءوهم ايضا بهذه التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرى بقربان بضمتين
ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان
تاكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف
والكتاب المنير هو التورية والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه من تكذيب قومه
وتكذيب اليهود وقرا اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرا الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم
تموتون لا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور
فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران قلت كلمة التوفية
تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور الزحزحة

وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا

التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل
ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد
اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي عم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة
فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة
على حقوق الله تعالى وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين
له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انما هذا لمن اثرها على
الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون
من الاذى والشدايد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة
فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصايب
وفي الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الافات وما يسمعون من اهل الكتاب والمطاعن في الدين
الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من امن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان ذلك فان الصبر والتقوى من
عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان
ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق
اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل
اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتاكيده عليهم يعني لم يراعوه
ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه
بين عينيه وكفى به دليلا على انه ماخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه
شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام
دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي عم من كتم
علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال
والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء
ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان
يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرى ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية
مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب لرسول الله عم واحد المفعولين
الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فايزين
وقرى لا تحسبن بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء فيهما على ان الفعل للرسول
صلى الله عليه وسلم وقرا ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين
يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين

بما لم يفعلوا فلا يحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء
قدير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض

يفرحون فايزين ولا تحسبنهم تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله
انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي رضي الله عنه يفرحون بما فعلوا وقرئ اتوا بمعنى
اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه وروي ان رسول الله عم سأل
اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا
بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا
من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب
ومعنى يفرحون بما اوتوه بما اوتوه من علم التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم عم حيث ادعوا ان ابراهيم عم
كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم
راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان
للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة
لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس
ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير
فهو قادر على عقابهم لايات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين
ينتفعون بعقولهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من العجائب
النظر في الصفائح الصغار املاء عينيك من زينة هذه الكواكب واجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة
مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قلت لعايشة رضي اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله عم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني
في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشة هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا
رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب
الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع
يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله ام
ابكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله
علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه
ولم يتامل فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي عم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات
والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله
فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك فقال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل
قالت فما اوتيت الا من ذاك يذكرون الله ذكرا دائما على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون
بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وتوفنا مع الابرار ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد

الله على اقدامهم وعن النبي عم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال
على حسب استطاعتهم قال رسول الله عم لعمران بن حصين رضي الله عنه صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع
فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي رحمه الله في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد
وعند ابي حنيفة رضي الله عنه انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله
كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام
العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء
سلطانه وعن سفيان الثوري رحمه الله انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشي عليه
وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي عم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم
والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي عم لا عبادة كالتفكر و
قيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل
الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي عم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم
مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه
في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال اي يتفكرون
قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن
للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار
لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل
ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى
المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي
هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا سبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة
فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد
ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا
ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل
وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال
لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت
ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه
قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء
النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي الطريق
ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته
ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحو هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية

نصب لانه المفعول الثاني تقديره يخوفكم
اولياءه وقيل نصب بنزع الخافض
اي باوليائه

فان قيل ما هو موضع لم تمسسهم سوء من
الاعراب قلنا نصب على الحال لانه في موضع
سالمين والعامل فيه انقلبوا

فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلى
وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب
لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد

ومعنى الاختصاص والامتنان جميعا والمنادى هو الرسول او عوالى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن
ان امنوا ان آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين
في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب على رسلك على هذه صلة للوعد كقولك وعد
الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادى للايمان وهو الرسول
وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اى ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك
لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء فان
قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب
انجاز الميعاد او هو باب من اللجأ الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم
انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجأ الذى هو سيما العبودية فاستجاب
استجاب له واستجابه بمعنى اجابه انى لا اضيع اى بانى لا اضيع وقرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة
القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اى يجمع ذكوركم واناثكم اصل
واحد فكل واحد منكم من الاخر اى من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد به وصلة الاسلام
وهذه جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروى ان ام سلمة
رضى الله عنها قالت يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا
تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم او التفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة
وهى المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التى
ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلى من اجله وسببه يريد سبيل الدين
وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم
بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثانى للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما
للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في
معنى لاثيبنهم والله عنده حسن الثواب اى يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل
عندى ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعا وكيف
يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الانابة
من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع الاطماع الكاذبة لمتمنين عليه وتسجيل
على من لا يريد الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهالة والغباوة وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه امر
فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم
قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذكر رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد
تقديمه بين يدى الدعاء لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اى لا تنظر الى ما هم عليه من
سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم

لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب
يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس رضى الله عنهما هم اهل
مكة وقيل هم اليهود وروى ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء
ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت
كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه
وجهان احدهما ان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا
فكانه قيل لا يغرنكم والثانى ان رسول الله صلعم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه
وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين
وهذا في النهى نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهى
في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب
لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر
مبتدا محذوف اى ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم
الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل
قليل قال رسول الله صلعم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس
المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبى وكنا اذا
الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها
بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من
الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرا مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون
وقرا يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام
وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا
على دين عيسى صلوات الله عليه فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشى ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك
انه لما مات نعاه جبرئيل صلوات الله عليه الى رسول الله صلعم فقال صلعم اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم
فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى
هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف
بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال
من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من احبارهم
وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اى ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعد في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين
يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر
ويجوز ان يراد انه ما توعد لآت قريب بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في
الجهاد اى غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو وقال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة عن رسول الله من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس ابيكم آدم صلوات الله فان قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها وابتداها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياكم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدا محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به يتساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تسالون بطرح التاء الثانية اي يسال بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانشدك الله

والرحم

والرحم او تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وترائيناه وينصره قراءة من قرأ تسألون مهموزا او غير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام وان تعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود رضي عنه تسألون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب والرفع على انه مبتداء خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وجل اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سالك بالله فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه والرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الاباء وفي البهائم من قبل الامهات فان قلت كيف جمع اليتيم على يتامى وهو فعيل كمريض قلت فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه يتيم ابي طالب اما على القياس واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار فان قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن

ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع

الیهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزال عنهم اسم اليتامى فلما بلغ طلب المال والصغار وقيل نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله والرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبى صلى الله عليه ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه فى سبيل الله فقال صلى الله عليه ثبت الاجر وبقى الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله فقال صلى الله عليه ثبت اجر الغلام وبقى الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث فى الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد ويا لؤم المستخلف الدار المتبدلة وقيل هو ان يعطى رديا ويأخذ جيدا وعن السدى ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها فى الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهى عن اكله معها قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت الاية فى اليتامى وما فى اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط فى حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل ربما يجتمع عنده العشر من الازواج والثمانى والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم فى كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنى وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل لهم ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا فى يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايايم ويتايم وقرأ النخعى تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها فى لئلا يعلم يريد ان تجوروا ما طاب لكم من النساء ما حل لكم لان منهن ما حرم كاللاتى فى اية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة

وان خفتم

وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا واتوا النساء صدقاتهن

ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهى نكرات تعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذى اطلق للناكح فى الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذى اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى فان قلت فلم جاء العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو فى المثال الذى حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذى دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان يأخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين فى تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمرى انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن فى القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرأ ابن ابى عبلة من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه الا تعولوا الا تجوروا والذى يحكى عن الشافعى انه فسر الا تعولوا الا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من فى اخيك سوءا وانت تجد لها فى الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافى العى من كلام الشافعى شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا فى علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفى السرارى نحو ما فى المهائر قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسرى ولذلك جاز العزل عن السرارى بغير اذنهن فكان التسرى مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعى من حيث المعنى الذى قصده صدقاتهن مهورهن وفى حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن

مدح امام شافعى رحمه الله

بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصُدُقاتهن بضم الدال الصاد وسكون الدال جمع صُدْقة بوزن
غرفة وقرئ صُدُقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صُدْقة كقولك في ظُلْمة ظُلُمة نحلة من نحله
كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد
عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا
النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن
ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله
عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلته الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به
والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان تكون حالا من الصدقات اي دينا من الله
شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا
لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة
كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من
افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان ذاك او ر
جع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم يخل بالمعنى
فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس
والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات
بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم
طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها
اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رحمه الله رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو
طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته
امراته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني
طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه
انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة
غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع
احدهم في شيء مما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا
هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل
فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن
لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا با
اليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف

الى الصداق

الى الصداق الواحد فيكون متناولا لبعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة
منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل
والمريء ما يحمد عاقبته وقيل ما هو ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء
لمرؤ الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء
مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدا هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنئا
مرءا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة السفهاء المبذرين اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي
ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس
ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب
للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو
ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وروي قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقراءة
عبد الله بن عمر رضي الله عنه قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف
رحمهم الله يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان
وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من
الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه
وربما راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها
وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج
ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن
جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت
لك حظا وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر
وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ في بلوغ النكاح ان يحتلم لانه
يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير للتبين واختلف في
الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما
يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس رضي الله عنه الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك
والشافعي رحمهما الله الابتلاء ان يتتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين
والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يونس منه رشد الى حد البلوغ قلت
عند ابي حنيفة رضي الله عنه ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة
فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع
اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس وعند اصحابه رحمهم الله لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى
تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به

حتى اذا آنستم منهم رشدا اي هداية
ودفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن
حد البلوغ ع

حقا او قبل ان لم يكن ... ووجبت عليكم نفقته ... بارك الله فيكم ع

فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا

تمام الرشد فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى
التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها
جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم
اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى
الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فان
احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس وقرئ رَشَدا بفتحتين ورُشُدا بضمتين اسرافا و
بدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي
قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فا
فالغني يستعفف من ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف
ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال عليه السلام بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افا
اضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن
ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتسقيها يوم وردها وتهنأ جرباها فاشرب غير مضر
بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم
لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهمة وينزل
نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة و
يقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان شاء شرب فضل اللبن
وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو
في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت
وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة
فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد
وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه
رحمهم الله وعند مالك والشافعي رحمهما الله لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف
المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع
والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون
غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني
نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد
كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن الصامت الانصاري ترك امراته ام كحة وثلاث
بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء و

الاطفال

واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا ذرية ضعافا خافوا
عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا

والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى
رسول الله صلى الله عليه في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال عليه السلام ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت
فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله
في اولادكم فاعطى صلى الله عليه ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة
التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال
الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع
فحضهم الله على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره
من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهم قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله
عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الاية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية الميراث
كالوصية وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به
الناس والقول المعروف ان تلطفوا لهم القول وتقولوا خذوا بارك الله عليكم وتعتذروا اليهم وتستقلوا
ما اعطوهم ولا تستكثروه ولا تمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات
والمساكين واليتامى من العين يعنيان الذهب والورق فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى
الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم وليخش ما في حيزه صلة
للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على
ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على
خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المر
يض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه في الوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا
على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا
للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم
لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت
ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا
ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم
كما قال القائل لقد زاد الحياة الي حبا بناتي انهن من الضعاف احاذر ان يرين البؤس بعدي وان يشربن
رنقا بعد صاف وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء
ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم يا بني ويا ولدي ومن
الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله
صلى الله عليه لسعد انك ان تترك اولادك اغنياء خير من ان تتركهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة
رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم

موضع بالمدينة كانوا يفضخون فيه التمر

ضعافى بيانه

ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف

ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى ياكلون نارا ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان تاخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرا زيد بن ثابت رضي الله عنه النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امراة قلت لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس رضي الله عنه ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ~~حكم الذكر وذلك الذكر~~ فاعطاهما حكم

الواحدة

ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما

الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة رضي الله عنهم فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدا وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما وقرا الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الربع والثلث والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة في قوله وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس رضي الله عنه والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امراة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس رضي الله عنه انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة

ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم

المواريث كلها لا بالبعض وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية توصي بها وقرئ توصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدّم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها وكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله اباؤكم وابناؤكم اي لا تدرون من انفع لكم من ابائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص منهم يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان اجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سأل ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل ان يرفع اليه ابنه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب يجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت ويورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورّث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول له فان قلت ما الكلالة قلت ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة في الاية فعلام تنصبها قلت على انه مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها فان قلت فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث

فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع قلت الى الرجل والى اخيه واخته وعلى الاول اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطاء فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام ويدل عليه قراءة ابي وقراءة سعد بن ابي وقاص ~~وله اخ او اخت من ام رضي الله عنه~~ وله اخ او اخت من الام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في اخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ان ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا شيئا على الثلث انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحيوة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادة على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة بالاسراف في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت في يوصى ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها يأتين الفاحشة يرهقنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه يأتين بالفاحشة الفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الاية ويجوز ان لا تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي

التخيير بيانه

وقرأ سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام

بيانه يتجاوزوها

تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما

يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه قيل او يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذان بالهمزة وتشديد النون التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس رضي الله عنه قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون في بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون السيئات اهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله عليه السلام فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ

ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا

على ذلك الا قليل ممن عصمت كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات قريب من اب او اخ او حميم عن امرأة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي رضي الله عنه الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج الاية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال يصف ناقة كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امرأة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر رضي الله عنه كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كأنه قيل واخذن منكم ميثاقا غليظا بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين

ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة

الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو في الوطء عند العقد أنكحُ على ما في كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وعن النبي صلى الله عليه استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابّهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كأنه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على أن أن ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والإكراه وقرئ بفاحشة مبينة من أبانت بمعنى تبينت أو بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على أنه في موضع الحال وأتيتم إحداهن بوصل همزة إحداهن كما قرئ فلا إثم عليه فإن قلت تعضلوهن ما وجه إعرابه قلت النصب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي أن لا تحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن فإن قلت أي فرق بين تعديه ذهب بالباء وبينهما بالهمزة قلت إذا عدي بالباء فمعناه الأخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به وأما الإذهاب فكالإزالة فإن قلت الا أن يأتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل ولا تعضلوهن في جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن قلت من أي وجه صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث إن المعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فإن قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم قلت كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته كما يعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط معنى حرمت عليكم أمهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله وقرئ وبنات الأخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما للرضيع والمرضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأمه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب إلا في مسألتين إحداهما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع لأن المعنى المانع في النسب وطؤه أمها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز في الرضاع لأن المانع في النسب وطء الأب إياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها فإن قلت هل يصح أن يتعلق بقوله وأمهات نسائكم قلت لا يخلو إما أن يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا وإما أن يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة

وحرمة

وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان

وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الأول لأن المعنى من مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر ألا تراك إذا قلت وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن وإذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإنك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله من خديجة وليس بصحيح أن يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لأن ما يليه هو الذي يستوجب التعلق به ما لم يعترض أمر لا يرد إلا أن تقول أعلقه بالنساء والربائب وأجعل من للاتصال كقوله سبحانه المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فإني لست منك ولست مني ما أنا من دد ولا الدد مني وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهن أمهاتهن كما أن الربائب متصلات بأمهاتهن لأنهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على أن تحريم أمهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روي عن النبي صلى الله عليه في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه قال لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهما أن الأم تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس رضي الله عنه أبهموا ما أبهم الله إلا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم أنهم قرؤوا وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول والله ما نزل إلا هكذا وعن جابر رضي الله عنه روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد رضي الله عنه إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل أقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لأنه يربهما فإن قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم إذا دخلتم بأمهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والألفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بأن تجروا أولادهن مجرى أولادكم كأنكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه واليهودية والنصرانية وإن كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات الظاهر أن لا يجوز نكاح الأمة الكتابية وهو مذهب أهل الحجاز وعند أهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الأمة المؤمنة أفضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على أن الإيمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا أنه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه أفضل فإن قلت لم كان نكاح الأمة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الأم في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولأنها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع إلى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم المؤمنات أي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فإن قلت فما معنى قوله والله أعلم بإيمانكم قلت معناه أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم في الإيمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة والمرأة أفضل في الإيمان من الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا إلا فضل الإيمان لا فضل الأحساب والأنساب وهذا تأنيس

فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور
رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما

بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اى انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون
لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن
ويحتج به لقول ابي حنيفة رحمه الله ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم
وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز فان قلت
الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم فلم قيل وآتوهن قلت لانهن وما في ايديهن مال
الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف
ولا متخذات اخدان اخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج و
قرئ احصن نصف ما على المحصنات اى الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما و ندرا عنها
العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف
الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر
ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها
وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء يعني وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله عليه
الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام
مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو
خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين
والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت
كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به
ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق
ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا
يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون
بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت يقول يريدون
ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان
ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم
قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى
وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقراءة
ابن عباس رضي الله عنه وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه ثمان آيات في
سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان
يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر الاثم ما تنهون عنه نكفر عنكم ان الله لا يغفر ان
يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة

وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء
الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم

او وبعض كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض

من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة
على الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض صفة
لتجارة اى تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي
رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي
تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا
اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تأول له في التيمم لخوف البرد فلم
ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه انه شرط في حرمة التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم
بهن قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء
للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية
فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني
لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او
يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح
امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيدها واغلق الباب وارخى الستر
فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده
الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه زينب بنت جحش الا
سدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة رضي الله عنه وقال الله
سبحانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطف
على المحرمات اى وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الآية تحريم
النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما آية و
حرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي رضي الله عنه التحريم وعثمان
رضي الله عنه التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما و
المحصنات القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج
لانهن احصن فروجهن بالتزوج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم
من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه
قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق كتاب الله عليكم مصدر
مؤكد اى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف
واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اى كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل
لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه
على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكونوا يبتغوا باموالكم التي جعل الله

ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به
من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات

المهور

كم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم
فتخسروا دنياكم ودينكم ولا خسرة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين
النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا
قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم
ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا مما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر
يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات
من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس
كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او
للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن واجورهن مهورهن لان المهر
ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض
او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب
له من كله او تزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي
كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما
ليلة او ليلتين او اسبوعا او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها
او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن
النبي صلى الله عليه انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء
الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس رضي الله عنه هي
محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند
موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف الطول الفضل يقال لفلان على فلان
طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ
غير طائل ومنه قولهم ما حلا منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه
زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها
نكاح الحرة فلينكح امة وقال ابن عباس رضي الله عنه من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه
نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي واما ابو حنيفة رحمه الله فيقول الغني والفقير سواء في جواز
نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة اصحاب اللحى والعمائم وبما
انفقوا من اموالهم وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروي ان سعد
بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه

واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا

منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك
فقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا قانتات مطيعات قائمات بما عليهن
~~بين الرجل وامراته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص~~ للازواج حافظات
للغيب الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما
يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه خير النساء امراة
ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل
للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا
بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن
الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما
حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف
والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فالصوالح قوانت حوافظ
للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن نشوزها ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج
في المضاجع في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف او هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره
في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع
وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم با
الضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر
البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح
لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه علق سوطك حيث يراه اهلك
وعن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا
غضب على احدنا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات و
لولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني
وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز
ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى
ان ابا مسعود الانصاري رضي الله عنه رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه
فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا
كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق
بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف
على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل البين
مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري

بين الرجل وامراته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص صح

والتحصن

وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا

ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا رضي يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما
وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم
نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك
ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل يليان الجمع والتفريق
بينهما ان رأيا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما
جعل الحكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه
للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رأيتما ان تفرقا فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج فقال علي

اما الفرقة فلا ع

رضي الله عنه كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن
الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والالف في يريدا اصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق
الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك
في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما
المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله
بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضمير
الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما
الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين
ويجمع بين المفترقين وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم
الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان
بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على
قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عِدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها
ونَصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك
لكونه سببا للصلي نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه ولا
صارف عنه من ظلم او نحوه كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم
الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن
لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة
انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما والتكفير اماطة
المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب
ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا ومال اليتيم
والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر رضي الله عنهما ~~ان رجلا قال الكبائر سبع~~ السحر و
استحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة

لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بفتح الميم وفتحها
بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من
الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة صادرة من الله عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح لكل منهم
له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما
قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة ولا يحسد اخاه على حظه للرجال
نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط
والقبض كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من
خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان و
لهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت
ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم
فنزلت مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي
وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
على ان موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف وهو هم في جعلناهم والكلام مبتدأ و
خبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا
موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل
ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كأنه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين
عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم و
يجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم
للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك
وهدمي هدمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي و
اطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ
وعن النبي عم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده
الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي ح رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل
وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي وقيل
المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم ايمانكم قوامون على النساء يقومون
عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال
والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال
على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة
والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية

والرأى وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة
والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابى حنيفة رحمة الله عليه والشهادة فى الحدود والقصاص
وزيادة السهم والتعصيب فى الميراث والحمالة والقسامة والولاية فى النكاح والطلاق والرجعة
وعدد الازواج واليهم الانتساب وهو لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذى القربى وبكل من بينكم و
بينه قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذى القربى الذى قرب جواره والجار الجنب الذى
جواره بعيد وقيل الجار القريب النسب والجار الاجنبى وانشد لبلعاء بن قيس لا يجتوينا
مجاور ابدا ذو رحم او مجاور جنب وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقى الجوار والقربى و
الصاحب بالجنب هو الذى صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا فى السفر واما جارا ملاصقا
واما شريكا فى تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك فى مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى
صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان
وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التياه
الجهول الذى يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم و
قرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا
فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدا خبره محذوف
كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويخفون احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم الباء
وفتحها وبفتحتين وضمتين اى يبخلون بذات ايديهم وبما فى ايدى غيرهم فيأمرونهم
بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد فى امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره قال
وان امرءا ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل ولقد راينا ممن بلى بهذا البخل من
اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه
فى راسه كانما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم
اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم
فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتيهم من
فضله الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبى عم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى
نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد رحمه الله قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير
المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه
كلامه وقيل نزلت فى شان اليهود الذين كتموا صفة رسول الله عم رئاء الناس للفخار وليقال
ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت فى مشركى مكة المنفقين اموالهم

فى عداوة

وماذا عليهم لو آمنوا بالله والرسول واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون

فى عداوة رسول الله عم فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا
لهم بان الشيطان يقرن بهم فى النار وماذا عليهم اى تبعة ووبال عليهم فى الايمان والانفاق
فى سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة فى ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو
عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة فى العفو والبر
ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد الذرة النملة الصغيرة
وفى قراءة عبد الله رضى الله عنه مثقال نملة وعن ابن عباس رضى الله عنه انه ادخل يده فى التراب
فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء فى الكوة
ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شئ واصغره او زاد فى العقاب لكان ظلما وانه
لا يفعله لاستحالته فى الحكمة لا لاستحالته فى القدرة وان تك حسنة وان تك مثقال الذرة حسنة
وانما انث الضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف
ثوابها لاستحقاقها عند الثواب فى كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن
عثمان النهدى انه قال لابى هريرة رضى الله عنه بلغنى عنك انك تقول سمعت رسول الله عم يقول
ان الله يعطى عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة رضى الله عنه لا بل سمعته
يقول ان الله تعالى يعطيه الفى الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت
من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما
وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف
من اضعف وضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة
من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو
نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين
شهيدا وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله عم وقال حسبنا لو تسوى بهم
الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم
كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا
ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان
يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون فى قولهم والله ربنا ما كنا
مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك
وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم
يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى
نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء فى السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى

ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم

كارى روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت المغرب فقدموا احدهم
ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون
في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر
وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها وعن لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها
واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها
وهي المساجد كقوله ع م جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس و
غلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الرنوق وقرى سكارى بفتح السين وسكرى
على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم
جماعة سكرى كقولك امراة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة للجماعة
وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم
سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى
ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لانه اسم جرى مجرى المصدر
الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال
فان قلت ــــ كيف جمع هذه الحال والحال التي قبلها قلت ــــ كانه قيل لا تقربوا
الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور
السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة
جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت ــــ كيف يصح
صلوتهم على الجنابة لعذر السفر قلت ــــ اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل
لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر
الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه
الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم
في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي
ان رسول الله ع م لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر وهو جنب الا لعلي
رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد فان قلت ــــ ادخل في حكم الشرط اربعة و
هم المرضى والسفر والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم
عند عدم الماء منهم قلت ــــ الظاهر انه تعلق بهم جميعا وان المرضى اذا
عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر
اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال

الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده
عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه فان قلت ــــ فما يصنع
بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتاتى في الصخر
الذي لا تراب عليه قلت ــــ قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت ــــ قولهم انها
لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت براسه
من الدهن ومن التراب ومن الماء الا معنى التبعيض قلت ــــ هو كما تقول والاذعان
للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من
كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر فان
قلت ــــ كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين
والمرضى والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة
سبب لوجوب الغسل قلت ــــ اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر و
هم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم
المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب
الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع
او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض
والسفر وقرى من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط
الم تر من روية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم
اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التورية وهم احبار اليهود يشترون
الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على
صحة نبوة رسول الله ع م وانه هو النبي المبشر به في التورية والانجيل ويريدون ان تضلوا
انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل
يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرى ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله
اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون
بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله
وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان
الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا
من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله
جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما
اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم

من الذين هادوا

الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدا على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره
من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش

الكدح

ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا لكان خيرا
لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها
فنردها على ادبارها

الكدح فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا
مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن
موضعه في التورية بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل
هاهنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه
التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى
انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره
والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة قولهم غير مسمع
حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا
سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت
دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير سمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا
او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع كلاما
غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع
فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية
او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم
يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا
بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع
لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت
كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه
بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك
ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرأ ابي رضي الله عنه وانظرنا من الانظار وهو الامهال
فان قلت الام يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا و
اطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم بسبب كفرهم
وابعدهم عن الطافه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع
كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد امنوا
ان نطمس وجوها ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها
وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الاخر ردها
على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان
يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاءهم اي من قبل ان
نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا

او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا

235

منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير فان قلت لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان وقد آمن ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله تعالى اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاؤهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم تؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء يريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اي ارتكبه وهو مفتعل مما لا يصلح كونه الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله تعالى فان قلت اما قال رسول الله عليه السلام والله اني لامين في السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحو فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا

حتى نطمئن

وهو ابعد هدى

انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما

118

236

حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون الناس اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما يكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا الزام لهم بما عرفوه من ايتائه الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس رضي الله عنه الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان صلوات الله عليهم وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود صلوات الله عليه مائة ولسليمان صلوات الله عليه ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم فمن اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله عم ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم صلوات الله عليه من آمن بابراهيم صلوات الله عليه ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم ايلها فان قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله عم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضاء كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله رضي سندخلهم بالياء ان تؤدوا الامانات الى اهلها الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار رضي الله عنه وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله عم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا
إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين
آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير
وأحسن تأويلا ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد
الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا

إليه وقال لو علمت أنك رسول الله لم أمنعه فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول
الله عليه السلام وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر
رضي الله عنه أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد
أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه هذه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهبط جبريل
صلوات الله عليه وأخبر رسول الله عليه السلام أن السدانة في أولاد عثمان أبدا وقيل هو خطاب للولاة بأداء الأمانات
والحكم بالعدل وقرئ الأمانة على التوحيد نعما يعظكم به ما إما أن يكون منصوبة موصوفة بيعظكم به وإما أن
يكون مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف
أي نعما يعظكم به ذاك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون لما أمر الولاة
بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد بأولي الأمر
منكم أمراء الحق لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وإنما
يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء
الراشدين ومن تبعهم بإحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ما عدلت فيكم فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن
أبي حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله وأولي الأمر منكم قال أليس قد نزعت
عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وقيل هم أمراء السرايا وعن النبي عليه السلام
من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني
وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فإن تنازعتم في شيء
فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين فردوه إلى الله ورسوله أي ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة
وكيف يلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولا بأداء
الأمانات وبالعدل في الحكم وأمرهم آخرا بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة
ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا إلى كتاب ولا إلى سنة إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون
عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك إشارة إلى الرد
إلى الكتاب والسنة خير لكم وأحسن تأويلا وأصلح عاقبة وقيل أحسن تأويلا من تأويلكم أنتم روي
أن بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى كعب بن
الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله عليه السلام فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق أكذلك قال نعم فقال
عمر رضي الله عنه مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر رضي الله عنه فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق
المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل صلوات الله عليه
إن عمر رضي الله عنه فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله أنت الفاروق والطاغوت كعب بن الأشرف سماه الله
طاغوتا لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وعلى التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل

اختيار الت

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك
يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من
رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

اختيار التحاكم إلى غير رسول الله على التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان بدليل قوله عز وعلا وقد أمروا أن يكفروا به ويريد
الشيطان أن يضلهم وقرئ بما أنزل وما أنزل على البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل أن يكفروا بها ذهابا بالطاغوت
إلى الجمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا
كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية إن أصلها آيية فاعلة فحذفت اللام
فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول أهل مكة تعالي
بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي أقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون
يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمرا ولا يوردونه إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى
غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤوك حين يصابون فيعتذرون إليك ويحلفون ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا
إحسانا لا إساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد
لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل
جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا
بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به فأعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة
في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم
بالتخويف والإنذار فإن قلت بم تعلق قوله في أنفسهم قلت بقوله بليغا أي قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا
في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال إن نجم
منهم النفاق واطلع قرنه وأخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وأنه لا فرق بينكم و
بين المشركين وما هذه المكافة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره فإن فعلتم ما تكشفون به
غطاءكم لم يبق إلا السيف أو يتعلق بقوله قل لهم أي قل لهم في أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق
قولا بليغا وأن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه ولا يغني عنكم إبطانه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها
من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك وأغلظ أو قل لهم
في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع وفي الإمحاض أدخل قولا بليغا
يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما أرسلنا من رسول وما أرسلنا رسولا قط إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذن الله في طاعته
وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله من يطع الرسول
فقد أطاع الله ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤوك
تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برد
قضائك حتى انتصبت لهم شفيعا إلى الله لوجدوا الله توابا لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم
وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول
من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله عز وجل فوربك لنسألنهم أجمعين ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم
كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فإن قلت هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا
في

لا يؤمنون

ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد
تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و
الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما

تلويح بأن في ذكر اشتراط النفي والاثبات فيه وذكر قوله فلا اقسم بما تبصرون اي قوله رسول كريم فيما شجر بينهم فيما
اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه حرجا ضيقا أي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لأن الشاك
في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضوه بشيء من قولك
سلم الأمر لله وأسلم له وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها إذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما تأكيد للفعل
بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق
واليهودي وقيل في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة وذلك أنهما اختصما إلى رسول الله عم في شراج من الحرة
كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب حاطب وقال لأن كان
ابن عمتك فتغير وجه رسول الله عم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك ثم
أرسله إلى جارك كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه
وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله
ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال
اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله
إن الله ليعلم مني الصدق لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها وروي أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود فقال
رسول الله عم والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في [illegible]
ونزلت في شأن هؤلاء ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أي لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل
من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه إلا أناس منهم قليل وهذا توبيخ
عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ إلا قليلا بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا ما يوعظون
به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان
خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتا لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه وإذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا
يكون لهم أيضا بعد التثبيت فقيل وإذا لو ثبتوا لآتيناهم لأن إذا جواب وجزاء من لدنا أجرا عظيما كقوله ويؤت
من لدنه أجرا عظيما وفي أن المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجرا لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته ولهديناهم
ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات والصديقون أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كأبي
بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة
أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده وحسن أولئك رفيقا فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك
رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك
بالفتح والضم مع السكون والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز أن يكون مفردا بين به
الجنس في باب التمييز وروي أن ثوبان مولى رسول الله عم كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد
تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع

يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم
شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل فيقتل أو يغلب فسوف
نؤتيه أجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان

إلا أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك
لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك
أبدا فنزلت فقال عم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس
أجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز أن يكون
ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى أن ما أعطي المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه
تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لأنهم
اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر
بمعنى كالأثر والإثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم
بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم فانفروا إذا نفرتم إلى العدو ثبات جماعات
متفرقة سرية بعد سرية أو انفروا جميعا أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة وقرئ
فانفروا بضم الفاء واللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله إن الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم
لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها إليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر
رسول الله عم والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد و
بطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم إذا أبطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وأبطأ علي وبطؤ
نحو ثقل ويقال ما أبطأ بك فيعدى بالباء ويجوز أن يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره و
ليثبطنه عن الغزو وكان هذا دين المنافق عبد الله بن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم أحد فإن أصابتكم مصيبة
من قتل أو هزيمة فضل من الله من فتح أو غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من لأن
قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله
وهو يا ليتني والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر
وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر أنه تهكم بهم لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدهم حسدا لهم
فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فأفوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم
والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فأنا أفوز في ذلك الوقت يشرون
بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة فالذين يشرون الحياة
الدنيا هم المبطئون وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل
الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى إن
الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله
ظافرا أو مظفورا به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان أن يكون مجرورا
عطفا على سبيل الله أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين لأن سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين
من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة

وهو غلام لمفرغ باعه ثم ندم فقال ليتني مت بعد بيعه

ومنصوب على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين ح ح

الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال

بمكة بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد عم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس رضي الله عنه كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير مكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس صلوات الله عليه كما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية يعني او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر وانما تريد ان تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذاة خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله

لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة

تريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى عم وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت انها تشاءمت برسول الله عم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله عز وعلا وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يأمر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو نهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال لهم كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشأني حمد الله ولو نصب

فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا

243

حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه تقضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك شرهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تناقض نظمه وتفاوت بلاغته ومعانيه وكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء البيان وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم فيومئذ لا يسأل عن ذنبه من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلعم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولي الامر كبار الصحابة البصراء بالامور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه منهم الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلعم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله فان اهجه يضجر كما ضجر بازل من الادم دبرت صفحتاه وغاربه والنبط الماء يخرج من البئر اول ما يحفر واستنباطه اخراجه

والاستنباط

فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد باسا واشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا

244

واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الاية قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله صلعم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلفك الا فعل نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلعم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموأل ألي الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها باحسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلعم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لاخر اقرأ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنه الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وعن الطحاوي رحمه الله ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي عليه السلام انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل على امراته ولا

يسلم

الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم
بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا

على جنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي عم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص العلماء في ان يبتدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حاجة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة رحمه الله لا تبتدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف رحمه الله لا تسلم عليهم ولا تصافحهم فاذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء بما يصلحه في دنياه ان الله كان على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر للمبتدأ او اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي ليحشرنكم اليه والقيمة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقبح بصارف عن الاقدام وهو قبحه ووجه قبحه هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقتها وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن ساير القبائح فما لكم نصب على الحال كقولك ما لك قائما وروي ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله عم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله عم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله عم يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله عم او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وترك رسمهم وركسوا فيها فيكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض

اى السلم اى ردة

ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم
عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ

من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم ساير المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه من معه من هو من انسابهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله عم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاؤكم لا يخلو اما ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فتقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالمكافين لان الاتصال بهولاء او هولاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي رضي الله عنه بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استينافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله عم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المؤمنين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمومن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله تعالى وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود فيها ان يقتل مومنا ابتداء غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ فان قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطاء وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال

ومن قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله
عليما حكيما

الا في حال الخطاء وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطاء والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة
الا اذا وجد منه خطاء من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرى شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ
خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم
وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله عم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف
حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة
والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا
عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا
ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه
عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله فنزلت فتحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق
الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع
منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالراس في قولهم
فلان يملك كذا راسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن
لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها ان في كفارة الظهار فاشترط الايمان
وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد
الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها
كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم
يبق وارث فهو لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله عم انا وارث من لا وارث
له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امراة تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا
انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر رضي الله عنه وعن ابن مسعود
رضي الله عنه يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة
الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من تجب الرقبة والدية قلت على القاتل الا ان
الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا
الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي عم كل
معروف صدقة وقرأ ابي رضي الله عنه الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق قوله ان يصدقوا وما محله قلت تعلق
بعليه او بمسلمة بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى
الا متصدقين من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم
لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطاء وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل
كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطاء لانهم يظنونه
كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من

الكتابيين

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه واعد له عذابا يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا

من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين فمن لم يجد رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام
شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك
توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه هذه الاية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد
امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير
مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ
والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من
قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان
بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين
عينيه ايس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن هذه الاية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة
وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم
ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه
التوبة في قتل الخطاء لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم
لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت
ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب
اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليات بدليل مثله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى
الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام
وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من امنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس
بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله عم كان عليها غالب بن فضالة
الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا
وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا
رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي
قال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي
وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم
الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل
رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت
من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن
الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين
في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا
لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبين

منحاه

يغنمكموها بيانه

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم درجة وكلا وعد الله الحسنى
وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض
قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا

ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك غير اولي الضرر قرئ
بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض
او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه كنت الى جنب رسول الله عم فغشيته السكينة
فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين
والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة
كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها
فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يستوي القاعدون عن بدر
والخارجون الى الجهاد عن غزاة الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء
قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط
منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك
من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة
موضحة لما نفي من استواء المجاهدين والقاعدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير
اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من المجاهدين والقاعدين وعد الله
الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي عم لقد خلفتم بالمدينة
اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم (قلوبهم) وكانت
افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله مفضلين درجة ومفضلين
درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات
فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب
درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة
ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات
ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان يكون انتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات
كأنه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب
مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ
توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم
فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة
للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة
فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب
ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا
على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم
لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا

في كتف بعير

انكم كنتم

الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان
الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما

انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله عم كما فعل
المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب
والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة
وعن النبي عم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابراهيم
ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك
المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة
ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم
بالمسالك وروي ان رسول الله عم بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب
لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير
متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل
الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد من الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا قلت الرجال و
النساء قد يكونوا مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك
فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين
فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد
بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا
بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون
ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات
لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فان قلت
لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه
حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره مراغما مهاجرا وطريقا
يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو
التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي
كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقرئ مرغما ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله من عنزي
سبني لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على
الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس
سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة رضي
الله عنه انه لما ادركه الموت صفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه
رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا

اراد انه لم اضربه فنقل حركة الهاء الى الباء

واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا
كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة
اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم

فقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد
او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله
وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله الضرب في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر
عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن بسير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء
الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام لم يقصر وعند
الشافعي رحمه الله ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله عز وجل فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي وروى عن النبي عم انه اتم
في السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله
بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال عليه السلام احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان
رضي الله عنه يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضي الله عنه
صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين
ركعتين في السفر وزيدت في الحضر فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام وكانوا
مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه
وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد
والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واما
في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه من الصلوة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم
على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله عم حيث
شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله عم في كل عصر قوام بما كان
يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمهم
كما امهم رسول الله عم الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم
معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم والضمير اما
للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن
الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا
يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي ح رح ان يصلي الامام
باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم يقف
هذه بازاء العدو وياتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم يقف بازاء العدو
وياتي الاولى فيؤدي الركعة بغير قراءة ويتم صلوتها ثم يحرس وتاتي الاخرى فيؤدي
الركعة بقراءة ويتم صلوتها فالسجود على ظاهره عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند مالك

بمعنى الصلوة

ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر
او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا ١٢٦
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما

بمعنى الصلوة لان الامام عنده يصلي بطائفة ركعة ويقف قائما حتى يتم صلوتها ويسلم و
يذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى يتم صلوتها ويسلم بهم وبحقه ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة و
بين الحذر في الاخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع
بين الاسلحة وبينه في الاخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم
ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص
لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ
الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فان قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا
مهينا قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين
عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها
قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم حين
تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق و
الانزعاج ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على
اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة
والمشي والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رحمه الله فهو
معذور في تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فادعوا ذكر الله تعالى مهللين مكبرين مسبحين
داعين بالنصرة والتأييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر
الله ودعائه واللجاء اليه فاذا اطمأننتم فاذا امنتم فاتموا الصلوة فأتوها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا
في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض بهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون اي ليس
ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم
يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا
يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الاعرج ان تكونوا تألمون
بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله فانهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فانهم ييلمون كما
تيلمون وروى ان هذا كان في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا
ولا يأمركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم وروى ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من
جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين
رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر
الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت

انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن
الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما
لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة

بنو ظفر انطلقوا بها الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي
فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل همّ ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد
ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر رضي الله عنه
لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي من رسول الله
كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما
للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي يختانون انفسهم
يخونونها بالمعصية كقوله عز وعلا علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم
كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده
قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة
وكل من خان خيانته فلا يخاصم لخائن قط ولا يجادل عنه فان قلت لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت
كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت خاتمة امره لم يشك في حاله وقيل اذا
عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه
اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون من الناس
حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم
لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم
ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون
ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد
ليسرق دونه ويحلف ببراءته فان قلت كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه
سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيّته وتوريكه الذنب على
اليهودي ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء
خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا
بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة
اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله رضي الله عنه عنه اي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه
ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف
الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار
والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه ولتوبيخ كافر منهم من نصرته والذب عنه فانما يكسبه على نفسه
لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة ثم يرم به
بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم اثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين
الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل

او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم
وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله
ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه
الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا
لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم
ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن
يتخذ الشيطان وليا من دون
الله فقد خسر خسرانا مبينا
يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا
غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا
يجدون عنها محيصا

الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر
ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم
كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت
بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر
القلوب او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية
في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من
كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة
في نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب
وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف
او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في
كثير من نجواهم فهذا هو بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهذا هو بعينه وشرط في
استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات
فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الآمر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر
به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز
ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل
المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا
تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل
جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال
بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي
في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات
مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم
اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة
له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا
الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن
لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في
هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ انثا جمع انيث او اناث ووثنا واثنا با
لتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله
عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه
فجعلت طاعتهم له عبادة ولعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله
قيلا ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو
أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة

نصيبا بيانه

وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض
الجند رزقه قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعون إلى النار ولأمنينهم الأماني الباطلة من
طول الأعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها با
لشفاعة ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام فليقطعنها بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن
وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله تعالى فقء عين الحامي وإعفاؤه
عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم وأما في بني آدم فمحظور وعند أبي حنيفة
رحمه الله يكره شرى الخصيان وإمساكهم واستخدامهم لأن الرغبة فيهم تدعو إلى خصائهم وقيل فطرة
الله التي هي دين الإسلام وقيل للحسن إن عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن
ابن مسعود رضي الله عنه هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات
خلق الله وقيل التخنث وعد الله حقا مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن أصدق
من الله قيلا تأكيد ثالث بليغ فإن قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان
الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيبا للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله
على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان في ليس ضمير وعد الله أي ليس ينال ما وعد الله من الثواب
بأمانيكم ولا بأماني أهل الكتاب والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به ولذلك ذكر أهل الكتاب
معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما
وقر في القلوب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن
بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي
كانت قبله فنزلت ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن
حالا لأوتين مالا وولدا إن لي عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار
إلا أياما معدودة ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك قبله وعن مجاهد أن الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به
وقوله ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى بعد ذكر تمني أهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت
به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وإذا
أبطل الله الأماني وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء عمله فهو الهالك تبين
الأمر ووضح ووجب قطع الأماني وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى إليه
الأذهان فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لأن كلا
لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الأحوال وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا
زكوة ويسقط عنه الصلوة في بعض الأحوال والثانية لتبيين الإبهام في من يعمل فإن قلت كيف خص الصالحون
بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء و

عمال الصالحات

ولا يظلمون نقيرا ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا
ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في يتامى النساء اللاتي
لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين

وعمال الصالحات جميعا والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لأن كلا الفريقين مجزيون
بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابه وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم فكان
ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل
لأنه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل أسلم وجهه لله أخلص نفسه لله وجعلها
سالمة لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع أو من
إبراهيم كقوله عز وجل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف أي مال عن الأديان كلها إلى دين
الإسلام واتخذ الله إبراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل
المخال وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل أو يسد خللك
كما تسد خلله أو يداخلك خلال منازلك وحجبك فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها
من الإعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لأن من بلغ من الزلفى
عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها
معنى وقيل إن إبراهيم صلوات الله عليه بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان
إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للأضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر
حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم عم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته إلى غرارة منها فأخرجت أحسن
حوارى واختبزت واستنبه إبراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت امرأته من عند
خليلك المصري فقال عليه السلام بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله عز وجل خليلا ولله ما في السماوات وما في
الأرض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه أن له ملك أهل السماوات والأرض فطاعته واجبة عليهم
وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم أن يختاروا لأنفسهم
ما هو أصلح لها ما يتلى في محل الرفع أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وإن خفتم ألا تقسطوا
في اليتامى وهو من قولك أعجبني زيد وكرمه ويجوز أن يكون وما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على أنها جملة
معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وأن العدل والنصفة في حقوق اليتامى من
عظائم الأمور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه
الله ونحوه في تعظيم القرآن وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز أن يكون مجرورا على القسم كأنه قيل قل
الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم أيضا لمعنى التعظيم وليس بسديد أن يعطف على
المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فإن قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الأول
هو صلة يتلى أي يتلى عليكم في معناهن ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن وأما في الوجهين الآخرين
فبدل لا غير فإن قلت الإضافة في يتامى النساء ما هي قلت إضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ
في ييامى النساء بيائين على قلب همزة أيامى ياء لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله لهن أي ما فرض
لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه ومالها فإن كانت جميلة تزوجها وأكل مالها وإن كانت

جمع غرار

من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا
فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما

دميمة عضلتها عن التزوج حتى تموت فترثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان
تنكحوهن لدمامتهن وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة
جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت
احق بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام با
الامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وان تقوموا
مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز
ان تكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم
ولا يخلوا احدا يهتضمهم خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله واماراته والنشوز ان
يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بسب او ضرب
والاعراض ان يعرض عنها بان يقلل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة
او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما وقرئ
ان يصّالحا ويصّلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصّالح في اصطلح كاصبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر
كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها
كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله عم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت
لها يومها وكما روي ان امرأة اراد ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني و
دعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له
بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها باحسان والصلح خير
من الفرقة او النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او الصلح من الخيور كما ان
الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس
الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المرأة
لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها
واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة
لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان
والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني آدم وامرأته من اجملهم فاجالت في
وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال لها ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف
قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن
فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم
وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في

المحبة

تتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان
الله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين وكان الله
على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة

المحبة وعن النبي عم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك
يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا
يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة
والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا
كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور
فتمنعوها قسمها من غير رضا منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه
ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل
ولا مطلقة قال هل هي الا حظة او تطليق او صلف او بين ذاك تعليق وفي قراءة ابي رضي الله عنه فتذروها كا
لمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وروي ان عمر رضي الله عنه
بعث الى ازواج رسول الله عم ورضي عنهن بمال فقالت عائشة رضي الله عنها الى كل ازواج رسول الله بعث
عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان رسول الله عم
كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ رضي الله عنه امرأتان
فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من
ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم وان يتفرقا يعني وان تفارقا فلم يصطلحا
صاحبة يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع
الغني المقتدر من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا والكتاب اسم للجنس يتناول
الكتب السماوية ان اتقوا بان اتقوا ويكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا فان لله
عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق
كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي
يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا
الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم كانوا بالتقوى يسعدون
عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملائكة والثقلين
من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد
لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه
ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم
وانشأكم ويأت بآخرين ويوجد انسا آخرين مكانكم او خلقا آخرين غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام
والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو
خطاب لمن كان يعادي رسول الله عم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بأناس آخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان فقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد

وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا

يريد بجهاد الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي رضي الله عنه فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله رضي الله عنه ان يكن غني او فقير على كان التامة ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا وتعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا بان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون البعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض الى قوله حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من

الضمير تصرف الى من

لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا

١٣١

الى الكتب

من قبل قلت لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتاب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي يعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب هؤلاء الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا نرى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم لمحمد امر فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا وان الشان كذا مما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه فكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثلهم مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى ما دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المسلمين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانوا في قتالكم

التمع

بيان بنفيهما

الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين والله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين
اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا

وقوتا ببنانا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك
جاركم وتكون بيني وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا
قلت تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح لهم ابواب السماء
حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها يخادعون الله يفعلون
ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل المخادع حيث
تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الاخرة ولم يخلهم في العاجل
من فضيحة واحلال بلاء ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت
اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفى نورهم ويبقى نور
المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى
في سكران اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراؤن
الناس يقصدون بصلوتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون
قط غائبين عن اعين الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به الا قليلا ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة
من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا
ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة
ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراءاة وهي
مفاعلة من الرؤية قلت فيه وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من
المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش
مفانق وروى ابو زيد رأت المرأة الرجل اذا امسكتها لترى وجهها ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحاق
يرؤنهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراؤنهم كذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون
عن واو يراؤن اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان
والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرين وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي
يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب
كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس رضي الله عنه مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون
قلوبهم او دينهم او رأيهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه
متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة
فليسوا بماضين في دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هولاء
لا منسوبين الى هولاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هولاء ولا منسوبين الى هولاء فيسموا مشركين لا تتخذوا
الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا
حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص

متحيرون بينهما

ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع
المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا

المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن الدرك الاسفل
الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون
الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم
الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومداجاتهم واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق و
اعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع
المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه و
يساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب
ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عم ثلاث من كن فيه فهو منافق
وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله
عنه من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر رضي الله عنهما ندخل على السلطان ونتكلم
بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو
مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك
به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضرا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز
عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وامنتم به فقد ابعدتم
عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم فان قلت
لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع
فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى النظر الى معرفة المنعم امن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على
الايمان وكانه اصل التكليف ومداره الا من ظلم الا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم
وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر
بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على
البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا
كانه قيل لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم
من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار
بعدما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية
وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب
الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا
قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين امنوا بالله
وكفروا برسله او امنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله وبرسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى
اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلوتك الى قوله سبيلا اي طريقا

والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف

وسبيلا في الشرائع وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد أخطأوا فإنه لا واسطة بين الكفر والإيمان ولذلك قال أولئك هم الكافرون حقا أي هم الكاملون في الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فإن قلت كيف جاز دخول بين على أحد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت إن أحدا عام في المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت أحدا فتقصد العموم ألا تراك تقول إلا بني فلان وإلا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كأحد من النساء سوف نؤتيهم أجورهم معناه أن إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا روي أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله إن كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى نزلت وقيل كتابا إلى فلان وكتابا إلى فلان بأنك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن رحمه الله ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى صلوات الله عليه وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى أرناه نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبراهيم عليه السلام أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا معاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد ومن قرأ لا تعدوا ولا تعدّوا بإدغام الدال فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فإن قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك فإن قلت هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لأن قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف وكان متعلقا به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا غلفا أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكي عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكذهب المجبرة فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فإن قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه أن يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا

فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها

قلوبنا غلف

بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما

١٣٢

قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فإن قلت ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب أو على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليهم فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا البهتان العظيم هو التزنية فإن قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهادا روي أن رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه السلام ورفع عيسى وألقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى عليه السلام ثم اختلفوا فقال بعضهم إنه إله لا يصح قتله وقال بعضهم إنه قد قتل وصلب وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان صاحبنا فأين عيسى وقال بعضهم رفع إلى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فإن قلت شبه مسند إلى ماذا إن جعلته مسندا إلى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند إلى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل إليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله إنا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه إلا اتباع الظن استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فإن قلت قد وصفوا بالشك والشك أن لا يترجح أحد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما فكيف يكونون شاكين ظانين قلت أريد أنهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن إن لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم إنا قتلنا المسيح أو يجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا أي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لأنه إذا نفي عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين وإحاطة لم يكن إلا تهكما بهم ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم وإن منكم إلا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن به قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله يعني إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها

بيانه تزهق

وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون
في العلم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم
اجرا عظيما

يعني هذه الآية وقال اتى الحجاج بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذكر فقلت ان اليهودي اذا
حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول
للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا
فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال
لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية
قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس رضي الله عنه انه فسره كذلك
فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق
بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة ابي
رضي الله عنه الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح
للجمع فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم
من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان
الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم
كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى صلوات الله عليه بمعنى وان منهم احد الا
ليؤمنن به بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء
في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله
في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب
الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد
انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله
وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله
عليه وسلم فبظلم من الذين هادوا فبأي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه
وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم
وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم
في تحريف الكتاب لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون
فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنون منهم او المؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون
على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه
على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر
في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين
الاولين الذين مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن

انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس
وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله
ليغفر لهم وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا ١٣٣
وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا

عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك
اي يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء صلوات الله عليهم وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه والمقيمون
بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله
ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا وقرئ
زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا وما
اشبهه ذلك او بما فسره قصصناهم وفي قراءة ابي رضي الله عنه ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل
وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب انهما قرءا وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه
وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز
انتصابه على التكرير فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة
التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرفوا
انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل
والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم
ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا
لما وجب الانتباه له وقرأ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو
في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله
انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك
قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات
كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا
بم يعلم ان الملائكة يشهدون بذلك قلت يجابون انه يعلم بشهادة الله لانه علم ان الملائكة يشهدون بصحة
ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله
قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ
وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله
بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من
مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة
والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الا ترى الى قوله واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله
شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله كفروا وظلموا
جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه
لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيامة
الا طريقها يسيرا اي لا صارف له عنه فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم

اي وقصصنا رسلا قصصناهم

جمع بدعة

تكرير ورسلا لم نقصصهم عليك يعني رسلا لم نقصصهم عليك مع انهم كانوا رسلا مبشرين ومنذرين

يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون

على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه تحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان بالتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى عم كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلاثة خبر مبتدأ محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى بن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله سبحانه من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون له ولد بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه مما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم صلوات الله عليهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع عيسى عليه السلام عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخر لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرأ علي رضي الله عنه عبيد الله على التصغير روي ان وفد نجران قالوا لرسول

ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان

١٣٤

الله عم لم تعيب صاحبنا قال عم ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول فيه قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال عم انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف عليه ولا الملائكة قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذكر العباد لدلالة عبدا لله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال وقرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم روي انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله عم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله عم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك امرؤ ارتفع بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس رضي الله عنه وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول

مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا ايها الذين امنوا لا تحلوا
شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا

انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الاخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع
في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة
ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك وكما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثني
وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة
ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على
كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين
يتجاوز عنهم **سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون وثلاث آية**
بسم الله الرحمن الرحيم يقال وفى بالعهد واوفى
به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا
لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف
وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها
عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم
وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة
ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القران من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او
الا ما يتلى عليكم اية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها
كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة
الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احللنا لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن
الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام
في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة و
مصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك
من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف
والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت ويتقرب به الى الله من النسائك وهو
جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة
او لحاء شجر او غيره وآمو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة
الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض
للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من
الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل
وميكال كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها
فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين

واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة ١٣٥
وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق

المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم
تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي عليه السلام المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا
حرامها وقال الحسن رحمه الله ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل
هي منسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا
عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك قوله انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال
مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان
بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انها على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم
وقرا عبد الله رضي الله عنه ولا امي البيت الحرام على الاضافة وقرا حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب
المؤمنين فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا
وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا حللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى
كسب في تعديه الى مفعول واحد والى اثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال
اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا
يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق
بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم
الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه ان يصدوكم ومعنى صدهم
اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم
بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام
والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار كان اهل
الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر اي الامعاء ثم
يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات
والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا
او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه
الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرا عبد الله رضي الله عنه
والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو السبع بسكون الباء وقرا ابن عباس رضي الله عنه واكيل السبع وما
ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك
ويتقربون بها اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل
هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام
بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح
وهي مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل فان خرج الامر مضى لطيته

المسجد الحرام

اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم يسالونك ماذا احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب

وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا ومعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وسهامه الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يحيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والاتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الان في قوله الان لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعدما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله سبحانه وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعدما كانوا غالبين واخشون واخلصوا لي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان واذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور لا يؤاخذه بذلك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوا لان يسالونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سالوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر

والبازي

اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين

والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصابه على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل اخذ علما ان لا يأخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من اخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساكه الصيد عليه وان لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا والامساك على صاحبه ان لا يأكل منه لقوله عم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب فلم يشترطوا في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكوته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله طعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل هو جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رحمه الله وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة رحمه الله وقال صاحباه رحمهما الله هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا بأس وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات الحرائر والعفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة رحمه الله هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء ولا متخذي اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم اذا قمتم الى الصلاة كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون

ومنه قوله عم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك

يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا

عليه في ان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن النبي عم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة وعن النبي عم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عم عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا او موسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء رحمهم الله بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود رحمهما الله بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي عم انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد اخذ مالك رحمه الله بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعي رحمه الله باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة رح ببيان رسول الله عم وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس قرأ جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله فتوضأ قوم واعقابهم بيض تلوح فقال عم ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر اخاه ويل للعراقيب من النار

وعن عمر رضي الله عنه

واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم

وعن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله عم ورضي عنهم مسح على القدمين وذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وروي عن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه فأموا صعيدا طيبا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وبيعة الرضوان عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا فحذف مع ان ونحوه قوله عليه السلام من اتبع على ملي فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه ولهم مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب وروي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه واصحابه قاموا الى صلوة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا لها فنزل جبريل بصلوة الخوف وروي ان رسول الله عم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها

يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم و
اقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح
ان الله يحب المحسنين

عليه فامسك الله يده ونزل جبرائيل صلوات الله عليه فاخبره وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه
يستظلون بها فعلق رسول الله عم سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله عم ثم اقبل عليه فقال من
يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه
يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء
ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم
عنكم منعها ان تمد اليكم لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام
وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني
ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار
النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون
فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى ان يحدثوهم فنكثوا
الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افراثيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي
ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها اني معكم اي ناصركم ومعينكم وعزرتموهم نصرتموهم
ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت
الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتازير واحد ومنه لانصرنك نصرا موزرا اي قويا وقيل معناه ولقد
اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم بالمعروف وينهون
هم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جوابي القسم والشرط
جميعا بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن
الضلال بعد ذلك اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى
لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية
خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرا عبد الله
رضي الله عنه قسية اي رديئة مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين
فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية
بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه
ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التورية يعني ان تركهم واعراضهم عن التورية
اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود
رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال تطلع اي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون
الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك على
خائنة على خيانة او على نفس او فرقة خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال

حدثت

ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل
السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم
وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم
يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم
فاعف عنهم بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ باية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف
منهم اخذنا ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل
وبافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت لانهم انما
سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية
ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا فالصقنا والزمنا من غرى بالشيء اذا لزمه ولصق به
واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين
اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض يا اهل الكتاب
خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه
لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا افتضاحكم وصفته مما لا بد من تبيانه وكذلك الرجم وما
فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يريد القران لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز
من اتبع رضوانه من امن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله قولهم ان الله هو
المسيح معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا
به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع
من قدرته ومشيئته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر
العباد واراد ان يعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما
يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى عم ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق ادم
صلوات الله عليه او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى عم معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير
ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجرى عليه ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع
ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان تقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقول اقرباء
الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن ال فرعون لكم الملك اليوم فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء
الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم
ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه
ولما عاقبكم بل انتم بشر من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء وهم
العصاة يبين لكم اما ان تقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول صلوات الله عليهم
لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على
الحال اي مبينا لكم على فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا
كراهة ان تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما

يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير

واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي

كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان

من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين

خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل اربعمائة ونيف وستون سنة وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى صلوات الله عليهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد عليهم السلام اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم عليه السلام ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فتنقلبوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد والرجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان يكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرا يخافون بالضم شاهدة له وكذا انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى عليه السلام بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله بموسى في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس وابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت وربك يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما

بعقودهم

قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق

بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين

بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه يطيعه موافق يثق به الا هرون عليه السلام قال رب اني لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد وذكر في اعراب اخي وجوه ان يكون منصوبا عطفا على نفسي او على الضمير في اني بمعنى ولا يملك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل اني لا املك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه الرجلان المذكوران قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يؤاخيني على ديني فافرق بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضى الاربعون كان ما كتب فقد روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشات نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا سئموا وامسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتادب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين

لانه كان عقابا وقد طلب موسى عليه السلام الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انهم انه كان ذلك روحا لهما وسلامة لا عقوبة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب وروي ان هرون عليه السلام مات في التيه ومات موسى عليه السلام بعده فيه بسنة ودخل يوشع عم اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تأس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء بالعذاب لفسقهم فلا تحزن ولا تندم واتل عليهم نبأ ابني آدم هما ابنا آدم صلوات الله عليه لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم عم قربا قربانا فمن ايكما قبل زوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله عم ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق واذ قربا نصب بالنبأ اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قربت صدقة وتقربت بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني سمعت الله يقول انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قال مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي فان قلت كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحو قوله عم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجر من استحقاق العقاب فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت

فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون

ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الجامع الاعظم فقتله وروي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة ثم القاه في الحفرة قال يا ويلتى اعجزت وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي ان آدم عم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عم معصومون من الشعر ليريه ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوءة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال يا لقوم للسوءة السوآء اي للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها فاواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا آجله كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من ان جنى ذلك القتل الكتب وجره كتبنا على بني اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي ابتداء الكتب ونشأه من اجل ذلك ويقال فعلته كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله قد فضلكم وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فان قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذن بين الواحد والجميع في ذلك فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم ارأيت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته يحاربون الله ورسوله يحاربون

انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الحيوة الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيل الله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم

يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون في الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله عم فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فاوحي اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطع رجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الارض ان لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاؤا عفوا وان شاؤا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد أرى الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله واسل ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي عم يقال للكافر يوم القيمة ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر ان فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت هو نحو قوله فاني وقيار بها لغريب او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فان قلت فبم ينصب المفعول معه قلت بما يستند اليه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض قرأ ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس رضي الله عنه يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله عم وهو بين اظهر اعضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث فرية ما فيها مرية والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء في خبرهما لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يتضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه

فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا

احسن من زيدا فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والقطع من الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الاخرة واما القطع فلا يسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله وعند الشافعي في احد قوليه تسقطه من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا يسقط عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة ولكم في القصاص حيوة فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وامنا مفعول قالوا وبافواههم متعلق بقالوا لا بامنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم اخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الاخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به فان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل والضلال وروي ان شريفا من خيبر زنا بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال عم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله عم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم

ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله

سال رسول الله عم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الطائفة ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا والربوا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشى على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي عم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اهل الكتاب اليه بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي عم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بان يعادوه ويضاروه فامنه الله شرهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب قلت اما ان ينتصب حالا من التورية وهي مبتداء خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التورية ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره فان قلت لم انثت التورية قلت لكونها نظيرة لمومات وددات ونحوها في كلام العرب فان قلت علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون عليه السلام الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهودية بما استحفظوا من كتاب الله بما سالهم انبياؤهم حفظه من

التورية

من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين

من التورية اي بسبب سوال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التورية النبيون بين موسى وعيسى عليهما السلام وكان بينهما الف نبي وعيسى عليه السلام للذين هادوا يحملونهم على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله عم من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرناء والاصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآياتي باحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضاء الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الكافرين والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في اهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا وفي مصحف ابي رضي الله عنه وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها وكذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستيناف والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنه كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من اصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي رضي الله عنه فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب في العفو وقفينا مثل عقبناه اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء فان قلت فاين المفعول الاول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه

وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه
من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة
واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون

العجمي خرج لعجمته عن زنة العربية كما خرج هابيل وآجر مصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال
هدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال لقوله مصدقا وان ينتصب مفعولا لهما لقوله وليحكم كانه قيل وللهدى
والموعظة آتيناه الانجيل وليحكم بما انزل الله فيه من الاحكام فان قلت فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا
فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر يعني وقلنا ليحكم وروي في قراءة ابي رضي الله عنه وان ليحكم
بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل
الانجيل وقيل ان عيسى صلوات الله عليه كان متعبدا بما في التورية من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام
فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية فان قلت اي فرق
بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب قلت الاول تعريف العهد لانه عني به
القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عني جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم
الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر
الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو من عليه بان حفظ من التغيير
والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل او الحفاظ في كل
بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل واحد ولاشمأزوا رادين ومنكرين ضمن ولا تتبع معنى
ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها الناس
شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا طريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا
دليل على انا غير متعبدين بشرايع من قبلنا لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي
امة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرايع المختلفة هل تعملون
بها مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد
باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا
نحوها الى الله مرجعكم استيناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء
الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل فان قلت وان احكم بينهم معطوف على ماذا قلت
على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه فعل
كساير الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله
اليك ان يضلوك عنه ويستنزلوك وذكر ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود
قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك
اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم
ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله عم فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك واردوا

لعله
بين التعريفين بيانا

غيره فاعلم

افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء
بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة
فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا

غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم
موضع ذكر واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم
التولي واسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد
نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكثير
وهو في معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي
عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة و
النضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي ان رسول الله عم قال
لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب
وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله وعن
الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان
وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ يبغون بالياء والتاء وقرأ السلمي
افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة
في اهذا الذي بعث الله وعن الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب
زيد وقرأ قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره من حكام الجاهلية
فارادوا بسفههم ان يكون محمد صلى الله عليه خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام اللام في قوله لقوم يوقنون
للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل
من الله ولا احسن حكما منه ولا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم
معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم
في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله
وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله عم لا تتراءى ناراهما ومنه قول عمر رضي الله
عنه لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم
الله وروي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت
تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا
انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون
فيها ويعتذرون بانهم لا يأمنون ان تصيبهم دائرة من دواير الزمان اي صرف من صروفه ودولة من دوله
فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي
من يهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل
اخاف الدواير لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله على اعدائه
واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على

اوله تولي كبير مستغرق ...

قوله او يرتبط ليس مجزوما عطفا على
ارضها لفساد المعنى ولكنه تسكين
تخفيفا لتوالي الحركات مع ضرورة الشعر

جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين

ما اسروا في انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله عم ويقولون ما نظن ان يتم له امره وبالحري ان تكون
الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل او امر من عنده ان يؤمر النبي عم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم
وقيل او امر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من
غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على ان يأتي وبالرفع على انه كلام مبتدأ اى
ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على انه جواب قائل
يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا فان قلت لمن يقولون هذا القول قلت
اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا
لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة
كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم من جملة قول المؤمنين اى بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها
في رأى اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من يرتد وهو في الامام بدالين
وهو من الكائنات التي اخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله
بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله
فكتب رسول الله عم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر
رسول الله عم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله عم من الغد واتى كتابه في آخر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل
حمزة رضي الله عنهما وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي
واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد الفقعسي تنبأ فبعث اليه رسول الله عم خالدا فانهزم بعد
القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن و
غطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة
وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري
في كتاب استغفر واستغفري اُمّت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث
بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة
في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف
يأتي الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله عم الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم الفان من
النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار
وقيل سئل رسول الله عم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا
لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا
ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم

يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا والذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله
والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون

ويرضى عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوأهم طريقة وان كانت
طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة
والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بابيات الشعر المقولة في المردان الذين
يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي اين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم
كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبونه بذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه ان
تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة فان قلت اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن معنى الشرط
قلت هو محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل واما ذلول
فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة فان قلت
هلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل
عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون
لهم اجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال ولا يخافون
لومة لائم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين
لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المسلمين المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه
يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم وان تكون
للعطف على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار
منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق
عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه
قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة
والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير الفواضل والالطاف
عليم بمن هو من اهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما
وليكم الله ورسوله والذين ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما
اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها له
اثباتها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام
اصل وتبع وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه انما مولاكم فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من
الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا او وطاطأ
قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال اى يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع
والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكوة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة
وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في خنصره فلم
يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة

قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان يكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التاخير وهم في الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم وهو من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنون ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب وان كان اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله رضي الله عنه ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر ويعضد قراءة الجر قراءة ابي رضي الله عنه ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يابى موالاة اعداء الدين اتخذوها الضمير للصلوة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم قراءة الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع انكم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وتقيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بمحذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من ذلك اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثالها مشورة ومشورة فان

قلت

والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار

قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت بالاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي رضي الله عنه وعبدوا الطاغوت على المعنى وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل جعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر به حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم فكان رسول الله صلى الله عليه متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه الآية

الحرص

عبادتهم

والاخبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما
انزل اليك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب آمنوا

مما ينقد السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنه هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن
آية اخوف عندي منها غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه
كانهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير
استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط
اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط
اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعل لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفين ومن لم ينظر في علم البيان
عمي عن تبصر محجة الصواب في تاويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به فان قلت قد صح ان
قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر
الكلام وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله
وانكده ونحوه بيت الاشتر بقيت وفري وانحرفت عن العلى ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي
حقيقة يغللون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل
المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم
بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى
بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم
وتمزق اعراضهم فان قلت لم ثنيت اليد في قوله بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت
ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي
بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد
الله رضي الله عنه بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف
يشاء تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى
كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى
ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا
فيه وليزيدن اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله والقينا بينهم العداوة
فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا لمحاربة احد غلبوا
وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التورية
فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم
افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلعم نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة
الا وجدتهم من اذل الناس ويسعون ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله من كتبهم ولو ان اهل

الكتاب

واتقوا الكفر بالله لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن
تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك
من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله

الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان
لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نواخذهم بها ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى
وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات
اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلعم وما انزل اليهم من
سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا
قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات
السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما
تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى
وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوا عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم
بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم
تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات
ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها
جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد
والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما
انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لاخفاء بشناعته فقيل
فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كانت كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمانها كلها كما عظم
قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب
فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلام فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك والله يعصمك
عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم
فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد انه يعصمه
من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام وقيل
نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما
يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلعم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة
ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى
شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء

واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما
لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون

فلا تأس فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك وفي المؤمنين غنى عنهم والصابئون
رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا له وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في
شقاق أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك فإن قلت هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل إن واسمها قلت لا يصح ذلك قبل
الفراغ من الخبر لا تقول إن زيدا وعمرو منطلقان فإن قلت لم لا يصح والنية به التأخير فكأنك قلت إن زيدا منطلق وعمرو
قلت لأني إذا رفعته رفعته عطفا على محل إن واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل
في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما تنتظمهما إن في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير بالابتداء
وقد رفعت الخبر بإن لأعملت فيهما رافعين مختلفين فإن قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له
من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلى آخره ولا
محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فإن قلت فالتقديم والتأخير لا يكون إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته
التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين
أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها
أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث
عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما فإن
قلت فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأنه لا إزالة
فيه عن موضعه وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام
فإن قلت كيف قال الذين آمنوا ثم قال من آمن قلت فيه وجهان أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم
المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فإن قلت فما محل من آمن قلت
إما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن وإما
النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه أو من المعطوف عليه فإن قلت فأين الراجع إلى اسم إن قلت هو
محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة
من قرأ يستهزيون والصابون وهو من صبوت لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا
أدلة العقل والسمع وفي قراءة أبي رضي الله عنه والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا أيها
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وأرسلنا إليهم رسلا ليقفوهم
على ما يأتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف
أي رسول منهم بما لا تهوى أنفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع
فإن قلت أين جواب الشرط فإن قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لأن الرسول الواحد لا يكون
فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول إن أكرمت أخي أخاك أكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول

وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا إن الله
هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين
من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا
يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف
نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون

كيف فعلوا برسلهم فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال
الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها وقرئ وأن لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع
على أن هي المخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فإن قلت كيف دخل
فعل الحسبان على أن التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فإن قلت فأين مفعولا
حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو إسرائيل
أنهم لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل
ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله
وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال
نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير أو على قولهم أكلوني
البراغيث أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في أنه
عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى إنه من يشرك بالله في عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته
أو أفعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم
من المحرم عليه وما للظالمين من أنصار من كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى
عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من
مقداره أو من قول عيسى صلوات الله عليه على معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده
عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله من في قوله وما من إله إلا إله واحد للاستغراق
وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا الله والمعنى وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية
لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس
من الأوثان فإن قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم قلت في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهو تكرير
الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير الذين
كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم أي نوع شديد
الألم من العذاب كما تقول أعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز
أن يتناولها عشرون ويجوز أن يكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابوا من
النصرانية أفلا يتوبون ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه
وفيه تعجيب من إصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول
أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها إن أبرأ الله الأبرص
وأحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وإن خلقه من
غير ذكر فقد خلق آدم عليه السلام من غير ذكر ولا أنثى وأمه صديقة أي وما أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدقات
للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى

قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون

صفتهما بالم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تمييز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله كانا يأكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم اني يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعني انه بين لهم الآيات بيانا عجبا وان اعراضهم عنها اعجب منه ما لا يملك هو عيسى عليه السلام اي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم مثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود صلوات الله عليه اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى صلوات الله عليهم بعد المائدة قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعدما اكل من المائدة عذابا لا تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك بما عصوا اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء قلت من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي وكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين

على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقو اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرين الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله وهل اتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا فان قلت بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا قلت بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التي اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع قلت معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا ويحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وارادوا وما لنا لا نؤمن

فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان

بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل في الاولى والثانية قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث و بين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين وقرأ الحسن فآتاهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله عم وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله عم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وروي ان رسول الله عم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الاية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسال الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوا ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله اي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا لا مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة رحمه الله بما عقدتم الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق

فقال

فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون

١٤٩

فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها من اوسط ما تطعمون من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاضاحي في جمع اضحية والاراضي في جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء واما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رايت معدي كرب تشبيها للياء بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة واسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر رضي الله عنه ازار وقميص او رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي الايمان قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد احدها فصيام ثلثة ايام متتابعة عند ابي حنيفة رحمه الله تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة ايام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله ويجوز عند الشافعي بالمال اما بالصوم فلا واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين لكم اياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلوة وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا

يسرف

وقيل احفظوها

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين
يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم
يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم

ولم تزجروا فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن
الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فإن قلت لم جمع الخمر والميسر مع
الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخرا قلت لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه
من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر لإظهار أن ذلك جميعا من
أعمال الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه بأسره وكأنه لا مباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في
علم الغيب وبين من شرب خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن
الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلاة خصوصا واحذروا وكونوا حذرين خائفين
لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز أن يراد واحذروا ما عليكم في الخمر
والميسر وفي ترك طاعة الله والرسول فإن توليتم فاعلموا أنكم لن تضروا بتوليكم الرسول لأن الرسول
ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه رفع الجناح عن المؤمنين
في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها إذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا
على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والإيمان ثم اتقوا وأحسنوا
ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا إلى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات
وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم
يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات
إذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم
وحمدا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان ومثاله أن يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح في المباح
إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد أن زيدا تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل نزل عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا
بأيديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في
الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فإن قلت
ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي
تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال وإنما هو شبيه بما ابتلي به أهل أيلة من
صيد السمك وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف يثبتون عند ما هو أشد منه وقرأ إبراهيم يناله بالياء حرم
محرمون جمع حرام كردح ورداح والتعمد أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه أو عالم أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله فإن قتله
وهو ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فإذا هو صيد أو قصد برميه غير صيد فعدل
السهم عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطئ فإن قلت فمحظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال
التعمد مشروطا في الآية قلت لأن مورد الآية فيمن تعمد فقد روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش
فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولأن الأصل فعل

الثقيلة العظيمة وهي جمع رداح

المتعمد

يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف

المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال أمره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري
نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لا أرى في الخطأ شيئا أخذا
باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل
ما قتل من الصيد وهو عند أبي حنيفة رضي الله عنه قيمة المصيد يقوم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي
تخير بين أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع
من البر أو صاعا من غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام
عنه يوما أو تصدق به وعند محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم فإن لم يوجد له نظير من النعم عدل إلى
قول أبي حنيفة رضي الله عنه فإن قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله
هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من أوجب القيمة بين أن يشتري بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خير الله تعالى
في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في أحد وجوه التخيير لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة
هديا فأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على أن التخيير الذي في الآية بين أن يجزي بالهدي أو يكفر بالإطعام
والصوم إنما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار فأما إذا عمد
إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فإذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الإطعام والصوم
ففيه نبو عما في الآية ألا ترى إلى قوله أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الأشياء الثلاثة
ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم وقرأ عبد الله رضي الله عنه فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الإضافة
وأصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه أن يجزي مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا
ثم من ضرب زيد وقرأ السلمي على الأصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما
قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل
منكم حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد
دون الأشياء المشاهدة وعن قبيصة أنه أصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم أمره
بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم أمير المؤمنين حتى سأل غيره فأقبل عليه ضربا بالدرة وقال أتغمص
الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة
وقيل أراد الإمام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لأن الصفة خصصته فقربته من المعرفة أو بدل عن
مثل فيمن نصبه أو عن محله فيمن جره ويجوز أن ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة
لأن إضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فأما التصدق به فحيث شاء عند أبي حنيفة
رحمه الله وعند الشافعي في الحرم فإن قلت بم يرفع كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها خبر مبتدإ محذوف
كأنه قيل أو الواجب عليه كفارة أو يقدر فعليه أن يجزي جزاء أو كفارة فيعطفها على أن يجزي وقرئ أو
كفارة طعام مساكين على الإضافة وهذه الإضافة مبينة كأنه قيل أو كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم
فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الأعرج أو كفارة طعام مسكين وإنما وحده لأنه واقع موقع التبيين

بيانا
عوف

فأنا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد
بن جعفر ذو عدل منكم صح

ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر
ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام

فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه
كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان لكل واحد منهما عدل بالاخر حتى اعتدلا كان
المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة الى
الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة رح وابي يوسف رحمهما الله
وعند محمد الى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة
الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا
ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام
قبل ان تراجعوا رسول الله عم وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع
من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه فينتقم
خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم
منه في الاخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها عليه
وعامة العلماء وعن ابن عباس رض وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة صيد البحر مصيدات
البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر و
احل لكم اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة رح وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الاية
عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة
قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان
نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم ياكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا
كما تزود موسى عم الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان
يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه
اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهما وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم اجمعين
انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو
مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي رحمهما الله واحمد لا يباح له ما صيد لاجله فان قلت ما يصنع ابو حنيفة
رحمه الله بالعموم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم
لانهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين
ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وحرم عليكم صيد
البر اي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام البيت الحرام عطف بيان على وجه المدح
لا على وجه التوضيح كما يجيء الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم
ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن
عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو

والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور
رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله
يا اولي الالباب لعلكم تفلحون يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله
عنها والله غفور رحيم قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام

ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله وقيل عني به جنس الاشهر
الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك اشارة الى
جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم كل
شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم
لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه
من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط والبون بين الخبيث والطيب بعيد عند
الله وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب لقليل فانما تتوهمونه في الكثير
من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه
وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر
ومن حق هذه الاية ان يكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة كما قيل وكاثر بسعد ان سعدا كثيرة ولا ترج من
سعد وفاء ولا نصرا لا يدهمنك من دهمائهم عدد فان جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج اليمامة
حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين الجملة الشرطية والمعطوفة
عليها اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة للاشياء والمعنى
لا تكثروا مسألة رسول الله حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم
وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن قال يا رسول
الله عم حتى عاد مسألته ثلاث مرات فقال عم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم
على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين
ينزل القرآن وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى
اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا
الله عنها عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط
منكم بعقوبته فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها قلت الضمير
في سألها ليس براجع الى الاشياء حتى تجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسألة التي دل عليها لا
تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين وذلك ان
بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا وكان اهل الجاهلية
اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا
مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من
مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة
فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا

الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله

ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم
إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم
أو آخران من غيركم إن أنتم
ضربتم في الأرض فأصابتكم
مصيبة الموت

وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا
يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم
ما حرموا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون
في تحريمها كبارهم الواو في قوله أولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره أحسبهم
ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما
يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون
دخولهم في الإسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم
الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من
يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس
المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وإنما هو بعض
الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس
بزمانها إنها اليوم مقبولة ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهي على
هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه رضي الله عنه ليس هذا زمان تأويلها قيل
فمتى قال إذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل
سألت عنها خبيرا سألت رسول الله عليه السلام عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا ما
رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع أمر
العوام وإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل
عمله وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم وعليكم من أسماء
الفعل بمعنى الزموا إصلاح أنفسكم ولذا جزم جوابه وعن نافع عليكم أنفسكم بالرفع وقرئ لا يضيركم
وفيه وجهان أن يكون خبرا مرفوعا ويعضده قراءة أبي حيوة لا يضيركم وأن يكون جوابا للأمر مجزوما وإنما ضمت
الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة والأصل لا يضرركم ويجوز أن يكون نهيا ولا يضركم
بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ارتفع اثنان على أنه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم
على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان
وقرأ الشعبي شهادةٌ بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادةً بالنصب والتنوين على ليقم شهادةً اثنان
وإذا ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية وأنها من الأمور اللازمة
التي ما ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل
منكم من أقاربكم من غيركم من الأجانب إن أنتم ضربتم في الأرض يعني إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم
أحد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت
وبما هو أصلح وهم له أنصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل هو منسوخ لا يجوز

تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا
إذا لمن الآثمين فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين

شهادة الذمي على المسلم وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول
نسخها قوله وأشهدوا ذوي عدل منكم وروي أنه خرج بديل بن أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من
المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن أوس وكانا نصرانيين تجارا إلى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه
وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا إناء من
فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فرفعوهما
إلى رسول الله عليه السلام فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلاة من بعد صلاة العصر لأنه وقت
اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل
أنها لما نزلت صلى رسول الله عليه السلام صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الإناء بمكة فقالوا
إنا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلاة أهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر إن ارتبتم اعتراض بين
القسم والمقسم عليه والمعنى إن ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ
تحليف الشاهدين وإن أريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يحلف الشاهد والراوي
إذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا أي لا
نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى أن هذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم
أبدا وأنهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين
شهادة الله أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على
طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه أن منهم من يحذف حرف
القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح
حركتها على اللام وإدغام النون فيها كقوله عادا لولى فإن قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استئناف
كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل إن ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فإن قلت كيف فسرت
الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها أغنى ذلك عن التقييد
كما لو قلت في بعض أئمة الفقه إذا صلى أخذ في الدرس علم أنها صلاة الفجر ويجوز أن تكون اللام للجنس وأن
يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فإن عثر فإن اطلع على أنهما استحقا إثما أي فعلا ما أوجب إثما واستوجبا
أن يقال إنهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم أي من الذين
استحق عليهم الإثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة
الرجلين حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما وأن شهادتهما أحق من شهادتهما الأوليان الأحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الأوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان وقيل هما بدل من الضمير
في يقومان أو من آخران ويجوز أن يرتفعا باستحق أي من الذين استحق عليهم انتداب الأوليين منهم
للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الأولين على أنه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح

ذلك ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانكم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك
بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها
فيكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات

ومعنى الاولوية التقدم على الاجانب في الشهادة احق بها وقرئ الاولين على الصفة وانتصابه على المدح لان المعنى
لا يصلح بدلا عن الجمع فتعين كونه منصوبا على المدح وقرأ الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي
وابو حنيفة رح واصحابه رحمهم الله لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما اختانا فحلفا
فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشرى فان قلت ما وجه قراءة
من قرأ استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابي وابن عباس رضي الله عنهم قلت معناه من الورثة الذين
استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك الذي
تقدم من بيان الحكم ادنى ان يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان
تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع اجابة
وقبول يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كأنه قيل واتقوا الله يوم جمعه
او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصب باضمار اذكر او يوم يجمع الله
الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب
لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد فان قلت
كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بم اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى
علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجأ الى ربهم في الانتقام منهم وذلك
اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي
انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان
واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل
به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا
للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما
تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب
ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكأنه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل
لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق
العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف باوصافك
المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال
الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على
ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما
قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين ايدتك
قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيا به الدين واضافه الى القدس
لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس وفي المهد في موضع الحال لان المعنى

اولى

الضمير للشهداء

فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اذ قال الحواريون
يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد
صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت
خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين

يكلمهم طفلا وكهلا الاتي في المهد دليل على حد من الطفولية وقيل روح القدس جبريل صلوات الله عليه ايد به لتثبيت
الحجة فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكليمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامه في حين
الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء والتورية والانجيل
خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام
المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها
لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فيكون تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم
قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا
بقتله وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول
مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات اوحيت الى الحواريين امرتهم
على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن
كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله اخا
زيد بن عمرو وكأي خبر لان الترجيح لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم و
اخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان
دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين
لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه واتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا
عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان
صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن
سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه ونكون
عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية
ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعويهم للايمان والاخلاص
وانما سأل عيسى عليه السلام واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء
على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه
الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى
عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله
رضي الله عنه تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثني ويرث لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن
في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز للمقدمة
والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتأنيث بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا
اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء

المضموم بيارك

وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم

لبس صوفا ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا هو سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي أنهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت سبحانك من أن يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي إنك أنت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد أن في قوله أن اعبدوا الله إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر إما فعل القول وإما فعل الأمر وكلاهما لا وجه له أما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير أن يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم إلا اعبدوا الله وأما فعل الأمر فمسند إلى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لأن الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وإن جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من أن تكون بدلا من ما أمرتني به أو من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم إلا عبادته لأن العبادة لا تقال وكذلك إذا جعلته بدلا من الهاء لأنك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت إلا ما أمرتني بأن اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته فإن قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لأن معنى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ما أمرتهم إلا بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز أن يكون أن موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم تمنعهم من

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور

من القول به بما نصبت لهم من الأدلة وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت إليهم من الرسل إن تعذبهم فإنهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وإن تغفر لهم قلت ما قال إنك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على أن قال إن عذبتهم عدلت لأنهم أحقاء بالعذاب وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم أعظم جرما كان العفو عنه أحسن قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والإضافة وبالنصب إما على أنه ظرف لقال وإما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع ولا يجوز أن يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لأنه مضاف إلى متمكن وقرأ الأعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فإن قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم إن أريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وإن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لأنه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة أما إبليس عليه اللعنة فقال إن الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه وأما عيسى عليه السلام فكان صادقا في الحياة الدنيا وبعد الممات فنفعه صدقه فإن قلت في السماوات والأرض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما يتناول الأجناس كلها تناولا عاما ألا ترى إلى قولك إذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره فكان أولى بإرادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الأنعام مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله وجعل الظلمات والنور وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان إلى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم أزواجا أجعل الآلهة إلها واحدا فإن قلت لم أفرد

النور

ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله في السموات
والأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق
لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون

قلت للقصد إلى الجنس كقوله والملك على أرجائها أو لأن الظلمات كثيرة لأنه ما من جنس
من أجناس الأجرام إلا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو
النار فإن قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت إما على قوله
الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة ثم الذين كفروا
به يعدلون فيكفرون نعمته وإما على قوله خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر
عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه فإن قلت فما معنى ثم قلت استبعاد
أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه
بعدما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم ثم قضى أجلا أجل الموت وأجل مسمى عنده أجل
القيامة وقيل الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ
وقيل الأول النوم والثاني الموت فإن قلت المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم
جاز تقديمه في قوله وأجل مسمى عنده قلت لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله
ولعبد مؤمن خير من مشرك فإن قلت الكلام السائر أن يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس
وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم قلت أوجبه أن المعنى وأي أجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة
فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم في السموات متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود
فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله أو وهو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية
فيها أو هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز أن يكون الله في السموات
خبرا بعد خبر على معنى أنه الله وأنه في السموات والأرض بمعنى أنه عالم بما فيها لا يخفى عليه منه
شيء كأن ذاته فيها فإن قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت إن أردت
المتوحد بالإلهية كان تقريرا له لأن الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك إذا
جعلت في السموات خبرا بعد خبر وإلا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم أو خبر
ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب من في آية للاستغراق وفي من
آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال
والاعتبار إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم
وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كأنه قيل إن كانوا معرضين عن
الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا
به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم أنباء الشيء الذي كانوا به
يستهزئون وهو القرآن أي أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزؤا

استهزؤا

ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون

استهزؤا وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم
القيامة أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته مكن له في الأرض جعل له مكانا ونحوه أرض له ومنه قوله
تعالى إنا مكنا له في الأرض أولم نمكن لهم وأما مكنته في الأرض فأثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم
فيما إن مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم والمعنى
لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال
والاستظهار بأسباب الدنيا والسماء المظلة لأن الماء ينزل منها إلى السحاب أو السحاب أو المطر والمدرار
المغزار فإن قلت فأي فائدة في إنشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على أنه لا يتعاظمه
أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف
عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بأيديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا إنما سكرت
أبصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا إن هذا إلا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره لقضي الأمر
لقضي أمر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله
عليه في صورته وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة
لم يكن بد من إهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة وإما لأنه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف
عند نزول الملك فيجب إهلاكهم وإما لأنهم إذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من
هول ما يشاهدونه ومعنى ثم بعد ما بين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار جعل عدم الإنظار
أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا كما اقترحوا لأنهم
كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا
لأنزل ملائكة لجعلناه رجلا لأرسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله
عليه في أعم الأحوال على صورة دحية لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم
ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ فإنهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة الإنسان
هذا إنسان وليس بملك فإن قال لهم الدليل على أني ملك أني جئت بالقرآن المعجز وهو
ناطق بأني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فإذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله
عليهم ويجوز أن يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون الساعة في كفرهم بآيات الله
البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرأ الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد
ولقد استهزئ تسلية لرسول الله صلى الله عليه عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فأحاط
بهم الشيء الذي كانوا به يستهزئون وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به فإن قلت
أي فرق بين قوله فانظروا وقوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه
قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وأما قوله سيروا في الأرض ثم انظروا
فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين

ولو جعلنا الرسول

وإذ الملائكة

كما كذبوا

وبين قوله

قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين

وثمه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات والارض سؤال
تبكيت قل لله تقرير لهم اي هو الله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه
الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة
لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر
واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على اشراككم وقوله
الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم او انتم
الذين خسروا فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس
قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون به وله
عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما
يشتمل عليه الملوان اولى غير الله فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد الله
اذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرا الزهري فطر وعن ابن
عباس رضي الله عنه ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في
بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله
ما اريد منهم من رزق الاية والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز الانتفاع عليه وقرئ ولا يطعم
بفتح اليا وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول
والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرا الاشهب العقيلي وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل
وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت اي استفدت
ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي
ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله
وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين
ولا تكونن وقيل لي ولا تكونن من المشركين معناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه
العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد
احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن
له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم
فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما
او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف
الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وتنصره هذه القراءة قراءة ابي رضي الله عنه من يصرف الله عنه
وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلايا فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير

من غنى

وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون

من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته او ازالته فوق عباده تصوير
للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون الشيء اعم العام لوقوعه
على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك
صح ان يقال في الله تعالى شيء لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولم يصح
جسم لا كالاجسام واراد اي شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد
بيني وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدى شهيد
بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله
عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين
من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه
الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه من بلغه القرآن فكانما راى محمدا ائنكم لتشهدون
تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى
يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون
ابناءهم بحلاهم وهو تقرير لهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة
اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين
فهم لا يؤمنون به جمعوا بين امرين متناقضين تكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة
البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والملائكة بنات الله
وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات
وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم
كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف اين شركاؤكم اي آلهتكم التي
جعلتموها شركاء لله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ
يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم
الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب عنهم وان يحال بينهم
وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم
وحسرتهم فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم يكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به
وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن
جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث ان
قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء ورفع الفتنة
وقرئ ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون الهيته وشفاعته
فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته

الممتحن ينطق بما يثقفه وبما لا يثقفه من غير تمييز بينها حيرة ودهشا الا تراهم يقولون
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك
ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضي عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند
انفسنا وما علمنا انا على خطاء في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في
الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي وافحام لان المعنى الذي ذهبوا
اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري
ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الآية بعد قوله ويحلفون على الله الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا
ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر
وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه فقالوا
للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما
يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية
فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة على القلوب والوقر
في الاذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد
الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم
مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
وقرئ وقرا بكسر الواو وحتى اذا جاؤك يجادلونك هي حتى التي يقع بعدها الجمل والجملة
قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون اذا جاؤك
في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى
انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا
اساطير الاولين فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية

عالم الغيب هو عالم الغيب وادتغاعل على المدح اذ داسم ابي ابراهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارح والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ فالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبذ به للزوم عبادته كما نبذ ابن قيس بالرقيات اللاتي كان ينسب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين ادعى باسماء في قبائلها كان اسماء اضحت اوابد عابل آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اازرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد آزرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف على قال

الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية
في التكذيب وهم ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الا
يمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر
الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وقيل هو ابو طالب لانه
كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا
الى ابي طالب فارادوا برسول الله صلى الله عليه سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت
ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت امرا شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها
او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا
اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدأوا
ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب
ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود
تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين
وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم المتمني فان قلت تدفع ذلك قوله وانهم
لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق
به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافيك على صنيعك فهذا
متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني
الله مالا كافاتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب
التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من
قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون
على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو
في اهل الكتاب وانه يظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما
وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي
الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون
على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا
الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني
بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مرد كرد على قول

قائل قال ماذا قال ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على
التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل بما
كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر
وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت
مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال
الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة
بغتة فجاءة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة
فرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة
على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله
يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور
كما الف الكسب بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم جعل اعمال
الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة
وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عباس
رضي الله عنه ولدار الآخرة وقرئ تعقلون بالتاء والياء قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة
الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله واكثر في انه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بفتح الياء
وضمها الذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من
كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله
لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته
فانته عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك
لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم
يهينوك وانما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل
فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق
الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضي الله عنه كان رسول
الله صلى الله عليه يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل
يقول ما نكذبك يا محمد وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق
قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام هو كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا
فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية
والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر

للدلالة على انهم في جحودهم ولقد كذبت تسلية لرسول الله صلى الله عليه وهذا دليل على ان قوله
فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني
على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين بعض انبائهم
وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين كان يكبر على النبي صلى الله عليه كفر قومه و
اعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان
استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما
في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك لتفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم
يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان بالآية كانه
قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك
آية يؤمنون عليها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا
تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب الذين
يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما
يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى من القبور يوم القيمة ثم اليه يرجعون للجزاء
فكان قادرا على هؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل
ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء لولا نزل عليه آية نزل بمعنى انزل وقرئ
ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا
ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه
لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل آية تضطرهم الى الايمان
كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها امم امثالكم مكتوبة
ارزاقها وآجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في
الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به
ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فينصف بعضها من بعض كما روي
انه يأخذ للجماء من القرناء فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت
لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من [illegible]
دواب ولا طير حمل قوله الا امم على معنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر
الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة

التقييم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من دابة قط في
جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان
قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه
وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها
مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شأن وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك
دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل
وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا
باياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون
صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون
عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشأ الله يضلله اي
يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط
مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه ارأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من
الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارأيت
نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارأيتكم ان اتاكم
عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم
ضر ام تدعون الله دون آلهتكم بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الالهة
فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم
ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت لان
اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق
الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب
الله فان قلت ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله
او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة
وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة
ارجح منه بالبأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان
الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون
يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي
التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر
في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما
نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا

عليهم

عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء
كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من
الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصلت
شأفتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم
واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم
على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم يأتيكم بذلك اجراء للضمير مجرى اسم
الاشارة او بما اخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت البغتة ان يقع
الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة
او جهرة هل يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء الا مبشرين
ومنذرين من آمن بهم وبما جاءوا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم
الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف جعل العذاب ماسا
كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء
وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون
لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب واني من الملائكة
الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس
بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها
وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي
ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال
وهو الالهية او الملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق
بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه فان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب
قلت النصب على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول
لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون
ان يحشروا اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم
بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب
لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث
ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامره ان ينذر هؤلاء
وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير
منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال

ذكر غير المتقين من المسلمين وامره بان يبشرهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم
وان لا يطيعوا فيطردهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اى عبادته
ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلوة الصبح
والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشي
وحقيقته روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه لو طردت عنا هؤلاء الاعبد
يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم رضي الله عنهم وارواح
جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلم ما انا بطارد
المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في
ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون قالوا فاكتب بذلك
كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر رضي الله عنه
من مقالته قال سلمان وخباب رضي الله عنهما فينا نزلت فكان رسول الله عليه يقعد معنا
ويدنو منا حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي لم يمتني
حتى امرني بالصبر مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شي كقوله ان حسابهم
الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شي بعد شهادته
لهم بالاخلاص بارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا
اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم
لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت
اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شي حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شي قلت
قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة
وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا اياهم
بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابك ولا انت بحسابهم حتى
يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب
النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ
بالغدوة والعشي وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اى ابتليناهم بهم
وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم
بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء
انكارا لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أانزل عليه الذكر من
بيننا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون اليس الله باعلم بالشاكرين [illegible]

للايمان ومن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام عليكم اما ان يكون امر
بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا
لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم
بسعة رحمة الله وقبول التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستئناف كان الرحمة استفسرت
فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي عمله و
هو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر
في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة
والتدبير ومنه قول الشاعر على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا
والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شي
حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر رضي الله عنه حين اشار الى اجابة الكفرة
الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة وقرئ وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر
وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول صلى الله عليه مع نصب السبيل يقال استبان الامر
وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل ايات القرآن ونلخصها
في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن ترى فيه امارات القبول
وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح
سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت وزجرت
بما ركب فيّ من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله
وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اي لا
اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب
الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت
اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شي يعني انكم كذلك ولما نفى ان يكون
الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة
من ربي وكذبتم به اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق
وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين
منه اذا كان ثابتا عنده بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة
غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستاصل فقال ما عندي
ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قوله فامطر علينا حجارة من السماء ان
الحكم الا لله في تاخير عذابكم يقضي الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التاخير والتعجيل في
اقسامه وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به

ولقدرة من قضى الله لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب
لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم
سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من
جهة ربي وهو القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان او القرآن فان قلت
بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به
من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه يقضي بالحق
فان قلت لم اسقطت الباء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء
الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستو
ثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل و
يعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل
هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها
كانه قيل وما يسقط شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله
الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا
رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا
على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في الدار وهو الذي
يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار
ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من
النوم وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذا لي
يقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على
اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم
ونهاركم حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم
السجستاني انه كان يكتب لفظ الحفظة فقال ابو حاتم هذه ايضا مما يكتب
فان قلت الله غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد
لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم
يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيامة
كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد عن السوء توفته رسلنا اي استوفت روحه
وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول
من يتناوله وما من اهل بيت الا يطوف عليهم كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان
يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ولا يفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد

ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها
ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الآيات
لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر وسوف تعلمون واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا
وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون

ما امروا به ولا مزيد وفي فيه ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي
عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين
ولا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق في ظلمات البر
مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته
حتى عادت كالليل والجو ذات يراد ما يشفقون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم
فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها لئن انجيتنا على ارادة القول
من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية بالضم والكسر هو القادر
هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب
الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق قوم فرعون وخسف
بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم
وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة
مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب بينهم القتال فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي وعن النبي صلى الله عليه وسلم سألت
الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا
يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبرائيل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم
شيعا قال عليه السلام هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باصناف العذاب المعدودة و
الضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم
بوكيل بحفيظ وكل اليّ امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبا لكل شيء ينبأ به
يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل
الضمير في به للقرآن يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون
ذلك فاعرض عنهم ولا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا باس ان تجالسهم حينئذ
واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى
بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهي
قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك
عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون
عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم
وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين
يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم

كما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان يجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت
ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرهم ذكرى اي تذكيرا او رفعا على ولكن
عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون معطوفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله
من حسابهم يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا
وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب و
اللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة من جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو
من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لهوا
لعبا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه
بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم ~~كما شرع الله وعني ذرهم~~ لهوا ولعبا
غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله وعني ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم
ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقرآن ان تبسل مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء
كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال وابسالي بني بغير جرم ومنه هذا
عليك بسل اي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال للرجل
اذا اشتد عبوسه باسل فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل
وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل
نصب على المصدر فاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا
يسند اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي به فصح اسناده اليه اولئك
اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه
عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا اتعبدوا من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا
مضرتنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته
الشياطين كالذي ذهب به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمه حيران تائها ضالا
عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوي اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان
يهدوه الطريق المستوي او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف
المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي
الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق
الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله
وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد
الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على
الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انرد ناكصين مشبهين من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته
الشياطين

قلت

قلت هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه
فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان
كأنه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للامر
بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شان ابي بكر رضي الله عنه فكيف
قيل للرسول صلى الله عليه وسلم قل اندعوا قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله والمؤمنين خصوصا
بينه صلى الله عليه وسلم وبين الصديق رضي الله عنه فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا
قلت على موضع لنسلم كأنه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم
ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلوة قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى
الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض
قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا
يكون شيئا من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف
لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين
يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله
بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح
آزر اسم ابي ابراهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارح والاقرب ان يكون وزن آزر
فاعل مثل تارح وعابر وعاذر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ
آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس با
لرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين ادعى باسماء نبزا
في قبائلها كأن اسماء اضحت بعض اسمائي او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ
أأزرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة
وهو اسم صنم ومعناه اتعبد آزرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل
في حكم الانكار لانه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابراهيم
جملة معترضة بها بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف
ابراهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا
صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية
حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على
الخطاء في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا
منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا
دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها هذا ربي قوله سائغ حصته مع علمه انه مبطل

اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي
وسع كل شي علما افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات
من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود

فيحكي قوله كما هو متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته و
فيبطله بالحجة لا احب الافلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى
مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه
على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكوكب في الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه
هذا اكبر من باب استعمال النصفة وايضاح خصومه اني بري مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها
شركاء لخالقها اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي للذي دلت هذه المحدثات عليه
وعلى انه مبتدئها ومبتدعها وقيل كان هذا نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله
لئن لم يهدني ربي وقوله اني بري مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون
البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه
انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس
قلت جعل المبتدا مثل الخبر لكونهما عبارة عن شي واحد كقولهم من كانت امك وما جاءت حاجتك
ولم يكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث
الا تراهم قالوا في صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة
التانيث وقرى ترى ابراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلايل الربوبية
وحاجه قومه اتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك
وقد هدان يعني الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء
الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت مشية ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت
قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت
ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها
قادرة على مضرتي وسع ربي كل شي علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال
المخوف من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف
اخاف لتخويفكم شيئا مامون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل مخوف وهو
اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال
وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن
انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين
ثم استانف الجواب عن السوال بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية
تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم صلوات الله عليه على
قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى اتيناها ارشدناه اليها ووفقناه لها
نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة وقرى بالتنوين ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم وداود عطفا

على نوح اي وهدينا داود من ذريته ومن اباييهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض ابايهم
ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لين اشركت
ليحبطن عملك اتيناهم الكتاب يريد الجنس فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هولاء
يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هولاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه
ورضي عنهم وكل من امن به وقيل كل مومن من بني ادم صلوات عليه وقيل الملايكة وادعى الانصار
انها نزلت فيهم عن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل
الرجل بالشي ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تاكيد
للنفي فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا تقديم المفعول والمراد
بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرايع فانها مختلفة وهي هدى
ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن
ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على
عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم
ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقايلون هم اليهود بدليل قراءة من
قرا تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القران على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التورية على موسى
صلوات الله عليه وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعي عليهم سوء حملهم لكتابه وتحريفهم وابداء بعض
واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه
قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروي ان مالك
بن الصيف من احبار اليهود وروسايهم قال له رسول الله صلى الله عليه انشدك بالذي
انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من
مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل
الله على بشر من شي فقال له قومه ويلك ما هذا بلغنا عنك فقال انه اغضبني ابحديث عظيم
بلغنا عنك فنزعوه وجعلوا مكانه كعب ابن الاشرف وقيل القايلون قريش وقد الزموا انزال التورية
لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى صلوات الله عليه والتورية وكانوا يقولون
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم الخطاب لليهود اي
علمتم على لسان محمد مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التورية ولم تعلمه اباوكم الاقدمون
الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القران يقص على بني اسرائيل الاية وقيل الخطاب لمن امن

اصول الدين فانها هدى ابدا ع

وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون

من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لهم او لذرهم مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قال انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ ولينذر بالتاء والياء وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين فمن يلف في بعض الربابات رحله فام القرى ملقى رحالي ومنتابي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلوة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت له لطفا في المحافظة على اخواتها افترى على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه رايت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب هو غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزءون ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله غمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا ايديهم يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والسياق والالحاح والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب

في البرزخ

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون

١٦٤

في البرزخ والقيامة والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل ما خلقناكم تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه لقد تقطع ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ويخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرا الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله افنى رياحا وبني رياح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمع مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفري ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق قال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرا النخعي فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستانس بها الا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس

وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب

جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما

والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية
لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرو امس قلت ما هو في معنى
المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح
كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع
على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى
جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما
والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران
ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما و
سخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر و
اضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات من فتح قاف المستقر كان المستودع
اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر
في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع
فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان انشاء
الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه
الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من
اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور
وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل
وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل
قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان
ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره
صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات التكسير
دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة
ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل
ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر اي اكتفى بذكر القريبة عن ذكر البعيدة كقوله سرابيل
تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل
والثاني ان تعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي
من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب
وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين

محسوبان ع

اخضر ح

وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون
وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات والارض انى يكون له ولد ولم تكن ١٦٥
له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير

الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل
يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله
كنت منه ووالدي بريئا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على
التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا
الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره
ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بضم الياء يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن
ويانعه وقرئ وثمره ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصب الجن بدلا من شركاء وان جعلت
لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام
ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن
بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم
كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم
وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا
من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم
حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات
وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه
بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم
قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله
بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى
الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر و
روية بديع السماوات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السماوات
والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على
انه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على
سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبتدع السماوات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم
ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون
الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان يكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو
خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما
جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار
مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من
استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل

بيان الجاعلين

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون
اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون

يعني هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات والمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو اللطيف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت وادرست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات دروس كعيشة راضية فان قلت اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فنبين قراءة درست ودارست ودرست الكتاب ودارسته فيرجع الضمير الى الكتاب المقدر لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذكر انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لان لا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد انه مثله حتى نبه الحسن عليه عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم او امهلنا الشياطين حتى زينوا لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا

وعملهم في

واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا الآية

ودرسته لنا فيبينهم فيبكتهم علمه ويحاجهم ويعاقبهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيئكم بها وآتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم انما الآية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام ويقويها قراءة ابي رضي الله عنه لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان يكون حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليهم فلا يؤمنون بها ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم يعمهون اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثرهم يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآيات المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيها من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على انهما مفعولاه كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض وعن مالك بن دينار رحمه الله ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك اي ما ذكر من ذلك او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع الضمير في فعلوه وليتصل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله ابتغي حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم

ما نسبة هو ان يقول الذين يعلم ان هؤلاء لا يؤمنون

لعلهم

بيان

الا مشية الله اي الا ان يشاء

الاخذ

وقرئ

وليس في قراءة درست ودرسته لنا ان يعيدهم القول والاعاده لا تتعلق باطلاق الشيطان

والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون
باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم
وان اطعتموهم انكم لمشركون او من
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا
يعملون

وعليكم بالافتراء عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا
تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل
الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى
انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
خطاب لامته وتمت كلمات ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد وفي قراءة وعد لا لا مبدل لكلمات الله
لا احد يبدل شيئا من ذلك مما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القرآن
وان تطع اكثر الناس يضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون هواهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا
على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء ويكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا وقرئ من يضل
بضم الياء اي يضله الله فكلوا مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا
يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم
متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه
وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله وما لكم الا تأكلوا اي غرض لكم في ان لا تأكلوا وقد فصل لكم وقد بين
لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله
عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها اي
يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم
وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر وانه لفسق الضمير راجع الى
مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على وان اكله لفسق او جعل
ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه.
بنسيان او عمد قلت قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون
الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تأويل من تأوله بالميتة انكم
لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا يأكل مما لم يذكر اسم الله
عليه كيف ما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رح مرخصا في النسيان دون العمد وما لك وان في بهما
مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يعني به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلالهم ومن بقي على الضلالة بالخابط
في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج
منها بمعنى كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار زين للكافرين اي زينه الشيطان
او الله عز وجل على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة
صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص
الاكابر لانهم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم والاكابر

وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم
حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم
بما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي
اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا
ما شاء الله ان ربك حكيم عليم

١٦٧

قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله عم وتقديم موعد بالنصرة عليهم روي ان الوليد
بن مغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر مالا وولدا وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد
مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما
يأتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم كلام مستأنف للانكار عليهم وان
الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا من اكابرها
صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه ان
يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب
الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى
يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالكسر
وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع و
يبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ يصاعد واصله يتصاعد وقرأ عبد الله رضي الله عنه يتصعد ويصاعد
واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض
ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا
صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة
كقوله وهو الحق مصدقا لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة
من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء
ما كانوا يعملون ويوم يحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او كان ما لا
يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا
وجعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم
من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على
الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم
وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وذلك ان الرجل كان اذا نزل
واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على
الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم القيامة وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من
طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي
يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد
روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم
او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله

وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات
مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين ان ما
توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون

ان تشفع عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه بما تقصر عليه من التضييق والتشديد فيكون
قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل
شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد نولي بعض الظالمين بعضا نكلهم حتى يتولى بعضهم
بعضا كما نفعل بالشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون
بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ الم ياتكم رسل منكم واختلفوا لان الجن هل بعث اليهم رسل
منكم تعلق بعضهم بظاهر الاية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله الف
وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كانوا من احدهما كقوله يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان
يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله الى الجن والانس قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم ياتكم
لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة
لهم وانهم محجوجون بها فان قلت ما لهم مقرين في هذه الاية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يتفاوت الاحوال
والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على
فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة
ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل
حالهم ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان
يكون مخففة من الثقيلة على معنى ان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وذلك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك
الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب
لكان ظلما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما
يعملون ساه عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم
عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما
انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عم المكانة تكون مصدرا يقال
مكن مكانا ومكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا
على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله
على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل اي عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة
قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر فكانه مامور به وهو واجب عليه حتم ليس له
ان يتقصى عنه ويعمل بخلافه فان قلت ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى
الذي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب

١٦٨

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام
وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم

حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل كانوا يعينون اشياء من حرث و
نتاج لله واشياء منها لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكى ما جعلوه
للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذكر الحرث والانعام للايثار لها وقوله مما ذرأ فيه ان كان اولى بان يجعل له الزاكي
لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرئه ولا تزكيته بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يامرهم
بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه
التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح النسائك عندها
والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين
الشرك في قسمة القربان بين الله والآلهة او مثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين
او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد ونحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن
احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول
الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه لهم فقيل زينه لهم شركاؤهم
واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما
بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف
به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك انه راى في بعض المصاحف شركائهم
مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب
ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل
حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فان قلت ما معنى
اللام قلت ان كان التزيين من الشيطان فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله
مشيئة قسر ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او ما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك
ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح و
الطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرئ حجر بالضم وحرج اي
وعن ابن عباس رضي الله عنه حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من
نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون
اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم
فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم و
نسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر
مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تاكل
منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل
على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان تكون

قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشأ جنات معروشات
وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين
حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين

ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه وقرأ ابن عباس رضي الله عنه خالصةً على الاضافة وفي مصحف عبد الله رضي الله
خالص وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتأنيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ اهل مكة وان يكن ميتة
بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل وان يكن ميت
فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها
بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتّلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر والسوائب
وغيرها انشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل
المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا في البراري
والجبال فهو غير معروش يقال عرّش الكرم اذا جعل له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه
مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه
لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرئ ثُمُره بضمتين فان
قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت
الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكاة انما فرضت
بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر
ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به
يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم
خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا حمولة
وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش
وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها
مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ثمانية
ازواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش
والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما
زوجا وهما زوجان بدليل قوله تعالى خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من
الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر
من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئا
بفتح العين وقرأ أُبي رضي الله عنه ومن المعزى وقرئ آلذكرين على الابتداء والهمزة في آلذكرين للانكار والمراد بالذكرين
الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار
ان يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكرين
من جنسي الابل والبقر والانثيين منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة
واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك

قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير او فسقا اهل لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك
غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم
ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا
حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء
لهديكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان
الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد
معهم الآية

عليه نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ام كنتم شهداء
بل كنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا
لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به
مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة
الذي بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا
غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله تعالى من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على
من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتشديد للتحليل والتحريم والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد فيما اوحي
الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ميتة
الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق
بعد الذبح او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما
فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله
فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه ذا الظفر ماله اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم
عليهم ذلك فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر و
شحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخاصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا
ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم
وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو
تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة
فلما عصوا او بغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العذاب فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ
بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم
المجرمين فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال
الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل
الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاؤوا بالتكذيب
فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله
وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى انزل الله عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل
عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال
ان يكون له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون
وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه
بمشيئة الله وارادته فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهديكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين

ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا
ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم
تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا
ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم
تتقون

فان تعليقكم وتمسككم بشبهة الله يقتضي ان تعلقوا ايضا دين من يجادلكم بشبهته فتقاتلوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم
ولا تجادلوهم لان الشبهة تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين
وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فان قلت كيف امرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون
ان الله حرم هذا ما زعموه محرما ثم امره بان لا يشهد معهم قلت امرهم باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة
ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم في
انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم
لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على ان من كذب بايات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات
موحدا لله فان قلت هلا قيل قربوا شهداء يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان
يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون
بشهاداتهم ليهدم ما يثقون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيف الشهداء اليهم للذكر وجيء بالذين للدلالة على انهم شهداء
معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم
شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض
ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم تعال من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل
منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى اتل الذي حرمه ربكم او بحرم بمعنى اتل اي شيء
حرم ربكم لان التلاوة من القول وان في ان لا تشركوا مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت
ان لا تشركوا بدلا من ما حرم قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي
لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم
فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم
عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان
هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله الآية بمعنى
ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي
انه مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا
عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن
جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين
وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق ما ظهر
منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي
هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط بالسوية
والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد
من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه ولو كان

ذا قربى

١٧٠

ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون
هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء

ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فيما ينبغي ان يزيد في القول او ينقص كقوله ولو على
انفسكم او الوالدين والاقربين وقرئ وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ
الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه وهذا صراط ربكم وفي مصحف ابي رضي الله عنه وهذا صراط ربك ولا تتبعوا
السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن
سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقرئ فتفرق بادغام التاء وروى ابو وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي عم
انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه
الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل
انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات
لاول شيء في التوراة فان قلت علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فان قلت كيف صح عطفه عليه
بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس رضي
الله عنه محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى
الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب تماما
على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى عليه السلام من العلم والشرائع من احسن
الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي احسن اي على الذي هو احسن بحذف
المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الدين الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اي تاما
كاملا على احسن ما تكون عليه الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه ان
تقولوا كراهة ان تقولوا على طائفتين يريد اهل التوراة واهل الانجيل وان كنا هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشأن عن دراستهم عن قراءتهم اي
لم نعرف مثل دراستهم لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها
واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت
لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من
انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ما عرف
صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب
كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الملائكة ملائكة الموت او العذاب او يأتي ربك او يأتي
كل آيات ربك بدليل قوله او يأتي بعض آيات ربك يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات اشراط الساعة كطلوع
الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب رضي الله عنه كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله عم فقال ما تذاكرون
قلنا نتذاكر الساعة قال عم انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا
بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن
لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت

كقوله في سنة كسبوا العجل قد علموا
ان هالك كل من يحتفي وينتعل

إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم

وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة إيمانها غير كاسبة خيرا في إيمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم أن قوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي أن ينفك أحدهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد وإلا فالشقوة والهلاك قل انتظروا إنا منتظرون وعيد وقرئ أن تأتيهم الملائكة بالتاء والياء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقوله ذهبت بعض أصابعه فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية إلا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم أي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع إماما لست منهم في شيء أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف عشر أمثالها أي عشر حسنات أمثالها فضلا من الله وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا نصب على البدل من محل إلى صراط لأن معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر نعت به وصف به ملة إبراهيم عطف بيان حنيفا حال من إبراهيم إن صلاتي ونسكي عبادتي وتقربي كله وقيل ذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما أنا عليه في حال حياتي وأموت عليه من الإيمان والطاعة أو الطاعات لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الإخلاص أمرت وأنا أول المسلمين لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته أغير الله أبغي ربا جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم والهمزة للإنكار أي منكر أن أبغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل أفغير الله تأمروني أعبد ولا تكسب كل نفس إلا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم خلائف الأرض لأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الأمم أو جعلهم يخلف بعضهم بعضا أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير إن ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وإنه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى الله عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوما وليلة

[illegible]

سورة الأعراف

مكية غير ثمان آيات من واسألهم عن القرية إلى وإذ نتقنا وهي مائتان وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب وأنزل إليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه أي شك منه كقوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك وسمي الشك حرجا لأن الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أي لا تشك في أنه منزل من الله أو حرج من تبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم

أو عطف على أي شرع

قرئ

١٧١

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه

فكان يضيق صدره من الأذى ولا ينبسط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فإن قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بأنزل أي أنزل إليك لإنذارك به أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فإن قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث النصب بإضمار فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لأن الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب أو بأنه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل أن تنذر أي للإنذار وللذكرى فإن قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه إلى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا أرينك هاهنا اتبعوا ما أنزل إليكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله أولياء أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الإنس والجن فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل إليكم وأمركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن تعلم فيم أنزلت وما معناها وقرأ مالك بن دينار رحمه الله ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الإسلام دينا ويجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها فجاء أهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين فإن قلت هل تقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل قرية أو قبل الضمير في أهلكناها قلت إنما تقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها وإنما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله أو هم قائلون فإن قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا أو هو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه إلى واو لأن الذكر قد عاد على الأول والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل وقولك جاءني زيد راجلا أو هو فارس وإنما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لأنهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط صلوات الله عليه أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم إنا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا لأنه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاؤهم ربهم إلا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم وأن لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وأن قالوا رفع اسم له ويجوز العكس فلنسألن الذين أرسل إليهم أرسل مسند إلى الجار والمجرور وهو إليهم ومعناه فلنسألن المرسل إليهم وهم الأمم يسألهم عما أجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ويسأل المرسلين عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم بعلم عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فإن قلت إذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير إذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته أي والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم الوزن الحق أي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الأعمال بميزان

[margin note:] زيد هو فارس كلام فصيح وارد على حقه وأما جاءني زيد هو فارس فخبيث فإن قلت فما معنى قوله أو هم قائلون بعد قوله فجاءها بأسنا بياتا والإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس قلت معناه أردنا إهلاكها كقوله

فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم

بالسيئات وكفتان ينظر اليها الخلائق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم ويشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل ومن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناته وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم من الساجدين ممن سجد لآدم صلوات الله عليه الا تسجد لا في الا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم سأل عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل آدم صلوات الله عليه وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت قد استأنف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم صلوات الله عليه وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم عليه السلام من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبره كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به او نعمة منه قال ربي بما اغويتني وهذا يقول انا الحق نفسي وما ظلمك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان ينسبوا الا كاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل بأي شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا ادخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل

اذا بشم

ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين

اذا بشم والبشم الفساد لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله لاجلسن الطريق الثعلب اي على الطريق وتشبيه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه جمع طريق قعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم مذؤوما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسواس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليبدي لهما جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان

فدلّىهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما
إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض
مستقر ومتاع إلى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير
ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون

فإنه فعل المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى قالوا تقاسموا
بالله فعلى كأنه قال لهما أقسم لكما إني لكما لمن الناصحين وقالا له أتقسم بالله أنك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم
أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما
فنزلهما إلى الأكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وإنما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنه
أنه كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلوة أعتقه وكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له إنهم يخدعونك فقال من
خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الأكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة
الكرم بدت لهما سوآتهما تهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر
وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كان لباسهما من جنس الأظفار وعن وهب
كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق يفعل بمعنى جعل يفعل وقرأ أبو السماك وطفقا بالكسر يخصفان
ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بأن يجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصّفان
بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان وقرأ الزهري يُخصفان من أخصف وهو منقول من خصف أي يخصفان أنفسهما
وقرئ يُخصّفان من خصّف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين ألم أنهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على
الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة إبليس وروي أنه قال لآدم ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة
عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال
العيش إلا كدا فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسمّيا ذنبهما
وإن كان صغيرا مغفورا ظلما لأنفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم
الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وإبليس وبعضكم لبعض
عدو في موضع الحال أي متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه ولكم في الأرض مستقر استقرار أو موضع استقرار ومتاع وانتفاع
بعيش إلى حين إلى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء
تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فإنما أصابني ما أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا
وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم
بعده جعل ما في الأرض منزلا من السماء لأنه قضي ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج والريش لباس
الزينة استعير من ريش الطائر لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لأن
الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس
التقوى خشية الله وقيل الإيمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير أو خير وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى
[illegible]
قيل ولباس التقوى المشار إليه خير ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون إشارة إلى
اللباس المواري للسوأة لأن مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف
أي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وأبي رضي الله عنهما ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى
ما يلبس [illegible] يعني إنزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد

عقيب

يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا
الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا
تعلمون قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة
إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من
حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا

عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها إظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة
وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم بأن
أخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال من أبويكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزع إليه للتسبب ليريهما سوآتهما إنه يراكم
هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار
أن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤونة إلا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين أن الجن لا يرون
ولا يظهرون للإنس وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور وزخرفة إنا جعلنا الشياطين
أولياء للذين لا يؤمنون أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي
وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول فإنه قطع كلام عطف وقبيله على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في إنه ضمير الشأن
والحديث وقرأ اليزيدي وقبيلَه بالنصب وفيه وجهان أن تعطفه على اسم إن وأن يكون الواو بمعنى مع وإذا
عطف على اسم إن وهو الضمير في أنه كان راجعا إلى إبليس الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي إذا فعلوها اعتذروا
بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما تقليد
والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله وإلحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن
الحسن أن الله بعث محمدا إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قوله عز وجل وإذا فعلوا فاحشة
قل إن الله لا يأمر بالفحشاء لأن فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله أتقولون
على الله ما لا تعلمون إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة
طوافهم بالبيت عراة قل أمر ربي بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد وأقيموا وجوهكم
أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود
وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة مستقيمين بها وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما أنشأكم
ابتداء يعيدكم احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له
حقت عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين أولياء أي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم
وأنهم هم الضالون باختيارهم وتوليتهم الشياطين دون الله خذوا زينتكم أي ثيابكم ولباس زينتكم عند كل مسجد
كل ما صليتم أو طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وإنما كان أحدهم يطوف عريانا
ويضع ثيابه وراء المسجد وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لأنهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل
تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل
أحسن هيئته للصلوة وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون
بذلك حجهم فقال المسلمون فإنا أحق أن نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس رضي الله عنه
كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني
حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد وهو صاحب [illegible] ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأبدان
وعلم الأديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه فقال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسول الله الطب في ألفاظ يسيرة فقال وما هي

من الشياطين بيان

في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون

وكل ما يتحلل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام فيه من انكار تحريم هذه الاشياء
وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم
لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه
على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار
وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم كانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله اي تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه
اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الخفيفة او الثقيلة فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء فمن اظلم ممن افترى تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الآلهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يحذروه في العاقبة قال ادخلوا اي يقول الله يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤساء ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون وقرئ بالياء والتاء فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون مفتحة ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله عز وجل وقرأ ابن عباس رضي الله عنه الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير رضي الله عنه الجمل بوزن النغر وقيل ان الله تعالى احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل يناسب الخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت

ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم

هذا الكلام لمصنف

لا اهتداء له في المضايق المشتبهة بالخراب الابرة والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا بجزر يراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا بابا واسعا في ثقب الابرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله رضي الله عنه في سم المخيط والخياط والمخيط ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله رضي الله عنه لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس الا وسعها من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتاكيد النفي يعني وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث او تكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ان قد وجدنا يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت انفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم وليكون حكاية لقولهم سببا لطف لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعد كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك وبينهما يعني وبين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا

قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء
يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من
قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره

رجالا من رؤوس الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء
يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما
يقولون وفائدة ذكر بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه
في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه عن سابقيه ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس
عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرا الاعمش واذا قلبت
ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان
قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل
لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين
وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة برجال ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم
تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة افيضوا علينا من الماء فيه دليل على ان الجنة فوق النار
او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله من الطعام
والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة حيرة في امرهم كما يفعل المضطر
الممتحن حرمهما على الكافرين منعهما شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني
ان تطعما بالنوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم
هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه
ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة يعني
فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه
الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل
ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاءوا بالحق او نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه
قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل
يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرئ او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او تكون او بمعنى
حتى ان اي يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل يغشي الليل النهار وقرئ
يغشّي بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل
النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد بن قيس بامره بمشيئته و
تصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى ذلك امرا على
التشبيه كانهن مامورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال
الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء وهو الذي صرفها على حسب ارادته تضرعا وخفية
نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة

الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت
سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا

وهي الذل اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي
ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا
يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد ادركنا
اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان
المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم و
ذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء
خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين
ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رافع الصوت بالدعاء وعنه الصياح
في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي عليه السلام سيكون قوم يعتدون
في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك
من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقرأ قوله انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب من المحسنين
كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او
لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه
ذلك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب او لان تانيث
الرحمة غير حقيقي نشرا وهو مصدر من نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان وكانه
قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل
ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم
نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي
باشرات وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهو الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا
اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا
سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على
المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا
ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل
ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق
بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة لشيء بعد انشائه البلد الطيب الارض العذاة
الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو
في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه
وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد
الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع

كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملاء من قومه انا لنريك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم

الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذى خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اى ذا نكد ونكدا باسكانها بالتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شئ من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اى يصرفها الله لقد ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذى هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح عم وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس عليهما السلام وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم من اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما فى الدار من احد الا زيدا وغير زيد فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعى الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملاء الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء فى ضلال فى ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بى ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ فى نفى الضلال عن نفسه كانه قال ليس بى شئ من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لى تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكنى رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا فى معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسولا من رب العالمين والثانى ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغايب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان فى معناه كما قال انا الذى سمتنى امى حيدره رسالات ربى ما اوحى الى فى الاوقات المتطاولة او فى المعانى المختلفة

[illegible]

[illegible]

من الاوامر والنواهى والمواعظ والزواجر والبشاير والنذاير ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهى ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهى خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اى من صفات الله واحواله يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحى الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحى الى بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عم ويقولون ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا وليوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فان قلت فى الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه فى الفلك او صحبوه فى الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اى انجيناهم فى السفينة من الطوفان عمين عمى القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمى والعامى ان العمى يدل على عمى ثابت والعامى على عمى حادث ونحوه قوله ضايق به صدرك اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله فى صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فان قلت لم حذف العاطف فى قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما فى قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سايل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملاء فان قلت لم وصف الملاء بالذين كفروا دون الملاء من قوم نوح قلت كان فى اشراف قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذى اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن فى اشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله تعالى وقال الملاء من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة ويجوز ان يكون وصفا واراد الذم لا غير فى سفاهة فى خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز اراد وانه متمكن فيها غير منفك عنها وفى اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم و

وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون
اذيالهم على ما يكون منهم ناصح امين اى عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقى ان اتهم وانا لكم
ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح اى خلفتموهم
فى الارض او جعلكم ملوكا فى الارض واستخلفكم فيها بعدهم فى الخلق بسطة حلق من اجرامكم
ذهابا فى الطول والبدانة قيل كان اقصرهم كان ذراعا ستين واطولهم مائة ذراع فاذكروا
آلاء الله فى استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الالاء الى ونحوه انا
واناء وضلع واضلاع وعنب واعناب فان قلت اذ فى قوله اذ جعلكم خلفاء ما
وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اى اذكروا وقت استخلافكم اجئتنا لنعبد الله
وحده انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الاباء فى اتخاذ
الاصنام شركاء معه حبا لما نشاؤا عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فان قلت
ما معنى المجئ فى قوله اجئتنا لنعبد الله قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل
عن قومه يتحنث فيه كما يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحى اليه
جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل
الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجئ الملك وان لا يريدوا حقيقة المجئ ولكن
التعرض لذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا
اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فاتنا بما تعدنا استعجال
منهم للعذاب قد وقع عليكم اى حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذى
لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن
حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكى فقال له ما يبكيك فقال لسعنى
طوير كانه ملتف فى بردى حبرة فضمه الى صدره وقال يا بنى قد قلت الشعر والرجس العذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب فى اسماء سميتموها اى اشياء ما هى الا اسماء ليس تحتها
مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون
من دونه من شئ ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم
عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام
يعبدونها صدا وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم و
افضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى
جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم
واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر
فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عتر ومرثد بن سعد الذى كان يكتم

اسلامه

فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين والى ثمود اخاهم صالحا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها

اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم
وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا
لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك
اخوالى واصهارى وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيى ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل
مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معوية
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقى ارض عاد ان عادا قد امسوا ما
يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم و
قد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد والله لا تسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية
احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا
مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء
وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت
السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها
وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه
فاتوا مكة وعبدوا الله حتى ماتوا فان قلت ما فائدة نفى الايمان عنهم فى قوله
وما كانوا مؤمنين مع اثبات تكذيب آيات الله قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد
بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا منهم ولم يكونوا
مثل من آمن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين قرئ الى ثمود
بمنع الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف بمعنى الحى او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم
الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح اخو اديس وقيل سميت ثمود
لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز الى وادى القرى
قد جاءتكم بينة آية ظاهرة وشاهدة على صحة نبوتى وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة
الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل
اشير اليها آية ولكم بيان لمن هى آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس
اخبروا وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعالى تعظيما
وتفخيما لشأنها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول
آية الله وروى ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الارض وكثروا
وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حيوته فنحتوا
البيوت من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا فى الارض

فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه

وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا عم وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم
الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه آية فقال عم اية آية تريدون
قالوا تخرج معنا الى عيد نا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعوا آلهتك وندعوا آلهتنا فان استجيب لك
اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح عم نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها
الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال
لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت
البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن
ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن
ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم
نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم
ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وترد غبا فاذا كان يومها وضعت
راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلي اوانيهم
فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة
فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم
فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب الى ظهره فشق ذلك عليهم
وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما
وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه
قارة فرغا ثلاثا وكان صالح عم قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه
وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح عم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد
غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات
طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تاكل في ارض الله
اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها
من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء فياخذكم لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها
بشيء من الاذى اكراما لآية الله ويروى ان رسول الله حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه
لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا
باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عم الذري من اشقى الاولين قالوا الله ورسوله اعلم قال
عاقر ناقة صالح عم الذري من اشقى الآخرين قالوا الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرا ابو جعفر
في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل

قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم

في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما
تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرا الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع
الفتحة كقوله ينباع من ذفرى اسيل حرة فان قلت علام انتصب بيوتا قلت
على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل
لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا
يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤسا الكفار
واستذلوهم ولمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه
او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع
اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على
المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين
كانوا مؤمنين وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول
للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه
قلت سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا
العلم بارساله وبما ارسل به ما كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به
فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به
ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم
وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم
وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عم من قوله فذروها تاكل
في ارض الله او شأن ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم
وعتو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري ائتنا بما تعدنا اراد وامن العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان
معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة
الصيحة التي زلزلت بها الارض واضطربوا لها في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون
موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها
وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر رضي الله عنه ان رسول الله عم لما مر بالحجر قال لا تسالوا الآيات
فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك
ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه
مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن
معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر انه كان

قصة ع

وقال يا قوم اعبدوا الله لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتأتون الرجال من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون

مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم متحزن بهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا وارسلنا لوطا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه أتأتون الفاحشة أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عم سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة انكر عليهم اولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به انكم لتأتون الرجال بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستأنف لتأتون الرجال من اتى المرأة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثمة اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عم من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد واهله ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة

مواليه

موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم ساحة حري غير ممطور حري ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين وكان يقال لشعيب خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة بقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا ومن معجزات شعيب ما روي من محاربة عصا موسى عم التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم على يده عم عليهما في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها قبل ان ينبأ موسى عم فكانت معجزات لشعيب عم فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما هو في سورة هود عم قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به الكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس اي ذات بخس قيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهم الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية ان كنتم مؤمنين

ان كنتم مصدقين لى فى قولى ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان فى قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اى بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اى ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا يشرع فى شئ منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير فى آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون فوضع الظاهر الذى هو سبيل الله موضع الضمير زيادة فى تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن يمر بها ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اى تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها اويكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط عم فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم هود ونوح وصالح ولوط وكانوا قريبى العهد مما اصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اى ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبروا الكافرون على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم فى الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا ع بالعود فى الكفر فى قولهم او لتعودن فى ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء ع لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا فى الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب ع جوابه فقال ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله

منها

وسع كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملاء من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا الخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين

منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه فى جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا والله تعالى متعال ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم فى الكفر قلت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شئ علما اى هو عالم بكل شئ مما كان ومما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا فى ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم فى العود لان مشيئة الله لعودهم فى الكفر محال خارج من الحكمة اولو كنا كارهين وما يكون لنا وما ينبغى لنا وما يصح ربنا افتح بيننا اى احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا فى الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ فى الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله فى ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفى عليه من التمييز بين الحق والباطل والثانى ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملاء الذين كفروا من قومه اى اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا الخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذى وطأته اللام فى لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا الخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره محذوف كان لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كان لم يقيموا فى دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستيناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة فى رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم الاسى شدة الحزن قال العجاج واتخلبت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال كيف يشتد حزنى على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تصدقوا فكيف آسى عليكم يعنى انه لا ياسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة الا اخذنا اهلها

بالبأساء والضراء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم
يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل
ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا حتى كثروا
ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله م واعفوا اللحى
قال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم
وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب
في الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد
ابتلائهم بالحسنات والسيئات الا ان نأخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم
فجاءة من غير شعور منهم اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي
كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لاتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن
كذبوا فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم
قلت تيسيرها عليهم كما ييسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت
عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها
بأسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيتهم العدو بياتا فيجوز
ان يراد ان يأتيهم بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان
يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال اتيته ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم
لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والواو والفاء في افأمن واو امن حرفا عطف دخلت عليهما
همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه
قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه
وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم
بأسنا بياتا وامنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ او امن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون بما لا
يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله افأمنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله
افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون
في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم
ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد
قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا اذا قرئ اولم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين
يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب

كانه قيل

كانه قيل اولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى اولم نبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت
فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على
يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما
كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم
موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة
وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدا وخبر
وحال ويجوز ان يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى نقص خبرا بعد خبر فان قلت
ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد
بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى نقص عليك من انبائها قلت معناه ان
تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند
مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به
اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون
ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وان
الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع
الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه
في الايمان والتقوى وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين
والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا
لنؤمنن ثم انجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى ع م لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون
والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في
المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها
فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين
اوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها
ظلما فلذلك قيل ظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال لملوك مصر الفراعنة
كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على
ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق على ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول
وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان تكون
مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح
وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان

حقيقًا على قول الحق اي لازمًا له والثالث ان تضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الوجه الادخل في نكت القراق ان يغرق موسى عم في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لاسيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال موسى اني رسول رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون قايله والقايم به ولا يرضى الا مثلي ناطقا به فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى تذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عم لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى عم وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عم اربع مائة عام فان قلت كيف قال له فات بها بعد قوله ان كنت جئت باية قلت معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك ثعبان مبين ظاهر امره لا شك في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه انا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى عم فعاد عصا فان قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجايب وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عم آدم شديد الادمة ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه وقد احذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملأ وعزي ههنا اليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا او قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم يبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم وقرئ سحار اي ياتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقوله فماذا تامرون من امرته فامرني بكذا اي شاورته فاشار عليك براي وقيل فماذا تامرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل قالوا <u>قال فماذا تامرون</u> قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمزة وارجه من ارجاه وارجاه فان قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سال ما قالوا اذ جاءوه فاجيب بقوله

قالوا اين لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان قلت وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر لكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنا بما يعطى اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة ويروى انه قال لهم تكونون اول من يدخل وآخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتاخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى عم ما تراغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التاييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق ما يافكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك بالافك روي انها لما تلقفت ملأ الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى عم فرجعت عصا كما كانت واعدم الله عز وجل بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم فاس وقيع وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا انفسهم لله آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ ءامنتم بحرف الاستفهام

ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى
في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها
القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان
وروي ان موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني
لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن
وقرأ لاقطعن بالتخفيف وكذلك لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع
من خلاف وصلب لفرعون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا
الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد
القطع والصلب وانا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة
ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا وما
تعيب منا الا الايمان بآيات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر
وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا
واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم
ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل او صب علينا ما
يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا
وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على ليفسدوا
لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم
لذلك او هو جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك
وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره وايذرك اي اتطلق
له ذلك او يكون مستأنفا او حالا على معنى اتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك
بالجزم كأنه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كأنه قيل اصدق وقرأ انس رضي الله عنه
ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اي
عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا
بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم
ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى
ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل
الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما
كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود

الذي

الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه
منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال لهم فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه
وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط
وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة
مبتداة مستأنفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله ان الارض
يورثها لله يجوز ان يكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض ويجوز ان يكون للجنس
فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه
ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط
وان المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود رضي الله عنهما عطفا على الارض
اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام الى ان استنبئ و
اعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن ويمسون به
من العذاب عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك
فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه و
شكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة
وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما
استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين سني القحط والسنة من الاسماء الغالبة
كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس اما السنون
فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان
لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان
الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم
ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية
فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل
في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من مرض وجدب يطيروا بموسى
ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله
هذه من عندك فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة
قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء
منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهلا عددت ايام الرخاء طائرهم عند الله اي سبب خيرهم
وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد
ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله

وهو علمهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله
في قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيرهم عند الله
وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن تكسير مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت
اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك
الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم
ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك
بمؤمنين فان قلت ما محل مهما قلت الرفع بمعنى اي ما شيء تأتنا به او النصب بمعنى اي ما شيء تحضرنا تأتنا
ومن آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والآخر انث
على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما
بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب
فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب
الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما
سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى
وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي والطوفان ما طاف بهم وغشيهم من مطر او سيل قيل طغا الماء
فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد
ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط
مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس منهم غرق ولم تدخل
بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف
ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض
وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم
فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد
فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل
بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى عليه السلام ووعدوه التوبة فكشف الله عنهم بعد سبعة ايام خرج
موسى عليه السلام الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا
ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان جمع حمنانة في قول ابي عبيدة كبار القردان
وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه السوس
فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل
احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير
رحمه الله كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم و

بيانا لتكرير المتجانسين

واشفار

واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وضجوا وفزعوا الى موسى عليه السلام فرفع عنهم
فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع
فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا
وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا
يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى عليه السلام
وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود فكشف الله عنهم
ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان
يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان
من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجاريتها الاسرائيلية اجعلي الماء
في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار
الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما
وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه
الآيات وروي انه لما راهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في
الارض فخذه بعقوبة تجعلها له نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان
ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف
آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من آيات
الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان
يمتحن فيه احوالهم وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة بما عهد
عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك
على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته
بالنبوة او ادع لنا الله متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله
عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان بالغوه لا محالة فمعذبون
فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما
كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا
الانتقام منهم فاغرقناهم واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه
من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات
وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم
فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا
في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله

ويريد أن نمن على الذين استضعفوا الآية والحسنى تأنيث الأحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني إسرائيل
مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الأمر إذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثًّا
على الصبر ودالًّا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن له
الله الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعًا وقلة
صبر ولم يرزن رزانة أولي الصبر وقرأه عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات
ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا
يعرشون من الجنات وهو الذي أنشأ جنات معروشات أو ما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة
في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي أن الكسر أفصح وبلغني
أنه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الأشجار وما أحسبه إلا تصحيفًا منه وهذا آخر ما اقتص
الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بني
إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام و
مجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصي ليعلم
حال الإنسان وأنه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود إلا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور و
ليسلي رسول الله صلوات الله عليه وسلم بما رأى من بني إسرائيل بالمدينة وروي أنه عبر بهم موسى
يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرًا لله تعالى فأتوا على قوم فمروا
عليهم يعكفون على أصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل
بقر وذلك أول شأن العجل وقيل كانوا قومًا من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم
وقرئ وجوزنا بمعنى أجزنا يقال أجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك علاه وأعلاه وعالاه
وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا إلهًا صنمًا نعكف عليه كما لهم آلهة أصنام يعكفون
عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه أن يهوديًّا قال له اختلفتم بعد
نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا إلهًا ولما تجف أقدامكم إنكم قوم تجهلون تعجب من قولهم
على أثر ما رأوا من الآيات العظمى والمعجزات الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده لأنه لا جهل أعظم
مما رأى منهم ولا أشنع إن هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه من قولهم إناء متبر
إذا كان فضاضًا ويقال لكسار الذهب التبر أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على
يدي ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضًا وباطل ما كانوا يعملون أي ما عملوا شيئًا من عبادتها
فيما سلف إلا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وإن كان في زعمهم تقربًا إلى الله كما قال وقدمنا
إلى ما عملوا وفي إيقاع هؤلاء اسمًا لأن وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرًا لها وسم لعبدة
الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم
عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا أغير الله أبغيكم إلهًا أغير المستحق للعبادة أطلب

لكم

لكم معبودًا وهو فعل بكم ما فعل دون غيركم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحدًا غيركم لتختصوه بالعبادة
ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الإنكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله
يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها فإن قلت ما محل يسومونكم قلت هو استئناف
لا محل له ويجوز أن يكون حالًا من المخاطبين أو من آل فرعون وفي ذلكم إشارة إلى الإنجاء أو إلى العذاب والبلاء النعمة
والمحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف روي أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم
بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عليه السلام ربه الكتاب فأمره
بصوم ثلاثين يومًا وهو ذو القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك
رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح
المسك فأمره الله عز وجل أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وقيل أمره الله بأن يصوم ثلاثين
يومًا وأن يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين
في سورة البقرة وفصلها ههنا وميقات ربه ما وقته له من الوقت وضربه له وأربعين ليلة نصب على الحال
أي تم بالغًا هذا العدد وهارون عطف بيان لأخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي
فيهم وأصلح وكن مصلحًا أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا
تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص كأنه قيل واختص مجيئه
لميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام
منطوقًا به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطًا في اللوح وروي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة
وعن ابن عباس رضي الله عنه كلمه أربعين يومًا وأربعين ليلة وكتب له الألواح وقيل إنما كلمه في أول الأربعين
أرني أنظر إليك ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني نفسك أنظر إليك فإن قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل
أرني أنظر إليك قلت معنى أرني نفسك اجعلني متمكنًا من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك فإن قلت
فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي لقوله أنظر إليك قلت لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكنًا من الرؤية التي
هي الإدراك علم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي فإن قلت
كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن
الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون
في جهة ومنع المجبرة إحالته في المعقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه
وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء
وتهدي من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالًا قلت ما كان طلبه الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين
دعاهم سفهاء وضلالًا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم
الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله فأراد أن يسمعوا
النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك

طلب الرؤية

قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك قلت لان الله انما كلم موسى وهم يسمعون
فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة
مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته و
اختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته فكان
ما يخاطب به او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل
دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة
النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين
وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا
افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
وقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت
كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا
تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به
وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق
عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا الآية فان استقر مكانه
كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار
الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب
ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة
بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل
فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك
والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا
دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك
دكاء اي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما رأى
وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من
صقعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو
مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من
صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول
المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته
فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله
فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم

ولم يخل

ولم يخل كلمة من نفثان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على
لسانه وقال وانا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا
ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة
وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله
ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق
الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر
ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني اي لن تطيق
معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له آية من
تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما
ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما افاق قال سبحانك
تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك
اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي
فخذ ما آتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر
موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر فان قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون عم
مصطفى مثله ونبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة
ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت
من زمرد جاء بها جبرائيل عم وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة
صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان
طولها كانت عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له
كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون
وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عم وعن مقاتل
كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من
حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على
كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات
او للتوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل يأخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن
كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب
كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقيل يأخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد
يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر نعمتهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم
وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم

سأريكم دار
الفاسقين يريد دار
فرعون وقومه وهي
مصر كيف اقفرت منهم
ودمروا لفسقهم صح

وقراء الحسن ساوريكم وهي لغة بالحجاز فاشية يقال اورني كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند
كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرئ ساورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
ساصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا
فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلعم اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها
هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان
اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل و
يجوز ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من
عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان
ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون
بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقراء مالك بن دينار
وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما اسفه ذلك
من ركب المفازة فان رأى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل
نحو ذلك في دينه اسفه ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف
بسببه ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها
ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعده الله في الآخرة من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت
لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا
منهم باشره ووجد فيما بين اظهرهم كما يقال بنو تميم فعلوا كذا وقالوا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا
مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجتمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه وقرئ من حليهم
بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي
ما يتحلى به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم وانما كانت عواري في ايديهم قلت
الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين
كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وجل فاخرجناهم من جنات وعيون الى قوله واورثناها بني
اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من
تراب من اثر فرس جبرائيل يوم قطع البحر فقذفه في فم العجل فكان عجلا له خوار وقراءة علي رضي الله عنه جؤار بالجيم
والهمزة من جأر اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام
ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي
هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه
اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا
منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد
عليه

ندمه وحسرته

ندمه وحسرته ان يعض على يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في
ايديهم وهو من باب الكناية وقراء ابن السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج
معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون
في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وراوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم
تبينا كانهم ابصروه باعينهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين
كما قال آدم عم وان لم تغفر لنا وترحمنا الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني
قمتم مقامي وكنتم خلفاء من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه
بني اسرائيل وهم هرون والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان
عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم
قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي
خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي
الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم
من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلفين من بعده
ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا
تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن
امر ربكم وهو انتظار موسى عم حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع
اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل
وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين
ثم احدثوا ما احدثوا القى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا
لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون عم الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني
اسرائيل من موسى عم وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي
سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذؤابته
وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف يا ابن ام قرئ بالفتح
تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه
لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم
للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها
ان القوم استضعفوني يعني اني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقتي من بذل القوة
في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم
من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به

ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قريناً لهم وصاحباً او لا
تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال رب اغفر لي
ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه عما فرط منه الى اخيه
ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة غضب
من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب
وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية
المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحيوة
الدنيا بالذلة وحدها ويراد بسينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحيوة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة
والمسكنة وباؤا بغضب من الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من
بعدها الى الله واعتذروا اليه وآمنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور
عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام تدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم
عظم جناياتهم اولاً ثم اردفها بعظم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل
ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها
حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح
وجر برأس اخيك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم
وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب
لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفاً من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه
باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها اي كتب
والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه
ضعفاً ونحوه للرؤيا تعبرون وقد تزاد لك ضرت واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله
ومنا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من اثني عشر سبطاً من كل سبط ستة حتى تموا اثنين وسبعين فقال
ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب
الا ستين شيخاً فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخاً وقيل كانوا ابناء ما عدا
العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا
ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان امره ربه ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى
من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في
الغمام وقعوا سجداً فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا
الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك
يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى

رب لو شئت

رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول
النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اهلكنا
جميعاً يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجراً للسفهاء وهم طلبوه سفهاً وجهلاً ان هي الا فتنتك
اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالاً فاسداً حتى افتتنوا
وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين
بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالاً من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سبباً لان ضلوا و
اهتدوا فكأنه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا واكتب لنا واثبت
لنا واقسم لنا في هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة او توفيقاً في الطاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك
تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد واسجد
كانك هدهد وقرأ ابو وجزة السعدي هدنا بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامالة ويحتمل ان
يكون مبنياً للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا واملناها او حركنا اليك وامِلنا على تقدير فعلنا
كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة
فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده
عذابي من حاله وصفته اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ
لكونه مفسدة ورحمتي من حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع
ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من اساء من الاساءة فساكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة منكم
يا بني اسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من امة محمد عم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتاباً مختصاً به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات يجدونه
يجدون نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوباً عندهم في التورية والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم
عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح
وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه
من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل
لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمداً كان او خطأ من غير شرع الدية وقطع
الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت
وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته
وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه وعظموه حتى
لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع عن معاودة القبيح الا ترى
الى تسمية الحد والحد هو المنع والنور القرآن فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبرائيل عم قلت معناه انزل

ح نبوته لأن استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به ويجوز أن يتعلق باتبعوا القرآن المنزل مع اتباع
النبي عليه السلام والعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فإن قلت
كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل على استجازتهم الرؤية
على الله وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى عليه السلام وعرّض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا
يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام
وغيره من أهل الكتابين لطفاً لهم وترغيباً في إخلاص الإيمان والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق
بينهم وبين أعقابهم عن رحمة الله وسعت كل شيء إني رسول الله إليكم جميعاً قيل بعث كل رسول إلى قومه خاصة
وبعث محمد إلى كافة الإنس وكافة الجن وجميعاً نصب على الحال من إليكم فإن قلت الذي له ملك السموات والأرض
ما محله قلت الأحسن أن يكون منتصباً بإضمار أعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون جراً
على الوصف وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله إليكم جميعاً وقوله لا إله إلا هو بدل من الصلة التي هي له ملك
السموات والأرض وكذلك يحيي ويميت بيان وفي لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو
الإله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره وكلماته
وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الإفراد وهي القرآن أو أراد
جنس ما كلّم به وعن مجاهد أراد عيسى ابن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن
وإنما قيل لعيسى عليه السلام كلمة الله فخص بهذا الاسم لأنه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم
تهتدون إرادة أن تهتدوا فإن قلت هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله إني رسول الله إليكم قلت
عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية
البلاغة وليعلم أن الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله
وكلماته كائناً من كان أنا أو غيري إظهاراً للنصفة وتفادياً من العصبية لنفسه ومن قوم موسى أمة هم المؤمنون
التائبون من بني إسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتين عبادة
العجل واستجازة رؤية الله ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم
على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك
النبي عليه السلام وآمن به من أعقابهم وقيل إن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطاً تبرأ سبط
منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ففتح الله لهم نفقاً في الأرض
فساروا فيه سنة ونصفاً حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا
وذكر عن النبي عليه السلام أن جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون
قالوا لا قال هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله إن موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ
عليه مني السلام فرد محمد على موسى السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير
الصلوة والزكوة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمّعوا ويتركوا السبت وعن سرّ؟ق

مطلب تبرؤ السبط

قرئ بين يدي

قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل إني منهم فقال لهم عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل
يزيد صلحاءكم عليهم شيئاً من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة
ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير وإلا فقد طار الخبر بشريعة محمد عليه السلام
إلى كل أفق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الأرض
ومغاربها إلا وقد ألقاه إليهم وملأ به أسماعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم
وصيرناهم قطعاً أي فرقاً وميزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم وقرئ وقطعنا بالتخفيف اثنتي عشرة
أسباطاً كقولك اثنتي عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً
من ولد يعقوب عليه السلام فإن قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعاً وهلا قيل اثني عشر سبطاً قلت لو قيل
ذلك لم يكن تحقيقاً لأن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطاً موضع قبيلة
ونظيره بين رماحي مالك ونهشل أمماً بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم أمماً لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة
وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين
فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا فإن قلت
هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الإلباس وليجعل الانبجاس مسبباً عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على
أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به وقوله كل أناس
نظير قوله اثنتي عشرة أسباطاً يريد كل أمة من تلك الأمم الثنتي عشرة والأناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال
وثناء وتؤام وأخوات لها ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما أبدلت
في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلاً عليهم في التيه وكلوا على إرادة القول
وما ظلمونا وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم إليهم وإذ
قيل لهم واذكروا إذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فإن قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت
لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين
قوله وكلوا لأنهم إذا سكنوا القرية فتسبب سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها
وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما وترك ذكر الرغد
لا يناقض إثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح
الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين
وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ تغفر لكم
خطاياكم وخطيئاتكم على البناء للمفعول واسألهم واسأل اليهود وقرئ وسلهم وهذا السؤال
معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والإعلام بأن هذا من علومهم التي لا تعلم
إلا بكتاب أو وحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي
يراد بها التقرير في قولك أعدوتم في السبت والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية

وعن ابى عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعنى رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه
راكبة لشاطيه اذ يعدون فى السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت وقد نهوا عنه
وقرئ يعدّون بمعنى يعتدون فادغمت التاء فى الدال ونقلت حركتها الى العين ويُعِدّون من الاعداد وكانوا
يُعِدّون الالات للصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون فى تعظيم هذا اليوم وكذلك
قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم
اسباتهم وقرئ لا يسبتون بفتح الباء وقرئ على رضى الله عنه لا يُسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يُسبَتون
على البناء للمفعول اى لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب
قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل واسألهم عن اهل القرية وقت عدوانهم فى
السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثانى فمنصوب بيعدون ويجوز
ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما يستعمل العرب الحوت فى معنى السمكة شرعا ظاهرة
على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا
وشرعت على فلان فى بيته فرايته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم واذ قالت
معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب
والذلول فى موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لاخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم اى مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم فى الشر وانما قالوا ذلك
لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اى موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب فى النهى
عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا فى ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اى
وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعنى اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون
ترك الناسى لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت
الامة الذين قالوا لم تعظون من اى الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين
لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا غرضا صحيحا
لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهى حال المنهى وان النهى لا يؤثر فيه سقط عنه النهى وربما وجب الترك
لدخوله فى باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على الماصر او الجلادين المرتبين للتعذيب
لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهى واما الاخرون فانما لم يعرضوا
عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم فى الذين يأتى الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم
وجدهم فى امرهم كما وصف الله تعالى رسوله عم فى قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون
لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس رضى
انه قال ليت شعرى ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قال عكرمة قلت جعلنى الله فداك الا ترى

انهم

انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا
وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروى ان اليهود امروا باليوم الذى
امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت
الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء لكثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم
وكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا
تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا و
ربط فى ذنبه خيطا الى خشبة فى الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع فى تنوره فقال له
انى ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ فى السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم
صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من
اثنى عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا
القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عم فاصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم
يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا
عليهم فعرفت القرود انسباءها من الانس ولا الانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد يأتى نسيبه
فيشم ثيابه ويبكى فيقول الم ننهكم فيقول برأسه بلى بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا
والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا فى الدنيا واطولها عذابا فى الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه
قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل الساعة موعدا والساعة ادهى وامر بئيس شديد
يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بيس بوزن حذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء
كما يقال كبد فى كبد وبيس على قلب الهمزة كذيب وادغام الياء فيها وبيّس على تخفيف بيّس كهيّن فى هيّن وبايس على وزن
فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة
عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد
فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ تأذن ربك عزم ربك وهو
تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجرى مجرى فعل القسم
كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه
ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله
محمدا عم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا
عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد وقطعناهم فى الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة
منهم منهم الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينة والذين وراء الصين ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون
عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم
ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم بالحسنات
والسيئات

بالنهي والتبع لعلهم ينتهون فينيبون فخلف من بعدهم خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله عم ورثوا الكتاب
التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون
بها يأخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى
تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها و
المراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا
الله بما اخذنا والفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر يأخذون وان
يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم
غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله
في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة ودرسوا ما فيه ما في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران
الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه وعن مالك بن دينار يأتي على الناس زمان ان قصروا
عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه
الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم
الله وقرئ ورثوا الكتاب وان لا يقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا افلا تعقلون بالياء والتاء فان قلت
ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور
في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وان
فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة
ولا تقولوا نهيا كأنه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت
على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه
وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان
المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا
والثاني ان يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد
ويعضده قراءة ابي رضي الله عنه والذين مسكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل ان يكون على كل عبادة ومنها
اقامة الصلوة فكيف افردت قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان و
قراءة ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب واذ نتقنا الجبل قلعناه ورفعناه لقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه
نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه
اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها
فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن
عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها
العقوبة ولما نشر موسى عليه الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى

يهوديا

يهوديا يقرأ عليه التورية الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم او قائلين
خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه
او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم
تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة
والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا من ظهورهم بدل
من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله
الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته
وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه اشهدهم على
انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكأنهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب
التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذ قالت الانساع للبطن الحق وقوله قالت له
ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا لا تقولوا اي فعلنا ذلك من
نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه
او كراهة ان تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على
التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا
عذر لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عني ببني آدم اسلاف
اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله عم من اخلافهم
المقتدين بآبائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على
انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله وسئلهم
عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا و
كذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها
وقرئ ذرياتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعورا اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها
من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له
او فاتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي
ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عم ومن معه فأبى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه
ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء
بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه
بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها

لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس رضي الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى عم خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا من اليهود بعدما قرأوا نعت رسول الله عم في التورية وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص الذي هو نحو قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ واولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا من الجن والانس المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واسماع الآذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلقت فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله عم مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يأتي منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله

او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ومن الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وعن النبي عم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم بمحمد عم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي عم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح اولم ينظروا نظر الاستدلال في ملكوت السموات والارض فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل انه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان فان قلت بم يتعلق قوله فباي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا قرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك قيل ان قوما من اليهود وقالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من

من الساعة عند الخلق أيّان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أيّ فعلان منه لأن معناه أيّ وقت وأيّ فعل من أويت
إليه لأن البعض آوٍ إلى الكل متساند إليه قال ابن جني وأنّى أن يكون من أين لأنه زمان وأين مكان وقرأ السلمي
إيّان بكسر الهمزة مرسيها إرساؤها أو وقت إرسائها أي إثباتها وإقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره
ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة والمرسى الأنجر الذي ترسى به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات
والأرض والمعنى متى يرسيها الله إنما علمها أي علم وقت إرسائها عنده وقد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب
ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت
الموت لذلك لا يجليها لوقتها إلا هو لا تزال خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء بها في
وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها ثقلت في السموات
والأرض أي كلت من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويوده أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها
وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها أو لأن كل شيء لا يطيقها
ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تأتيكم إلا بغتة إلا فجأة على غفلة منكم وعن النبي عم أن الساعة تهيج بالناس والرجل
يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوّم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كأنك حفي
عنها كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه
فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه إحفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله وأحفى في المسألة إذا
ألحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه
كأنك حفي بها أي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك أي يسألونك عنها كأنك حفي أي عالم بها
وقيل إن قريشا قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم
فتختصهم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في
إخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحي إليك وقيل كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه
وتؤثره يعني أنك تكره السؤال عنها لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه فإن
قلت لم كرر يسألونك وإنما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها و
على هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة
رضي الله عنهما ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن العالم بها وأنه المختص بالعلم بها قل لا أملك هو إظهار
للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع
ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد إلا ما شاء الله ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت أعلم الغيب لكانت
حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني
شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في
التدابير إن أنا إلا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما شأني إلا أن أعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز أن يتعلق
بالنذير والبشير جميعا لأن النذارة والبشارة إنما تنفعان فيهم ويتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق

بالنذير محذوفا

بالنذير محذوفا أي إلا نذير للكافرين وبشير للمؤمنين من نفس واحدة وهي نفس آدم عليه السلام و
جعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم
أزواجا ليسكن إليها ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس وإذا كانت بعضا
منه كان التسكن والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال
ليسكن فذكر بعدما أنث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا إلى المعنى ليبين أن المراد بها آدم عم ولأن الذكر هو
الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان
والإتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى
ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفه على كبدي حين حملته
فمرت به فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة
فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر
فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله أفتمرونه وأفتمارونه ومعناه فوقع
في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما أثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك أقربت وقرئ أثقلت على البناء
للمفعول أي أثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعا
ويلتجأ إليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا
لأن الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما
آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف و
إقامة المضاف إليه مقامه وكذلك فيما آتاهما أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك بقوله
فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم
الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد
الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي ألا ترى إلى قوله في قصة أم معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم
به من فخار لا يبارى وسؤدد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية
ليسكن إليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما
الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما
الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه وقرئ شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء
أو أحدثا لله إشراكا في الولد أجريت الأصنام مجرى أولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على
اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم
يخلقون لأن عبدتهم يخلقونهم فهم أعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا و
ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون

الله خالقهم أو لا يقدر على اختلاق
شيء لأنه جماد وهم مخلوقون لأنه

عنهم ويعانون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد والى
ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم و
طلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا ان كنتم صادقين
سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون عن دعائهم في انه لا فلاح معهم فان قلت هلا قيل ام
صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا
الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم
فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم
ان الذين تدعون اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم
استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم
ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم
وقرا سعيد بن جبير رضي الله عنه ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب
عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل
ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي
بكم وكانوا يقولون هذه الاوثان بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك
كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من
دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي
اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من
عباده وانبيائه ولا يخذلهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة
من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي العفو ضد الجهد
اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم
ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا
قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وقيل خذ الفضل وما
تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكوة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا
او كرها والعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل

سفههم

سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال
لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم
الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته
على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس
حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انها لما نزلت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان
اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني طيف من الشيطان لمة منه مصدر
من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال انى الم بك الخيال يطيف او هو تخفيف طيف
فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهو تاكيد
وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم
ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا
ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا المتقين فان الشياطين
يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم
بمعنى يمدونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم
يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها في ان الخبر جار على غير من هو له ويجوز ان
يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له
والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم
والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه
اي جمعه كقولك اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها والمعنى
لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى
او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل الآيات او لست
بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى

او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم صارت سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويخصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله واطيعوا الرسول ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ١٩٥

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي رحمه الله في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله عم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله عم المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن وقاص رضي الله عنه قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله عم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله عم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه يسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى يكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا اناءك يريدون ما في الاناء من الشراب ويجعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملو الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت

وباذن الامام رضي وعجل

انه فيما ينفل من الغنائم

الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون

والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قال فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة رضي الله عنه الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري اانا منهم ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة رحمه الله لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلوات الله عليهما فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس

الى مكة

واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون

الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي عم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله عم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي عم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو رضي الله عنه يا رسول الله عم امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى صلى الله عليه وسلم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله عم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي عم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله عم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله عم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي عم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين والحق الذي جادلوه فيه رسول الله عم تلقي النفير بعدما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو شاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انهم ما كان فيهم الا فارسان اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شاكي السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة

إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين

ومشاق الأمور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم والله عز وجل يريد معالي الأمور وما يرجع إلى عمارة الدين ونصرة
الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب
كثرتهم بقلتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد فإن قلت بم يتعلق
قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر
ومحقه فإن قلت أليس هذا تكريرا قلت لا لأن المعنيين متباينان وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما
فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض
ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فإن قلت بم يتعلق
إذ تستغيثون قلت هو بدل من إذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه
لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضي الله عنه
أن رسول الله عم نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي
ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر رضي الله عنه فألقاه
على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك أني ممدكم أصله
بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول فإن قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر
قلت اختلف فيه فقيل نزل جبرئيل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي
بن أبي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت
يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب ويوم حنين وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع
ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروي أن رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في أثر رجل
من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الأنصاري
رسول الله فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن أبي داود المازني رضي الله عنه تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر
فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وقيل لم تقاتل وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد
كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم فإن جبرائيل صلوات الله عليه أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد
ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه إذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم
بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم وأردفته إياه إذا أتبعته ويقال أردفته كقولك أتبعته إذا جئت بعده فلا
يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم
بعضا أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم
ويقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين غيرهم
من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين
أي مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو على إتباع الدال
أو لاتباع الميم

وبالضم

وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا
الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان

وبالضم على إتباعها الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فإن قلت فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم
يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بأن المراد بالألف من قاتل منهم أو الوجوه منهم
الذين من سواهم أتباع لهم فإن قلت إلام يرجع الضمير في وما جعله قلت إلى قوله أني ممدكم لأن المعنى فاستجاب لكم بإمدادكم
فإن قلت ففيمن قرأ بالكسر قلت إلى قوله أني ممدكم لأنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي
يدل عليه ممدكم إلا بشرى إلا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني إسرائيل يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان
الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر إلا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر
من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله والمنصور من نصره
إذ يغشيكم بدل ثان من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في من عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو بإضمار اذكر وقرئ
يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وأمنة مفعول له فإن قلت أما وجب أن يكون فاعل الفعل
المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشيكم النعاس تنعسون انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم
والمعنى إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لأمنكم ومنه صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله فإن قلت فعلى غير هذه
القراءة قلت يجوز أن يكون الأمنة بمعنى الإيمان أي ينعسكم إيمانا منه أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا فإن قلت هل
يجوز أن تنتصب على أن الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس
إسناد مجازي وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت
المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل
قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال يهاب النوم أن يغشى عيونا تهابك فهو نفار
شرود وقرئ أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حياة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم
من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنه النعاس في القتال أمنة
من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني
ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش
وقيل الجنابة لأنها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن إبليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء ونزل
المؤمنون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد
تزعمون أنكم على الحق وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء
وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم
إلى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله عم وأصحابه
الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت
عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر
والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال إذ يوحي يجوز أن يكون بدلا ثالثا من إذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت أني
معكم مفعول يوحي وقرئ إني بالكسر على إرادة القول أو على إجراء يوحي مجرى يقول كقوله إني ممدكم والمعنى أني

معكم

ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يا ايها الذين آمنوا اذا
لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس
المصير

على التثبيت ثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء
الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد
بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم
ممدودون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله
لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه
وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا
او تطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح غشيته
وهو في جأواء باسلة عضبا اصاب سواء الرأس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل
والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي
الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في
قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون
ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وخبره بانهم او الخبر محذوف اي ذلك العقاب
وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسيأتي
في الكلام عن اشتقاق المعاداة لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم
اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد منكم وفي ذلكم
للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على
عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى
ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع المضمر وقرأ الحسن وان
للكافرين بالكسر زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب
دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم
للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين
اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين
حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم
يومئذ امارة عليه الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع
الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر
رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير
المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر
وانتصب الا متحرفا على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا

او متحيزا

فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد
الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم

او متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل منه متحوز فلما كثروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا
على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله عليه السلام هذه قريش قد جاءت بخيلائها
وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبرائيل صلوات الله عليه فقال خذ قبضة من تراب فارمهم
بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم
والفاء جواب الشرط المحذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة
والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت يا محمد اذ رميت
ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر
ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله عليه السلام لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه
لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول
صلى الله عليه وسلم اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم
بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما
فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله
موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة
وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم
حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان
كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم
الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا
خطاب للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا
لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهو اوجه ويؤيده
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا وقرئ بطرح احدى
التائين والضمير في عنه لرسول الله عليه السلام لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما
كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه
او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون
بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق
واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم
صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا

البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله
شديد العقاب

بالتلطف لأسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو أسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع
فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد
الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة لأنهم كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء
به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن
أهل الكتاب إذا دعاكم وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الله كاستجابته وإنما يذكر أحدهما
مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن
النبي عم مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي
قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني إلا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن هذا مما
اختص به رسول الله والثاني أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير وإذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلوته لما يحييكم
من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حيوة كما أن الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه
كفن وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله
تعالى بل أحياء عند ربهم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي
التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم
لطاعة الله ورسوله واعلموا أنه إليه تحشرون فيجزيكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة وقيل معناه أن الله
قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا
وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا
والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل
معناه أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد
الراء ووجهه أنه قد حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر فتنة ذنبا
قيل هو إقرار المنكر بين أظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من أن يكون جوابا
للأمر أو نهيا بعد أمر أو صفة لفتنة فإذا كانت جوابا فالمعنى إن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم
وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب وإذا كانت نهيا بعد أمر فكأنه قيل
واحذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك إذا
جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى إذا جن الظلام واختلط
جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط أي بمذق مقول فيه هذا القول لأن فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد
المعنى الأخير قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة
والزبير رضي الله عنهم وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير رضي الله عنه نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرانا من أهلها
فإذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي أن الزبير رضي الله عنه
كان يساير النبي عم يوما إذ أقبل علي رضي الله عنه فضحك إليه الزبير فقال رسول الله عم كيف حبك لعلي

صح بالجيم

أي ستعرفون الإبل العرفة ذكره

فقال يا رسول

واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون
يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ١٩٩

فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني أحبه كحبي لولدي أو أشد حبا قال كيف أنت إذا سرت إليه
تقاتله فإن قلت كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر قلت لأن فيه معنى النهي إذا قلت انزل عن
الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فإن قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا
منكم قلت التبعيض على الوجه الأول والتبيين على الثاني لأن المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لأن الظلم أقبح
منكم من سائر الناس إذ أنتم نصب على أنه مفعول به مذكور لا ظرف أي اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة
مستضعفين في الأرض أرض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون أن يتخطفكم الناس لأن الناس
كانوا جميعا لهم أعداء منابذين مضادين فآواكم إلى المدينة وأيدكم بنصره بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة
يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون إرادة أن تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا
الحي من العرب أذل الناس وأشقاهم عيشا وأعراهم جلدا وأبينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون
فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص كما أن معنى الوفاء التمام
ومنه تخونه إذا تنقصه ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان
فقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له ومنه قوله وتخونوا أماناتكم
والمعنى لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوا به وأماناتكم فيما بينكم بأن لا تحفظوها وأنتم تعلمون
تبعة ذلك ووباله وقيل وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعني أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وأنتم علماء
تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي أن النبي عليه السلام حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح
كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا من أرض الشام فأبى رسول الله عم إلا أن ينزلوا
على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لأن عياله
وماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت
قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق
طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال إن من تمام توبتي
أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال عم يجزيك الثلث أن تتصدق به وعن المغيرة نزلت
في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل أماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده فلا تنقصوها وتخونوا جزم
هو أم نصب قلت يحتمل أن يكون جزما داخلا في حكم النهي وأن يكون نصبا بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق وقرأ
مجاهد وتخونوا أمانتكم على التوحيد وجعل الأموال والأولاد فتنة لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب
أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وأن الله عنده أجر عظيم فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما
يؤدي إليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما كقوله المال
والبنون الآية وقيل هي من جملة ما نزل في أبي لبابة وما فرط منه لأجل ماله وولده فرقانا نصرا لأنه يفرق بين الحق والباطل
وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم وآثاركم

يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فإذا تتلى عليه آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم

في أقطار الأرض من قولهم بتّ أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور
أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة لما يتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر إذ يمكرون
بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره
فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن
أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه
غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال إبليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه
ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال
إبليس بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه
سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا
طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على
قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله عم وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن له الله في الهجرة فأمر عليا رضي الله عنه فنام
في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا
عليا رضي الله عنه فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك أو يوثقوك أو
يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد
وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس رضي الله عنه ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالإيثاق ويمكرون ويخفون
المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا
أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعد
فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين أن يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم
بالعجز حتى يتوردوا بالتقاح الموت دونه مع فرط أنفتهم واستكانتهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة وأنه يماتنهم ويناضلهم واحد
فيتحلكوا باستتباع الحجة مع سائر [illegible] قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون لو نشاء لقلنا مثل هذا وهو الذي جاء
من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذلك وأنه من جملة تلك الأساطير وهو القائل إن كان
هذا هو الحق وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعني إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت
بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا وإذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب
بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك إن كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم
بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الأعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو في
القراءة الأولى فصل ويقال أمطرت السماء كقولك أنجمت وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الأمطار
في معنى العذاب فإن قلت ما فائدة قوله من السماء والأمطار لا يكون إلا المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع

السجيل

وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون

٢٠٠

موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب أليم أي بنوع آخر من جنس العذاب الأليم يعني أن
أمطار السجيل بعض العذاب الأليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك
حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة
ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن
عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون
بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا الإشعار قوله وما لهم ألا يعذبهم وإنما يقع هذا بعد ابتداء التعذيب كأنه قال
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم ألا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال
ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها
مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم
المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله عم من المستضعفين وما لهم أن لا يعذبهم الله وأي شيء لهم في انتفاء العذاب
عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا
رسول الله عم عام الحديبية وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم
فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا أولياءه وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره
وأربابه إن أولياؤه إلا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لأن يلي أمره إنما يستأهل ولايته من كان
برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الأصنام ولكن أكثرهم لا يعلمون كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة
أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو إذا صفر ومنه المكاء كأنه
يسمى بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء والفراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا والتصدية التصفيق
تفعلة من الصدى أو من صد يصد إذا [illegible] منه يصدون وقرأ الأعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه
فإن قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو نحو قوله وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محدرجة سمرا والمعنى
أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال
والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه
في صلاته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة قيل نزلت
في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كان له تجارة في العير أعينوا
بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد
ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالا
ليصدوا عن سبيل الله أي كان غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وإن لم يكن عندهم كذلك ثم
تكون عليهم حسرة أي تكون عاقبة إنفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون
آخر الأمر وإن كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك [illegible] كتب الله لأغلبن أنا ورسلي والذين
كفروا والكافرون منهم إلى جهنم يحشرون لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من

قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله
فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكموا
كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم او ليكاثر اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه
المشركون في عداوة رسول الله عم من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله
في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة
وعلى الاول بيحشرون او يغلبون اولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه اي قل
لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
ونحوه وقال الذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه ان ينتهوا اعماهم عليه من عداوة
رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة
الاولين الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا
مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف من الكفر والمعاصي وخرجوا
منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عم الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط
واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة رضي الله عنه على ان المرتد اذا اسلم
لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير
لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم كل دين باطل
ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على توبتهم واسلامهم
وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر
الى نور الاسلام بصير فيجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا
بولايته ونصرته ان ما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدأ خبره محذوف
تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر ويقويه قراءة النخعي فلله خمسه
والمشهورة اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا
حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص
على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت كيف قسمة الخمس قلت عند ابي حنيفة رحمه الله انها كانت في عهد رسول الله عم
على خمسة اسهم سهم لرسول الله عم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه
حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما انهما قالا لرسول الله عم هؤلاء اخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة
فقال عم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم
لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله عم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم
فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي رحمه الله
فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله عم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع

ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة
القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة وان الله سميع عليم

والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند
مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضهم دون بعض وان راى غيرهم
اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول
الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد
بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها
كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم
لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة فكان رسول الله عم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فما اخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو
سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان السهم لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس رضي الله عنه
انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن
بعده من الخلفاء رضوان الله عليهم اجمعين وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان نعطي فقيركم
ونزوج ايمكم ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر
وعن زيد بن علي رضي الله عنهما كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة
وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا والمعنى في سهم رسول
انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر
وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت بم تعلق قوله ان كنتم امنتم بالله قلت
بمحذوف يدل عليه قوله واعلموا المعنى ان كنتم امنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم
واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن
والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين
يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الايات والملائكة والفتح يومئذ والله
على كل شيء قدير يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة
شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهما وبالفتح على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين
كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما
بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد
جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة
الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير
اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدأ
وهو الركب فان قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم قلت الفائدة
فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف
شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر

اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم
اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور

لم يتيسر الا بحوله وقوته عز وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت
ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير
وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا
كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في
القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط همهم ويوطن نفوسهم
على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر
سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى
الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من
تعرض رسول الله عم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا
وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم
انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم
عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي
ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر
اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح
بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين
الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الايات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان
مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بالاظهار والتضعيف لسميع عليم بكل كيف يدبر امورهم
ويسوي مصالحهم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر
او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك
في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا
على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها
وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلايم علمه بكلام العرب وفصاحته
لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر وتفرقت اراؤكم في امر ما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب
على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله عم وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا
ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم
مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور فان
قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم في

اعينهم

يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا
ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله

اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعد ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم
حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم راي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم
الاحتجاج عليهم في استيضاح الاية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا فان قلت باي طريق يبصرون الكثير
قليلا قلت بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول
ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا
ارى هذين الديكين اربعة اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا
يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب
مستظهرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة
وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة
لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المؤمنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة و
الخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر
الله شاغل وان تفاقم ولا تنازعوا فتفشلوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي
ويدل على التقديرين قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء او الجزم والريح
الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره ومنه
قوله اتنظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادي وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله
وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم
باحد لمخالفتهم رسول الله عم من فشلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من ديارهم هم اهل مكة حين نفروا
لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى
نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم
الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم
ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله
مخلصين اعمالهم لله واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس اليهم انهم
لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان
وتبرأ منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم
وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في
صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم
اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص
قال له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم

اي ترك فئة ولم يصفها

اي الدولة الظاهر

النوائح

وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون
إني أخاف الله والله شديد العقاب إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم
ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم

فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفي الحديث ما رئي إبليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من تنزل
الرحمة إلا ما رئي يوم بدر فإن قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب
بمعنى لا غالبا إياكم لكان الأمر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم إذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في
قلوبهم مرض يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام وعن
الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا
وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز غالب يسلط القليل
الضعيف على الكثير القوي ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي
إلى معنى الاستقبال وإذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم
ويجوز أن يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد وأدبارهم أستاههم
ولكن الله كريم يكني وإنما خصوها بالضرب لأن الخزي والنكال في ضربها أشد وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة
الزاني عندهم أن يضبر ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئا عملا من حديد كهيئة الطبوع فيه رزانة وله مقبض
فيضربه بها دبره ضربة واحدة بقوته فيحدث في مكانه وقيل يضربون ما أقبل منهم وما أدبر وذوقوا معطوف
على يضربون على إرادة القول أي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق أي مقدمة عذاب النار أو وذوقوا عذاب
الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار أو ويقال لهم يوم القيامة
ذوقوا وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت أيديكم يحتمل أن يكون من كلام الله ومن كلام
الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وأن الله عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم
وبأن الله ليس بظلام للعبيد لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد ولأن العذاب
من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل
دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه وواظبوا كفروا تفسير لدأب آل فرعون وذلك
إشارة إلى ما حل بهم يعني ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له ولم يغيروا ما بهم من الحال فإن قلت
فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة
قلت كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث
إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله
ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب وأن الله سميع لما يقول مكذبو الرسل عليم بما يفعلون كدأب آل
فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ
بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا
فهم لا يؤمنون أي أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله أن لا يمالئوا
عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق
وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين

ونظيره قوله تعالى لو يطيعكم في كثير

كفروا

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين إن شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم
يذكرون وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون وأعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم

كفروا جعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا
يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار فإما تثقفنهم فإما تصادفنهم وتظفرن بهم
فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى
لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق
وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم
ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء وأوقعه فيه لأن الوراء
جهة المشردين فإذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون
لعل المشردين من ورائهم يتعظون وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بأمارات تلوح لك فانبذ إليهم
العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت
ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك إن الله لا يحب الخائنين فلا يكن
منك إخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور
في موضع الحال كأنه قيل فانبذ إليهم ثابتا على طريق قصد سوي أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة على أنها حال من
النابذ والمنبوذ إليهم معا سبقوا فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم إنهم لا يعجزون إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم
عاجزا عن إدراكهم وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لأنهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد
وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الأعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة
وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق
واستدل عليه بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا
في محل الحال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبن هم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه
مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الأقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي
تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب
من عددها وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي
قالها ثلاثا ومات عقبة رضي الله عنه عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي
تربط في سبيل الله ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ
الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين
ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل
فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له إنما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر إن الحصون الخيل لا
مدر القرى ترهبون بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما تخزون به والضمير في به راجع
إلى ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم أهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي
هم أهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق

صح بكسر القاف

إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل

يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك
بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم يا ايها النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المؤمنين يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين
كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم

وروى ان صحيفة الحبل يرهب الجن صنح كما اليه اذا مال والسلم تؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب فالسلم تاخذ منها
ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الآية منسوخة بقوله
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه
الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح
بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم
قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب
وتشبعوا والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه من الآيات الباهرة لان العرب
لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان
ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله عم واتحدوا وانشأوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع بين
كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في
الله ولا يقدر على ذلك الا من ملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان
بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى
وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب
هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا
انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب
تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك سيف مهند والمعنى
كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء
في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي عم ثلاثة
وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنهم فنزلت التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه
المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان يسميه حرضا ويقول له ما اراك الا حرضا في الامر ومحرضا فيه ليهيجه
ويحرك منه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص ويقال حركه وحرضه وحرشه وحربه
بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله
وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب
كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه
ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله
عم بعث حمزة رضي الله عنه في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه ذلك
بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل
التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئا يكن
بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا

فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبي ~~ان يكون~~
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم

متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت
للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف
وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين قرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان
كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله
من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه
بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون
نزل فاما منا بعد واما فداء وروى ان رسول الله عم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن
ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية
تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله
اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال
عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون
اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك
يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد
منهم الا بفداء او ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم
فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين
وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروى انهم لما اخذوا الفداء
نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني
فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى
من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ
لقوله كان الاثخان في القتل احب الي عرض الدنيا حطامها سمي لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الآخرة
يعني ما هو سببها الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة
بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة
على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم
الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق
اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما
كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز
للاسلام واهيب لمن وراءهم وافل لشوكتهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم
نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة
للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى الفاء قلت

يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسارى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم

التسبيب والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا وقوله إن الله غفور رحيم معناه إنكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم في أيديكم في ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم وقرئ من الأسرى في قلوبكم خيرا خلوص إيمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الأعمش يثبكم خيرا وعن العباس أنه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله عم إن يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي أن رسول الله عم قال للعباس افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت فقال له فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي وروي أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ منكم على البناء للفاعل وإن يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه فأمكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء الذين هاجروا أي فارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار بعضهم أولياء بعض أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أي من توليتهم في الميراث ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ظاهره إثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال إلا تفعلوه أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء أولئك هم المؤمنون حقا لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والأولى للأمر

والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر

بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا وأولوا الأرحام أولو القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله على توريث ذوي الأرحام عن رسول الله عم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة رضي الله عنه إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا إلا نالت منه فإن قلت هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن أبي بن كعب رضي الله عنه إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا قيل فإن النبي عم قد كتب إلى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال إنما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ إليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي إلى الله فأجاب ودعي إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذ فإنما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس هذا أمان كله وقيل سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطوال وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطوال وقيل اختلف أصحاب رسول الله فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان إلى فلان ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم فإن قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد أذن الله في معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ إليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم

واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله

به المشركين وهي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة
فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا
انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة لسنة ثمان
وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامّر رسول الله ابا بكر على موسم حج سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه راكب
العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو
بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان ابا بكر رضي
الله لما كان ببعض الطريق هبط جبريل صلوات الله عليه فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع
ابو بكر الى رسول الله فقال يا رسول الله ءانزل في شيء من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي
فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس
اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية من سورة براءة وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال امرت
باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم
الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه
عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما ابى ان يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتهم في نقض عهودها
ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود
فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه فان قلت الاشهر الاربعة ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت
في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر
ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان
ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشرين من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت
للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين
في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها وغير معجزي الله
لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع براءة
على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد
في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت
اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت لم علقت
البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم
واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم
عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا
اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله عم وقف
يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف

بعرفة

فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا
عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم
كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله

بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج
فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك
قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر وحذف الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان
في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب على اسم ان او لان الواو
بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال
ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية
فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا
انكم غير سابقي الله ولا فائتين اخذه وعقابه فان قلت مم استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى
من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد
ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوافي كالغادر ان
الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا
منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله عم
وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله فانشد لا هم اني ناشد محمدا حلف ابينا
وابيه الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا
ركعا وسجدا فقال عم لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى
فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم انسلخ
الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني
نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم
وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز
ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر
او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم واتيان المسجد الحرام
ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر احد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك
احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء
الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فامنه
حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان
شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد
بن جبير رضي الله عنه جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا
الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الآية وعن السدي

اي بريء هو ورسوله

اي بين الوفي والغادر

اي اذكرك العهد

الضمير للسبيل والمنار الاعلام التي ينصب في المفاوز

اي غير منسوخة

مانه ذلك بانهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم
فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون

والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة
لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام
في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت
لهولاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي
ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم
فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين
كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني انما الموت بالقرى
فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعدما سبق
لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة
وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رأل النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل
جبرئيل وجبرائيل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال
بمعنى الحلف لانهم اذا تحالفوا وتعاقدوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اي انين يرفع
به صوته ودعت الالهة اذ الوله ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين
ما لا يعقده الميثاق يرضونكم بافواههم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم
على العهد وابآء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون
خلعاء لا مروة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث
والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا
وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان
واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم
على حذف المبتدأ كقوله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم ونفصل الآيات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من
تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا
في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك
تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاروا اخوانا
للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا
يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم
وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن
فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد
الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم
التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة رح على ان يمين الكافر

لا تكون يمين

الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم
ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين
ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت
اعمالهم

لا تكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق
بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا
في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت
همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين
واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة
على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في
المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج
بنفسه وهم بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال
والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم
عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء
بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية
منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح
ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله لما وبخهم الله على ترك القتال
جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديكم قتلا ويخزهم
اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنه
هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله عم
يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله لهم
هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله عم وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام
واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ
ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون
كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان
والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا
وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك
واتضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف
على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون
الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل
اي ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله
وعمارة المسجد الحرام وامارة التركيب ما يجمع فيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه

اي من قراءة

هذا النصب يؤدي موقع الجزم

وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا
الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين

قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد
واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو
آكد لانه طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك
وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع
الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا
يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم
لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم
بالشرك وطفق علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله وقطيعة الرحم واغلظ له في
القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل
منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم التي
هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر والكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما
ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة
بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما تستقيم
عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح
وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له
المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي عم يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد
فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد
يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها
فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد الفه
الله وقال عم اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا
لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله قلت
لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما
مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول
ودل عليه بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك
ان لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضاء الله رضاء غيره لتوقع مخوف
واذا اعترض امران احدهما حق الله والآخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا
يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين
عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم من الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها
بان الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى

ولعل

الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان
ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة ويوم حنين

ولعل فما بال المشركين يقطعون بانهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في
ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية
ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة
ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون
بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان
المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم
افضل وقيل ان عليا قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة
اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام
اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم
الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم وقرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة
الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس رضي الله عنه هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه
الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين
قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين
فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق
عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي عم لا
يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب
الناس اليه وقرئ وعشيراتكم وعشائركم وقرأ الحسن وعشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بامره وعيد عن
ابن عباس رضي الله عنه هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة او آجلة وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها كانها
تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من
نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاخوان
والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحة فلا
يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه ذباب فطيره
مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه
من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر
وفتح مكة فان قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين او في ايام
مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا
بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر
لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت
كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن

اي وقوله برحمة

زيادة بيان لما قبله من الاول

[illegible]

اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم

وثقيف وهم اربعة الاف فيمن ضامّهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله وقيل قائلها رسول الله وقيل ابو بكر وذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله عم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي الا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله عم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكاني انظر الى رسول الله يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم تحلها تعني بثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله عم حين وقع الهرب وانزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الاف وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله اي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي ان ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا يا رسول الله عم انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا انما المشركون نجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضي الله عنه اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهذا مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند

ملتبسة ٤

ان في

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم

وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك رحمه الله يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس رضي الله عنه القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تأكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة رحمه الله واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة رحمه الله تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله عم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها ملكتم بها العرب وادت اليكم العجم الجزية وعند الشافعي رحمه الله لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند ابي حنيفة رحمه الله في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي رحمه الله تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نوّن فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فمتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس

والمتسلم جالس

ولا يسقط خراج الارض ٤

يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يوفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا
الا آله واحد سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

رضي الله عنه جاء رسول الله عم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص
وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى صلوات الله عليهم فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم
فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبرائيل صلوات الله عليه فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه
التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل
على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت كل قول يقال بالفم
فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون
به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول
بالفم ومعناه موثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي
حنيفة رحمه الله يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه
ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهون لا بد فيه
من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا
والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه
كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم
المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل
وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم
هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون
عن الحق اتخذوا احبارهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم
ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم
انتهيت الى رسول الله وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتستحلونه
فقلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين
جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
سبحانه تنزيه له عن الاشراك واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امروا هؤلاء
الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم مثل
حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله
ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على اهل
الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا قلت قد
اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا
ان يتم نوره سمي اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما

الصواب على فعلاء صح بالمد وبالهمزة

على ان الاموال

يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون

على ان الاموال يتوصل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله يأكلن كل ليلة اكافا اي علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل
انهم كانوا يأخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرايع والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار
والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البرطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل
الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا
ودلالة على ان من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة
آية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن النبي عم ما ادى زكوته فليس بكنز وان كان
باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا ساله عن ارض له باعها فقال احرز
مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال اليس بكنز قال ما ادى زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر رضي الله عنه كل ما اديت
زكوته فليس بكنز وان كان تحت الارضين السابعة وما لم تؤد زكوته فهو الذي ذكره الله وان كان على ظهر الارض فان قلت
فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله عم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اي
مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء او
بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران
فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من
حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة
بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل
والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه
اربعة آلاف درهم فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان
قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما
ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك فان قلت لم خصا بالذكر من بين ساير الاموال قلت لانهما قانون
التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم ساير اجناس
المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته
ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو
قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور
اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما يقول رفعت
القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة
فيكوى بالياء فان قلت لم خصت هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حين لم ينفقوها في سبيل الله
الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل
ويحيون بالاكرام ويبجلون ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب

اي الذهب والفضة

الاكل حتى يضلع اي ينفخ وملأ اضلاعه

ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين

يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانكم هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قوله رسول الله صلى الله عليه ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل انهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنُزون بضم النون اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما فكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخ وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم الاشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وان كان ذلك محرما في سائر الشهور كافة حال من الفاعل او المفعول مع المتقين ناصرا لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها النسيء تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية فكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يُضَلّ على البناء للمفعول ويُضِل على ان الفاعل الله عز وجل وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسي مصدر نساه اذا اخره يقال نساه نساء ونسيا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الهدي والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها

والمحرم

الى النسوء ويضل بفتح الياء والضاد ويضل بالضم

من غير

يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم

تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهديهم اي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زَين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الاعمش اي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانع ان يعمل فيه قلت ما دل عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض في جنب الآخرة الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعد ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسنده اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله عم وابو بكر رضي الله عنه يروى ان جبريل صلوات الله عليه لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون واذ هما بدل من اذ اخرجه والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاث ليال اذ يقول بدل ثان فلما طلع المشركون فوق الغار اشفق ابو بكر على رسول الله عم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله عم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما القي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتدأ وفيها تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله عنه نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان ابن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا

اي ما دل عليه اثاقلتم اي ما يعمل لفظا فاقلتم ولكن معناه وهو ملتم ونظيره اذا كنا ترابا اي لفي خلق جديد

قول ابي ذر

اي واحد من اثنين

الى جانب اليمين

لانها جملة اسمية

لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا

حمص بياب

والله عليم بالمتقين وانما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له
عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين

قد سقط حاجباه من الكبر من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي
استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه
فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا
باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا
يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا
مقاربا الشقة المسافة الشاقة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه
قوله يقولون لا تبعدوا وهم يدفنونه ولا بعد ما تواري الصفائح بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم و
القول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو
استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا
والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة
العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت
يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب
وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة
بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا
لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك
كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناها اخطأت وبئس ما فعلت لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو
ومعناه مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن حتى يتبين
لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله عم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من
الاسارى فعاتبه الله لا يستاذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين
والانصار يقولون لا نستاذن النبي عم ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا
او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما
يستاذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير
كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر وقرئ عدة بمعنى عدته فعلا بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا اي حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة
وعدة باضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي
خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج كراهة
انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث
وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل قول الشيطان بالوسوسة وقيل الا وهو قوله
هو قول بعضهم لبعض وقيل هو اذن الله رسول الله عم لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم

الضمير لقوله يهلكون

لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا
لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين

كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم
ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطأ رسول الله
صلى الله عليه في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر في هذا المصلحة
ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم
ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله عم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم
مصلحة اخرى فبادرته لهم تفوت تلك المصلحة وذلك انه لما ثبطهم الله لم يتهيجوا وكان قعودهم بغير اذن
من رسول الله قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم
وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت هو ذم
لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون
والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون
لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى
منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء متصلا لان الخبال بعض ما يتم العام كانه قيل ما زادوكم
شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولا وضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات
البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع
بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير ولارقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت
وارقصتها قال والقراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولاوفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا
بزيادة الالف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن
وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولا اذبحنه يبغونكم
الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون
لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد
ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملكم وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله
بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة وهم
اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا
الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب
دينه وعلا شرعه ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت
بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد
علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني
وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا يعني ان الفتنة هي التي سقطوا وهي فتنة التخلف وفي
مصحف ابي سقطه لان من موحد اللفظ مجموع المعنى لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة

الا اذن رسول الله

من اعم العام الذي هو السبب فكان استثناء ٤٤

من دعاء اعرابي على آخر جعل الله لومك ...
وطعامك غصصا ومشيك ... وجعل
في عينيك رمصا ...

إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم

أي هي محيطة بهم الآن لأن أسباب الإحاطة معهم فكأنهم في وسطها. إن تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وإن تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا قد أخذنا أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا أعرضوا عن رسول الله عم. قرأ ابن مسعود رضي الله عنه قل هل يصيبنا وقرأ طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه أن يكون يفيعل لا يفعّل لأنه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة نحو بيطر وسيطر فيفعل منه يصوب ألا ترى إلى قوله صوب رأيه إلا أن يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله أسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله إلا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كأنه قيل لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة ألا ترى إلى قوله هو مولانا أي الذي يتولانا ونتولاه ذكر بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم. إلا إحدى الحسنيين إلا إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم إحدى السوأيين من العواقب إما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا إنا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه. أنفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا أو كرها نصب على الحال أي طائعين أو مكرهين فإن قلت كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو أمر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله أسيئي بنا أو أحسني. فإن قلت متى يجوز نحو هذا قلت إذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له. فإن قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي أن كثيرا كأنه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعاملني بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة وفي معناه قول القائل أخوك الذي إن قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه. فإن قلت ما الغرض في نفي التقبل أهو ترك رسول الله قبضه منهم ورده عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل الأمرين جميعا وقوله طوعا أو كرها معناه طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو ملزمين وسمي الإلزام إكراها لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقا عليهم كالإكراه أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم. وروي أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله هذا مالي أعينك به فاتركني. إنكم كنتم تعليل لرد إنفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو. أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه وقرئ أن يقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي أن يقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله عز وجل. كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وورد في بعض الأخبار أن رسول الله عم

كره للمؤمن

إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله إنهم لمنكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم

كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب إلى هذه الآية لأن الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه. فإن قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله أو من رؤسائهم وما طوعهم ذاك إلا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار. الإعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم. فإن قلت إن صح تعليق التعذيب بإرادة الله فما بال زهوق أنفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما كأنه قيل ويريد الله أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة. لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقية. ملجأ مكانا يلتجئون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات أو غيرانا وقرئ بضم الميم من أغار الرجل وغار إذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء وأغرته أنا يعني أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومغار أو مدخلا أو نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من أدخل مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبي بن كعب رضي الله عنه متدخلا وقرئ لوالوا إليه لالتجأوا إليه يجمحون يسرعون إسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام وقرأ أنس رضي الله عنه يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد. يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك إن لم أعدل فمن يعدل وقيل هو أبو الجواظ من المنافقين قال ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله عليه السلام لا أبا لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال عم احذروا هذا وأصحابه فإنهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك بالتثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لأن رسول الله صلى الله عليه استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه. وإذا للمفاجأة أي وإن لم يعطوا منها فاجأوا السخط. جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون. إنما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها وعليه مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين

الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها

رضوان الله عليهم أنهم قالوا أي صنف منها وضعتها أجزأك وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لو نظرت إلى أهل بيت من
المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب إلي وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها إلى الأصناف وعن عكرمة أنها تفرق
في الأصناف الثمانية وعن الزهري أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية والعاملين عليها الساعين
الذين يجمعونها والمؤلفة قلوبهم أشراف من العرب كان رسول الله عليه السلام يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها
حين كان في المسلمين قلة وفي الرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الأسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين
الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات لمتداينين وغرموا وفي سبيل
الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله
فريضة في معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك
فريضة فإن قلت لم عدل عن اللام إلى في في الأربعة الأخيرة قلت للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن
سبق ذكره لأن في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك
الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع
في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن
السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فإن قلت فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكائدهم
قلت دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لأطماعهم وإشعارا با
ستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها الأذن الرجل
الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظيره قولهم
للربيئة عين وإيذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن وأذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو
أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ويدل عليه
قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق
بالله لما قام عنده من الأدلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار وهو رحمة لمن آمن منكم أي أظهر الإيمان أيها
المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة
لما رأى الله من المصلحة في الإبقاء عليكم فهو أذن كما قلتم إلا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه إلا أنه
فسر بما هو مدح له وثناء عليه وإن كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وأنه من أهل سلامة القلوب
والغرة وقيل إن جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فإنما هو أذن سامعة قد سمع
كلام المبلغ فإذا جئناه ونحن تائبون اعتذرنا إليه يسمع عذرنا أيضا وقرئ بالرفع فقيل هو أذن خير لكم وقرئ أذن خير على أن أذن
خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك أي هو أذن هو خير لكم يعني إن كان كما تقولون فهو خير لكم لأنه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم
على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال فإن قلت لم عدي يؤمن بالباء إلى الله وإلى المؤمنين باللام قلت لأنه قصد
التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم
صادقين عنده فعدي باللام ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى

المؤكد بابه

ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن
إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم

الأذى ربما من قومه أنؤمن لك واتبعك الأرذلون آمنتم له قبل أن آذن لكم فإن قلت ما وجه قراءة ابن أبي عبلة ورحمة بالنصب
قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لأن قوله أذن خير لكم يدل عليه يحلفون بالله لكم ليرضوكم الخطاب
للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم
بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة
والوفاق وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضى الله ورضى رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك إحسان
زيد وإجماله نعشني وجبر مني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق
فأن له على حذف الخبر أي فحق أن له نار جهنم وقيل معناه فله وأن تكرير لأن في قوله أنه توكيدا ويجوز أن يكون فأن له
معطوفا على أنه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم وقرئ
ألم تعلموا بالتاء كانوا يستهزؤن بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم
والله لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في
عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين لأن
السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت
يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الأمر بالحذر
أي ليحذر المنافقون فإن قلت الحذر واقع على إنزال السورة في قوله يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة
فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل مبرز إنزال السورة أو أن الله مظهر ما كنتم تحذرونه أي
تحذرون إظهاره من نفاقكم بينا رسول الله يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا
انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال
احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن
كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لم يعبأ
باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا بأخطائهم
موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا
لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد أظهرتم كفركم باستهزائكم بعد إيمانكم بعد
إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة منكم بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق نعذب طائفة بأنهم
كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه أو إن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزؤا
فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقرأ مجاهد
إن تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لأن المسند إليه الظرف كما تقول سير بالدابة
ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة
إن يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث وقرئ إن يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل بعضهم من بعض أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله إنهم

لا تقول نفساني وجبراني

يعني حرف الاستفهام

كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات
اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري خالدين فيها ومساكن طيبة
في جنات عدن

لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون
عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا
ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله ان المنافقين هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ
عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم
واذا كره رسول الله عم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين
الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه
ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم
بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز ان يراد
ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من
المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم الكاف محلها رفع على انه مثل الذين
من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحو
قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب
وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت والخوض الدخول في
الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا
بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم
كالذي خاضوا قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم
الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الاخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك
حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب
ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باستناده اليه عن
تلك التقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة نقيض قوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين و
اصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط عليه السلام وقيل قريات قوم لوط وهود
وصالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه
القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه بعضهم اولياء بعض في مقابلة
قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما
تؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطات ذكره ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف
يعطيك ربك سوف نؤتيهم اجورهم عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع
كلا موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد
عدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله عم
عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء

يقول الله

ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين

يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جنانه على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء
من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته
والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما
تتهنا له برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وان سمعت بعض اولي الهمة
البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة
كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان
اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل
من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم
في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل
معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود رضي الله عنه ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر
في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة
الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول الله عم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين
المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لا
خواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل
والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده
عنه يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال
الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته
وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك
عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ
عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل
وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل
عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا وما
عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله عم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا
يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان
يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والاخرة بالقتل والنار وروي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول
الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي
بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت
بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه

431

فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم استغفر لهم أو لا تستغفر
لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله

وإذ قال عليه السلام يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله عليه السلام مصدّقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرّا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله عليه السلام الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا
أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح
ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا
عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله عليه السلام فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر في خلافته
فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس
رضي الله عنه يريد الحج فأعقبهم عن الحسن وقتادة أن الضمير للبخل يعني فأورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم
لأنه كان سببا فيه وداعيا إليه والظاهر أن الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم
فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث
النفاق وقرئ يكذّبون بالتشديد ألم يعلموا وقرئ بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما أسروه من النفاق والعزم
على إخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين
يلمزون محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم
المطوعين المتطوعين المتبرعين روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بأربعين
أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن
على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري رضي الله عنه بصاع من تمر فقال بت ليلتي
أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله عليه السلام أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى
من الصدقات فنزلت إلا جهدهم إلا طاقتهم قرئ بالفتح والضم سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم في أنه خبر
غير دعاء ألا ترى إلى قوله ولهم عذاب أليم سأل عبد الله رضي الله عنه عبد الله بن أبي رسول الله عليه السلام وكان رجلا صالحا أن
يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء
عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت
لهم أم لم تستغفر لهم وأن فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر والسبعون جار مجرى المثل
في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصبحن العاص وابن العاص سبعين ألفا عاقدي النواصي فإن قلت
كيف خفي على رسول الله وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة
الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي
فسأزيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال إظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه كقول
إبراهيم ومن عصاني فإنك غفور رحيم وفي إظهار النبي الرحمة والرأفة لطف لأمته ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم
على بعض المخلفون الذين استأذنوا رسول الله من المنافقين فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم

كسلهم

432

وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم
بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون

كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال أقام خلاف الحي بمعنى
بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم ويشهد له قراءة أبي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حين
قعدوا ومضى وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له أن يجاهدوا بأموالهم و
أنفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله و
إيثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان
وداعي الإيقان قل نار جهنم أشد حرا استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة
الأبد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم: مسرة أحقاب تلقيت بعدها مساءة يوم أريها شبه الصاب فكيف بأن
تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة أحقاب معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء إلا أنه أخرج على لفظ
الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون
بنوم وإنما قال إلى طائفة منهم لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون
كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم فاستأذنوك للخروج يعني إلى غزوة بعد تبوك أول مرة هي الخرجة إلى
غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف
غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين فإن قلت
مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات قلت أكثر
اللغتين هند أكبر النساء وهي أكبرهن ثم إن قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر
مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على
قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رئيس النفاق عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب
اليهود فقال يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه
فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم
بالصلاة عليه قال له عمر أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلي عليه فجذبه جبريل فإن قلت كيف جاز له تكرمة
المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس عم رسول الله لما أخذ أسيرا ببدر لم
يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية إنا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك
فقال لا إن لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله له ذلك وإجابة له إلى مسألته إياه فقد كان عليه السلام لا يرد
سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادة الكرام وإكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي أنه قال له أسألك أن
تكفنه في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به الأعداء وعلما بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا
فرق بينه وبين غيره من الأكفان وليكون إلباسه إياه لطفا لغيره فقد روي أنه قيل له لم وجهت إليه بقميصك وهو
كافر فقال إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئا وإني أؤمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم
ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله وذكر ترحمه واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف
لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه

ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون

حتما عليه فان قلت كيف جاز ترك الصلوة عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس رضي الله عنه ما ادري ما هذه الصلوة الا اني اعلم ان رسول الله لا يخادع وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه يجوز ان تراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان آمنوا هي ان المفسرة اولوا الطول ذو الفضل والسعة من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقد كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات يتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم يثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيئ على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاء والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون على قراءة ابن عباس رضي الله عنه الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وقرئ كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار الضعفاء كالهرمى والمرضى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن او توليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا وقيل معطوف على المعذورين في عدوا اليه والخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل استحملوا ابو موسى الاشعري رضي الله عنه واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كانها كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا فان قلت فمن رضوا ما موقعه قلت هو استئناف

انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم

كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب في استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأواهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين يقتضي رضى الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف انه لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشأتهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود ما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وعلا وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضى الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية

والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم

وهم بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا ...

[illegible]

الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين

قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم ...

[illegible]

وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى
من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من
اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين

الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة وما بالغ
عامر بالشام ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا
بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه ويختلف الكلمة وارصادا واعدادا
لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء
او سمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر
فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة
فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد
وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على
الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق
والسارقة فان قلت ثم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان اردنا
ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد
اسس على التقوى قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء
والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله بالمدينة
وعن ابي سعيد الخدري سألت رسول الله عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو
مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار رضي الله عنهم اجمعين جلوس فقال امؤمنون انتم
فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال
اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار
ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار
الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر
من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة
وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم
يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه
وقرئ اسس بنيانه واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح والكسر
جمع اس وآساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا واس بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق
الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل و
النفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما
ينافي التقوى فان قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به
في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان
[illegible]

المبطل

مطلب مسجد الضرار

بيانه المهاجرون

وضعه موضع الضلال كانه بني على الفسق

الجرف فعل بمعنى مفعول وهو ما جرفه الوادي

لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن

المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف
الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم
والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل
انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره وقرئ
جرف بسكون الراء فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف
للالحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نونه الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من
مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف
اصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ان يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين
أليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا
فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره وصدقه
وامره بالصلوة بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم
ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق
ومقتا للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم
ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون
عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال
الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء
وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان تقطع انت قلوبهم
بقتلهم وقرأ الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على
الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم مثل الله
اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيل الله بالشرى وروي تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه
فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة
قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط
لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا
نستقيل ومر برسول الله اعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج
الى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ فيقتلون
ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا مصدر مؤكد اخبر بان هذا الوعد الذي وعده
للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان
اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح
قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين
ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين
التائبين

ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من
بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم
وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت

وجوز الزجاج ان يكون مبتدأ خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى
وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر
على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرأوا من النفاق والعابدون الذين عبدوا الله
وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم
وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه فقيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي
يدا فقل كلمة تجب لي بها شفاعتي فأبى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل اي ابويه احدث
به عهدا فقيل امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فأذن لي
واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي ونزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة
وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد عم
يستغفر لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك
قراءة طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اي وعدها
ابراهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها اباه فان قلت كيف خفي على ابراهيم ان الاستغفار
للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار
للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن
قيل لرسول الله ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر
لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابراهيم فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ
منه قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من أوه كلأل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه
ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك يعني ما امر الله باتقائه
واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم
ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان
فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة
بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض
محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة
فغير موقوف على التوقيف تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واستغفر لذنبك وهو بعث
للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة
لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح
وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة
مستعملة في الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم غداة طفت علماء بكر بن وائل عشية قارعنا جذام
يعني الزمان
وحميرا

وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم
ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من
الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه

وحميرا [illegible] والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير
واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم
التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها في شدة زمان
من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع
الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة
عبد الله رضي الله عنه بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم تكرير
للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية
ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا
الغفاري عكرمة بن خالد
الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرأ الاعمش وعلى
الثلاثة المخلفين ما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون
قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة
والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول
والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم
ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله عم منهم من
بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن رحمه الله بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا
حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا
خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل
ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال
الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه
على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال رسول الله عم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس
هو ذاك فقال عم رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت
له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله عم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال عم كن ابا خيثمة فكان ففرح
به رسول الله عم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله سلمت عليه
فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في
عطفيه فقال عم معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد
من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا
بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما
رحبت
الجبل بالمدينة

الذي لا عباء عنده ولا خير فيه وايضا هو الفارد الضعيف من الناس يقال هو خالفة

ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح
إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون

وضاقت عليهم أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت إلى رسول الله عم فإذا هو جالس في المسجد وحوله
المسلمون فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال
رسول الله وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي
بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن
مالك وصاحبيه مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا أو الذين صدقوا
في أيمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة أي كونوا مثلهم
في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضي الله عنه الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أي كونوا مع المهاجرين والأنصار ووافقوهم وانتظموا
في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب
في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤوا إن شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا
بأنفسهم عن نفسه أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط وأن
يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه فإذا تعرضت مع كرامتها
وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يبقوا لها
دونها ويكون أخف شيء عليهم وأهونه فضلا أن يربأوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح
بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لأمرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية ذلك إشارة إلى
ما دل عليه قوله ما كان لهم أن يتخلفوا من وجوب متابعته كأنه قيل ذلك الوجوب بسبب أنهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا
تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم ولا
يتصرفون في أرضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم شيئا بقتل أو أسر أو غنيمة
أو هزيمة أو غير ذلك إلا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة
ويجوز أن يراد بالوطء الإيقاع والإبادة لا الوطء بالأقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ
إما مصدر كالمورد وإما مكان فإن كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل أيضا يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا
وأن يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه إذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل
على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد
أصحاب أبي حنيفة رحمه الله على أن المدد اللاحق بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لأن وطء ديارهم
مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد أسهم النبي عم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وأمد أبو بكر رضي الله عنه المهاجرين
أبي أمية وزياد بن أبي لبيد بعكرمة بن أبي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعدما فتحوا فأسهم لهم وعند الشافعي
رحمه الله لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماء وظماء ولا ينفقون نفقة
صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما أنفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا أي
أرضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الأصل فاعل من ودى
إذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعماله بمعنى الأرض يقولون لا تصل في وادي غيرك إلا كتب لهم ذلك

من الإنفاق

وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون يا أيها الذين آمنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا
فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا
يتوبون ولا هم يذكرون

من الإنفاق وقطع الوادي ويجوز أن يرجع الضمير فيه إلى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم لأجل
الجزاء اللام لتأكيد النفي ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤد إلى
مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن
مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة فيه و
يتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه إنذار قومهم
وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الأغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر
والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر
بينهم وانقلاب حماليق أحدهم إذا لمح ببصره مدرسة لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على أن يكون موطأ العقب
دون الناس كلهم فما أبعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا لعلهم يحذرون إرادة أن يحذروا الله
فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو أن رسول الله عم كان إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات
الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فأمروا أن ينفر من
كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدال
بالحجة أعظم أثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا
قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير
للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن
الأقرب فالأقرب أوجب ونظيره وأنذر عشيرتك الأقربين وقد حارب رسول الله عم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم
غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لأنهم كانوا يسكنون الشام والشام أقرب إلى
المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر إليهم أهل ناحية
أخرى وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن قتال الديلم فقال عليكم بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة
كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراءة والصبر على
القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والأسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله مع المتقين ينصر من اتقاه
فلم يتكلوا على عددهم فمنهم من يقول فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا إنكارا واستهزاء
بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وأيكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن
عمير أيكم بالنصب على إضمار فعل يفسره زادته تقديره أيكم زادت زادته هذه إيمانا فزادتهم إيمانا لأنها أزيد لليقين
والثبات وأثلج للصدر أو فزادتهم عملا فإن زيادة العمل زيادة في الإيمان لأن الإيمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم
رجسا إلى رجسهم كفرا مضموما إلى كفرهم لأنهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم و
استحكم وتضاعف عقابهم وقرئ أولا يرون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء
الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في أمرهم أو يبتلون بالجهاد
مع رسول الله ويعاينون أمره وما ينزل الله عليه من نصرته وتأييده أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون

ليتفقهوا في الدين ح

التحاسد

[illegible]

قراءة أبي عبد الرحمن السلمي

لغة أهل الحجاز

قراءة عاصم رواية المفضل

443

وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أنذر الناس

المعهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم وقيل معناه وإذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من أنفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم أي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم وقرئ من أنفسكم أي من أشرفكم وأفضلكم وقيل هي قراءة رسول الله عم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهم وقيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد من غير رسول الله في قوله رؤوف رحيم فإن تولوا فإن أعرضوا عن الإيمان بك فقل حسبي الله فإنه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا إله إلا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا أرجو ولا أخاف إلا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم أو الجسم الأعظم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي الله عنه العرش لا يقدر أحد قدره وعن أبي بن كعب رضي الله عنه آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن إلا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

سورة يونس

مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك آيات الكتاب إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها أو وصف بصفة محدثه قال الأعشى وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها الهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه وأن أوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه عجب فجعله اسما وهو نكرة وأن أوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والأجود أن تكون كان تامة وأن أوحينا بدلا من عجب فإن تلك غاية معنى اللام في قوله أكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك أكان عند الناس عجبا إلا أن معنى قوله انهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وإنكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وأن يذكر لهم البعث وينذر الناس ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وإرسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضا لأن الله إنما يختار من استحق الاختيار لجمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الأسباب في شيء وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا إنما العجب

العجب

444

وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لسحر مبين إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون

العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء أن أنذر الناس أن هي المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وأصله أنه أنذر الناس على معنى أن الشأن قولنا أنذر الناس وأن لهم الباء معه محذوفة قدم صدق عند ربهم أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فإن قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير وإضافته إلى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق إن هذا أي هذا الكتاب وما جاء به محمد لسحر ومن قرأ لساحر فهذا إشارة إلى رسول الله عم وفيه دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة أبي رضي الله عنه ما هذا إلا سحر يدبر الأمر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا والأمر أمر الخلق كله وأمر ملكوت السماوات والأرض والعرش فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السماوات مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع إلا من بعد إذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ذلكم إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك وإنسان فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع أفلا تذكرون فأدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه إليه مرجعكم جميعا أي لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله إليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله إنه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم وقرئ أنه يبدأ الخلق بمعنى لأنه أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله أي وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم إعادته والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أي حق حقا بدء الخلق كقوله أحقا عباد الله أن لست جائيا ولا ذاهبا إلا علي رقيب وقرئ حق أنه يبدأ الخلق كقولك حق أن زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لأن الشرك ظلم قال الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام أنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضياء أقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل أو قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والحساب وحساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي ذلك إشارة إلى المذكور إلا ما خلقه إلا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء خص المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى النظر إن الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء أو لا يخافون

ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما

واطمانوا بها

سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمانوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقرن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كأنه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى انه لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام او تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول او تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشأن كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وينصرها قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها ان كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود

ومنهم

ما كانوا يعملون ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ~~ثم بعثنا من بعده~~

~~رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين~~

ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم

ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال وكأن ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تأكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله عم وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها لننظر كيف تعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه غائظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الآلهة واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يأمرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس واكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عنده وانه قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني

ولا ادريكم به فقد لبثت فيكم عمرا افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى
عما يشركون

ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم
يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا
فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الاصول والفروع واخبار
عما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله
ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به
ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطأته وارضأته في معنى
اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس رضي الله عنه ولا انذرتكم به ورواه ولا ادراتكم به بالهمز وفيه وجهان
احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك ان الالف والهمزة من واد واحد ولا ترى ان الالف
اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته ودرأته اذا جعلته دارئا والمعنى
ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولادراكم به بلام الابتداء لاثبات
الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولا اعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده
فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت
فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني
باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن
غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو
شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد
لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون
مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل
واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت
لي اللات والعزى أتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا
لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا
ليس له مخبر عنه فان قلت كيف انبأوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة
الاصنام واعلام بان الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما
يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم
يوجد فيهما فهو منفي معدوم يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين
يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان
يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من
الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما

اختلفوا

وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه
فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرا
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون وهو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها

اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك
دار ثواب وعقاب وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا
لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية
باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا
نزول وكانه لم تنزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم
في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لاحد به
يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني
معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة
حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه
واذا الاولى للشرط والاخرى جوابها وهي للمفاجأة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية
الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة
المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة كانه قال واذا رحمنا
هم من بعد ضراء فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء
ولم يلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم
قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا
مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم
سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم
بها فتصبح طائفة منهم لها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا قرأ زيد بن ثابت ينشركم
ومثله قوله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون فان قلت كيف جعل الكون
في الفلك غاية للتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية
للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى
اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن
للهلاك والدعاء بالانجاء فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها فان قلت فدعوا
قلت بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت
ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم
ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه قراءة ام الدرداء

بيان
يبتلغوا

وهي قراءة جعفر وابن عامر

ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما
كنتم تعملون

في الفلك بأيّ السبب قلت قيل هما زيدتان كما في الخارج والآخرة ويجوز ان يراد
به اللجّ واما الفلك الذي لا يجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالأُسْد في
فُعل اخي فَعَل وفي قراءة ام الدرداء للفلكي ايضا لان الفلك يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي
تلقتها وقيل الضمير للفلك من مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة العدو بالحي
مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا
على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول يبغون في الارض يفسدون فيها ويعبثون مترامين
في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت فما معنى قوله بغير
الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم
واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلعم ببني قريظة قرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب
فان قلت ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدأ الذي
هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم
جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت كان على انفسكم
انفسكم خبرا غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع
المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة
الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلعم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن
ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا
البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن
ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين
البيتين في اخيه • يا صاحب البغي ان البغي مصرعة • فاربع فخير فعال المرء اعدله • فلو
بغى جبل يوما على جبل • لاندك منه اعاليه واسفله •

وعن محمد بن كعب

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم هذا من التشبيه
المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما
بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا
اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب
الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرأ
عبد الله رضي الله عنه وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت
بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو
ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها
بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه
المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي
هو الزرع وعن مروان انه قرأ على المنبر كان لم تتغن بالامس من قول الاعشى طويل الثواء طويل التغني والامس
مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آنفا دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام
السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما
ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيته تابعة لحكمته ومعناه يدعو
العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة
وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن
ابن عباس رضي الله عنه الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبع مائة ضعف وعن مجاهد
الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة والزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان
امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله وجاءت بحديث
مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا
هو احب اليهم منه لا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان او كسوف بال
والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الآية الى قوله والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل
وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها
على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول
عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة
على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء من الله من عاصم
اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه او يجعل ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون
للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ونعضده قراءة ابي

كأنما يغشى وجوههم قطعٌ من الليل مظلم فإن قلت إذا جعلت مظلماً حالاً من الليل فما العامل فيه
قلت لا يخلو إما أن يكون أغشيت من قِبَل أن من الليل صفة لقوله قطعاً فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه
إلى الصفة وإما أن يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وأنتم أكّد
به الضمير في مكانكم لسدّه مسدّ قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل
ما في مكانكم من معنى الفعل فزيّلنا بينهم ففرّقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا أو فباعدنا
بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرّؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون
من دون الله قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خدّه وصعّره وكالمته وكلّمته ما كنتم
إيانا تعبدون إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أنداداً فأطعتموهم إن كنا هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون
الله من أولي العقل وقيل الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلّقوا
بها أطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو
كل نفس تختبر وتذوق ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود
كما يختبر الرجل الشيء ويتعرّفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون
ونصب كل أي نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسناً فهي سعيدة
وإن كانت سيئاً فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ويجوز أن يراد
نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ تتلو أي تتبع ما أسلفت
لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدّمت من خير أو شر مولاهم
الحق ربهم الصادق ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم
العدل الذي لا يظلم أحداً وقرئ الحقَّ بالنصب على تأكيد قوله ردوا إلى الله كقولك هذا عبد الله الحقَّ لا الباطل
أو على المدح كقولك الحمد لله أهلَ الحمد وضلّ عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدّعون أنهم شركاء الله
أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة من السماء والأرض أي يرزقكم منهما جميعاً لم يقتصر برزقكم
على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسّع رحمته أمّن يملك السمع والأبصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما
على الحدّ الذي سوّيا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما ويحصّنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان
يؤذيهما أدنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبّر الأمر ومن يلي تدبير العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص أفلا
تتقون أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده من الضلال فذلكم إشارة إلى من هذه قدرته
وأفعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتاً لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق إلا الضلال يعني أن الحق والضلال
لا واسطة بينهما فمن تخطّى الحق وقع في الضلال فأنّى تصرفون عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك وعن السعادة
إلى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقّت كلمة ربك أي كما حقّ وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حقّ أنهم مصروفون
عن الحق فكذلك حقّت كلمة ربك على الذين فسقوا أي تمرّدوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه وأنهم لا يؤمنون

بدل من الكلمة

بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل
الخذلان وأن إيمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العِدَة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لأنهم لا يؤمنون
فإن قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالإعادة قلت
قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن دفعه دافع كان مكابراً رادّاً للظاهر البيّن الذي
لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في إنكارهم لها منكرون أمراً مسلّماً معترفاً بصحته عند العقلاء وقال
لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأمره بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنه لا يدعهم لجاجهم و
مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلّم عنهم يقال هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه
بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله أمّن لا يهدّي وقرئ لا يَهَدّي بفتح الهاء وكسرها مع
تشديد الدال والأصل لا يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت
الياء لاتباع ما بعدها وقرئ إلا أن يُهدى من هداه وهدّاه للمبالغة ومنه قولهم تهدّى ومعناه أن الله
وحده هو الذي يهدي للحق بما ركّب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها
لهم وبما لطف بهم ووفّقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم أنداداً
لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير لا يهتدي إلى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدي إلى الحق
هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذي لا يهدّي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه
الله وقيل معناه أمّن لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يُهدى إلا أن يُنقل أو لا يهتدي
ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه فما لكم كيف تحكمون
بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد لله وما يتّبع أكثرهم في إقرارهم بالله إلا ظناً لأنه قول غير مستند
إلى برهان عندهم إن الظن في معرفة الله لا يغني من الحق شيئاً وهو العلم شيئاً وقيل وما يتبع أكثرهم في
قولهم للأصنام إنها آلهة وإنها شفعاء عند الله إلا الظن والمراد بالأكثر الجميع إن الله عليم وعيد
على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن افتراءً
من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لأنه معجز دونها
فهو عيارٌ عليها وشاهد لصحتها كقوله هو الحق مصدقاً لما بين يديه وقرئ ولكن تصديقُ الذي بين
يديه وتفصيلُ الكتاب على ولكن هو تصديقٌ وتفصيلٌ ومعنى وما كان أن يفترى وما صح وما استقام
وكان محالاً أن يكون مثله في علوّ أمره وإعجازه مفترىً وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من
الأحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فإن قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين
قلت هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب
كائناً من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً منه لا ريب في ذلك فيكون
من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضاً كما تقول زيد لا شك فيه كريم أم
يقولون افتراه بل أيقولون اختلقه على أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم أو إنكار لقولهم واستبعاد

والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي
في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله
على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من استطعتم من دون الله من خلقه للاستعانة على الاتيان
بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا وحده
ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجأوه
في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه
وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية
اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة
انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه
لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم
تأويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر
تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه
واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به
بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها
من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا او قيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز
ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم
أهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار با
لغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره با
لمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم
من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد
اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك معناه
ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يصدقون ثم قال افانت
تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع
في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وكذلك اتقدر على هداية
العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنى واما
العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول
لهم ولا بصائر وقوله افانت وافانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل
بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصير راجحي العقل الا هو

وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب
ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم
القيمة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم
باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول
ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور
ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت
اما الاولى فحال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق
بالظرف واما ان يكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد
وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله
تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة
عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه
فنحن نريكه في الآخرة فان قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت
الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون
وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم
القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول
يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه
ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون
كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى
به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم
متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب واستبعاد له لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر
ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف
املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد
محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين اذا
جاء آجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه اريد
ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت
والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت انتم مشتغلون
بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى
ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال

ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اى شئ هول شديد تستعجلون منه ويجب ان من للبيان فى هذا
الوجه وقيل الضمير فى منه لله تعالى فان قلت بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق
بارأيتم لان المعنى اخبرونى ماذا تستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على
الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت اريدت الدلالة
على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه و
يهلك فزعا من مجيئه وان ابطأ فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا تستعجل منه المجرمون
جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بارأيتم وان يكون اثم اذا ما وقع
آمنتم به جواب الشرط وماذا تستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد
وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى قوله افأمن
اهل القرى اوأمن اهل القرى الآن على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن
آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعنى وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار
وقرئ الان بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل
المضمر قبل الآن ويستنبؤنك ويستخبرونك فيقولون احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء
وقرأ الاعمش آلحق هو وهو ادخل فى الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام
للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذى سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود واى بمعنى
نعم فى القسم خاصة وسمعتهم يقولون فى التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به
وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت صفة لنفس على ولو ان لكل نفس
ظالمة ما فى الارض اى ما فى الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به
لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب
لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم
وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة فى القلوب كما ترى
المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر
رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها
اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشئ لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص
الندامة وقيل واسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشئ واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد
وقضى بينهم اى بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله
وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة
لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به
المغترون قد جاءتكم موعظة اى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد

شفاء اى دواء

هو شفاء ودواء لما فى صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن آمن به منكم اصل
الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة
لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله
وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها
فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهى قراءة رسول الله عم فيما روى وعنه عليه السلام
لتأخذوا مصافكم قالها فى بعض الغزوات وفى قراءة ابى رضى الله عنه فافرحوا هو راجع الى ذلك
وقرئ مما يجمعون بالياء والتاء وعن ابى بن كعب ان رسول الله عم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله
والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه ارأيتم اخبرونى وما انزل الله ما فى موضع النصب
بانزل او بارأيتم فى معنى اخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا اى انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه
فقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه انعام وحرث حجر ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا آلله اذن لكم متعلق بارأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبرونى آلله اذن لكم فى
التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون الهمزة
للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن
التجوز فيما يسأل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد فى شئ جائز او غير جائز
الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله يوم القيمة منصوب بالظن
وهو ظن واقع فيه يعنى اى شئ ظن المفترين فى ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة
وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه اى ظن ظنوا يوم القيمة
وجئ به على لفظ الماضى لانه كائن فكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم
بالوحى وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون فى شان
ما نافية والخطاب لرسول الله عم والشان الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده
والضمير فى منه للشان لان تلاوة القرآن شان من شان رسول الله بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما
تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون انتم
جميعا من عمل اى عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصى عليكم اذ تفيضون فيه من افاض فى الامر
اذا اندفع فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا
اكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفى الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفى العطف
على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا فى موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه
شئ الا فى كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله فى سورة سبأ عالم الغيب لا
يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض قلت حق السماء ان يقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته

على شؤن اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لانه ذكر ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين امنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان رسول الله ع م سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي ع م يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الاية الذين امنوا نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه ع م ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن ومن عطاهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وساير ما يتكلمون به في شانك ان العزة استيناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرا ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراءة به وهو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا في ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبعون شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون

وشركاء

وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرا علي بن ابي طالب تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه بما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي ع م بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين كبر على المشركين يقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى ع م انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرا الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي رضي الله عنه فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله وادعوا شركاءكم ثم كيدوني فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا

بنه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم
عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة
من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم
الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي
اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي
كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء يعني ثم انتهوا الي بشركم
وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري
ونصيحتي فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر
على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله
لا لغرض من اعراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا
ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد ان يجعل الحجة
لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي
يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له
في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف
يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله
عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا و
شعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال
لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية
مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حاليهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك
نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم
لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا
بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها
ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا
على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون
قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها
وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا
قلت هذا اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له و
تعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول
الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون

وهو ما دل

ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا
وان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح
ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل
اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء
اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن
الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء بنفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان
يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا او تكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا
في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يكون لكما الكبرياء بالياء ما جئتم
به السحر ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه
سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به اهو السحر
وقرأ عبد الله رضي الله عنه ما جئتم به سحر وقرأ ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لما اتيتم به ان الله
سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا
يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته
بامره ومشيئته فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا
اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم
مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة
خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملائهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون
كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون
وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم
ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين
في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا
فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله
اي يجعلوها سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام
ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين
لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء
في ارضه لمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا
فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون
لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوءا المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى
اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم تلك
قبلة

اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر
مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم
كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وحد
آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما
يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك
واجب على الجمهور ثم خص موسى عم بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها الزينة ما يتزين به
من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس رض كانت لهم من فسطاط مصر الى الحبشة
جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك
قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا
وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا
عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا
وعن النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي
والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم
وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى
الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون
الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قيل ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال
وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقول
الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يتقبل حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا انه يريد
خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا
يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل
على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا
وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرا
الفضل الرقاشي آلانك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم وقرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو و
هرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن
في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه
الف عام الا قليلا ولا تتبعان قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون اي لا تتبعان طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة
ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عم اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون
الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع قرا الحسن وجوزنا

من اجاز

من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه
لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق فاتبعهم فلحقهم يقال
تبعته حتى اتبعته وقرا الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر
على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول
ثم لا يقبل منه حيث اخطا وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في
حال الاختيار وعند بقاء التكليف الآن اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق و
ايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه
والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم
ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله عليه فمن زيادات الباهتين لله
وملائكته وفيه جهالتان احديهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه
والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضى بالكفر كفر من المفسدين
من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون وروي ان جبريل عم اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته فكفر نعمته
وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج
على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه ننجيك بالتشديد
والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك
بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب من البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك
في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا
لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب اعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرا ابو حنيفة رح بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه
يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن وراءك من
الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما
مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عم بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى
عاينوه وكان مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من
القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل
محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره
او لتكون عبرة يعتبر بها الامم بعده فلا يجترؤا على نحو ما اجترا عليه اذا سمعوا احواله وهوانه
على الله وقرئ لمن خلفك بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل
وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان

وقرا ابو الدرداء رض لمن خلفك

ان مثلك لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمّده لا اماطة
الشبهة في امرك بوّأنا بني اسرائيل مبوّأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه
شعبا الا من بعد ما قرأوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا
ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته
ونعته وانه هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو ام لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كنت في شك مما انزلنا اليك
مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك
لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا
وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسئل الذين يقرءون الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل
وهم قراءة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة و
الانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ
في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها و
اماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء اهل
يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا
من غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله بالشك
فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي
لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت
عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا
تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة و
لذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس رضي الله عنه لا والله ما شك
طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا
اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن
وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد
ابراهيم صلى الله عليه وسلم بمعاينة احياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرءون الكتب حقت عليهم كلمت ربك ثبت عليهم
قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم
لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها
تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ
بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأه ابي وعبد الله رضي الله عنه
فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس

لما آمنوا

لما آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه
على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض
الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل
قال لهم يونس عليه السلام ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت
السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح
وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها
فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم
عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع
عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم
قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا
اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء
ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم جميعا على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان
مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم
الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان
في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده
الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله
وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم انها
بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب
لانه سببه وقرئ الرجز بالزاء وقرئ ونجعل بالنون ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني
الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون
وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب
لوقائعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل
نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك
الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد
يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه واعرضوه على
عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها
من دون الله من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان
يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب
في العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم

فلا تحدثوا انفسكم بالجد ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله
ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون
فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان
يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون
فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان يكون
للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصول يابى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى
لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ ان
توصل ان بالامر والنهي وشبه بذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه
في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا
ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه فان قلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسوال مقدر كان سائلا سال عن
تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي
عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك
بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان اراد ك بخير لم
يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو
ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر
المس في احدهما والارادة في الثاني قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد
من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة
في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء
من عباده والمراد بالمشية مشية المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى
واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن اثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع
والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واصبر على دعوتهم
واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله عم
الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الاية بالصبر على
ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم تصبروا وروي ان ابا
قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم
تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال عم
يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فماذا قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن

نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان الا ابلغ معاوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي بانا صابرون ومنظروكم الى يوم التغابن والخصام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة
من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من
قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف
عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفوائد من دلائل التوحيد
والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل
جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اي
احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما
معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن
الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر
مبتدا محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم عليم خبير صفة ثانية ويجوز ان
يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه
طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور الا
تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه
قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار
ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه اغراء منه على اختصاص
الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم
منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته
كقولك رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان
آمنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا
اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا
يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل
مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله و
يعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله
في الثواب والدرجات يتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا عذاب
يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين

عذاب اليوم الكبير بان يرجعهم الحسين هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فان تولوا من ولي الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقوله نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس رضي الله عنه لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثنى الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة

وهي ان تجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين يعنون القول ببطلانه ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له واشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنه قتل جبرائيل المستهزئين الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا يستعجلون به وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤس شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب

في نعمة الله نسائه ذهب السيئات عني أي المصائب التي ساءتني إنه لفرح أشر بطر فخور على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر إلا الذين آمنوا فإن عادتهم إن نالتهم رحمة أن يشكروا وإن زالت عنهم نعمة أن يصبروا كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بأن تتلوه عليهم أن يقولوا مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أي هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال إنما أنت نذير أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فإن قلت لم عدل عن ضيق إلى ضائق قلت ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عادين في بعض القراءات وقول السمهري بمنزلة أما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها أم منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى إليك تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى أمثاله ذهابا إلى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افترى القرآن واختلقه من عند نفسه وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وأرخى معهم العنان وقال هبوا أني اختلقته من عند نفسي ولم يوح إلي وأن الأمر كما قلتم فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام فإن قلت

كيف يكون ما يأتون

فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ٢٣٦

فإن قلت كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وإن كان مفترى فإن قلت ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل فأتوا قلت معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لأن رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فإن لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله فإن شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب للمشركين والضمير في فإن لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه فاعلموا أنما أنزل بعلم الله أي أنزل ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه واعلموا عند ذلك أن لا إله إلا الله وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم فهل أنتم مسلمون مبايعون بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه متين مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل أنتم مسلمون فهل أنتم مخلصون نوف إليهم نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن أنس رضي الله عنه هم اليهود والنصارى إن أعطوا سائلا أو وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله فأسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على أن الفعل لله عز وجل وتوف إليهم أعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف وإثبات الياء لأن الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا وباطل ما كانوا يعملون أي كان عملهم في نفسه باطلا لأنه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان أن تكون ما إبهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا أي باطل كانوا يعملون وأن تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة معناه أمن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد أن بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه أي على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه أي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على أن القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله من قبل القرآن التوراة إماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل إليهم أولئك يعني من كان على

بينة

حبط الرياء والنفاق

صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما

ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون
الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك
الا الذين هم

يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامّهم من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده
فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم
ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين
فواخزياه وا فضيحتاه. والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب جمع صاحب واشراف ويبغونها عوجا اي
يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد
عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم منه ويمنعونهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم
الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعّف ما كانوا يستطيعون السمع
اراد انهم لفرط تصامّهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب
اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع
ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء
من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما
كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض
بوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم
منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة
وشفاعتها لا جرم فسر في مكان آخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم واطمأنوا
اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت
قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت وقيل التاء فيه بدل من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى
والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق بشيئين اثنين
كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين
البصر والسمع على ان يكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب
هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها اني لكم نذير اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام
وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد
وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او
تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت
فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده
الملأ الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالامر لانهم ملؤوا بكفاية الامور و
اضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤون اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤون القلوب هيبة و
المجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان

الله لو

قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان اجري
الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا

وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازٍ لهم في المنزلة
فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل
جمع ارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ بادئ الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف
اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم
لك انما هو شيء عنّ لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا
جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام
يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما
يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على ان الانبياء صلوات الله عليهم
بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم
من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل
نظنكم كاذبين فيما تدعونه ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي
وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة
فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدر
فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت
وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة
جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم
في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله
وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني
انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء
بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم
ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي
سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها
الا في ضرورة الشعر والضمير في قوله لا اسألكم عليه راجع الى قوله اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله
وقرئ وما انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قولهم انهم ملاقوا ربهم قلت معناه
انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر
لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر
وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون و
نحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه
لا محالة تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء
ربكم

بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الرأي ح

اي الميم الاولى من انلزمكموها لان الاسكان حرف الاعراب

فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان
الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك
إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ويصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون فكلما مر عليه ملأ من قومه
سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

أو تجهلون أنهم خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه إن طردتهم وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا
به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء أعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا
أقول أني أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم
وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي
وضمائر قلوبهم ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين
لفقرهم أن الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم إني إذن
لمن الظالمين إن قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه وازدرى به قصر به يقال
ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فأكثرت معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد
فلان فأكثر وأطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل إنما يأتيكم به الله أي ليس الإتيان بالعذاب إلي إنما
هو إلى من كفرتم به وعصيتموه إن شاء يعني إذا اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فأكثرت
جدلنا فإن قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله إن كان الله يريد أن يغويكم جزاؤه ما دل عليه
قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك إن أحسنت
إلي أحسنت إليك إن أمكنني فإن قلت فما معنى قوله إن كان الله يريد أن يغويكم قلت إذا عرف الله من الكافر
الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك إغواء وإضلالا كما أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوي فلطف به
سمي إرشادا وهداية وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم فهلك ومعناه أنكم إذا
كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحي فعلي
إجرامي وأجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم أسرارهم وإسرارهم ونحو جرم وأجرام قفل وأقفال
ويعضده أن فسره الأولون بآثامي والمعنى إن صح وثبت أني افتريته فعلي عقوبة إجرامي أي افترائي
وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتتألبوا علي وأنا بريء يعني ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى مما تجرمون
من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم لن يؤمن إقناط من إيمانهم وأنه كالمحال الذي
لا تعلق به للتوقع إلا من قد آمن إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها
فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال ما يقسم الله أقبل غير مبتئس منه وأقعد كريما ناعم البال
والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم بأعيننا في موضع
الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه أن يزيغ في صنعته
عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه ووحينا وأنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن
عباس رضي الله عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين
ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك إنهم مغرقون إنهم محكوم عليهم بالإغراق
قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه كقوله يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك
وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها

في برية

من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من
سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم

في برية بهماء في أبعد موضع من الماء في وقت عزة الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح
صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فإنا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة أي نسخر منكم سخرية
مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا
نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا أو إن
تستجهلونا فإنا نستجهلكم في استجهالكم لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر
الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان
طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج
وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام
وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله
معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل إن الحواريين
قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب
فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب
الكثيب بعصاه فقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام
أهكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن
سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة
للدواب والوحش وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال له عد بإذن الله كما كنت فعاد ترابا من يأتيه في محل
النصب بتعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب
الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة
حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فإن قلت وقعت غاية لماذا قلت
لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد فإن قلت فإذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع
بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه
فإن قلت فما جواب كلما قلت أحد أمرين إما أن يجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل
أو يجعل سخروا بدلا من مر أو صفة لملأ وقال جوابا وأهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل
أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك
إلا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وإرادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك أراد ابنه وامرأته إلا قليل
روي عن النبي عليه السلام أنه قال كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن إسحاق كانوا عشرة خمسة
رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع
ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز أن يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل
بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها

ويجوز النصب أيضا

وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا
عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين

امالات المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم
خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل
او بما فيه من ارادة القول والكلام ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة مقتضبة من مبتدا وخبر اي بسم الله
اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها
بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرا مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل
صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عم امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها و
مرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان يكون غير مقتضبة بان يكون في موضع الحال كقوله وجاؤوا بام شكر
علينا فلا يكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل
اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته
لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله
كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه
كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان
الماء قد التقى وطبق بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها
في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه سآوي الى جبل يعصمني
من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن علي وعروة بن
الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال
والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان
ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما
ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم
السلام وقرا السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه في معزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه
وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دينه اي عن دين
ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء
الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة الا من رحم الا الراحم
وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا
رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من
جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة
الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله
فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول نداء الارض والسماء

بما ينادى

وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال
رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني
اعظك ان تكون من الجاهلين

بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو
قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار
العظيم وان السماوات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء
مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم
له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد
عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع
المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه
واستوت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد
من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على
الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد
لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك
الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من
المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي
وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور
وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم
على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي
ان نوحا عم صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه اي دعاه وهو قوله رب مع
ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء
قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء
ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو
الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام
واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب
اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما
قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان
قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت
قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته
عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عم اي ان نداءك هذا عمل غير
صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى
معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه

قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون

الصلاح لم تنفعه أبوته كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ
عمل غير صالح أي عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني
فلا تلتمس مني ملتمسا أو التماسا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على أن
النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه فإن قلت لم سمي نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال
وإن لم يصرح به لأنه إذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف
كنهه جهلا وغباوة ووعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين فإن قلت قد وعده أن ينجي أهله
وما كان عنده أن ابنه ليس منهم دينا فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الأمر لأن العدة قد سبقت له وقد عرف
الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب إماطة الشبهة وطلب إماطة الشبهة واجب فلم زجر
وسمي سؤاله جهلا قلت إن الله عز وجل قدم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول
منهم فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وأن كلهم ليسوا
بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم
فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه أن أسألك من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم
لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك وإلا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي
أكن من الخاسرين أعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما
عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد
وعلى أمم ممن معك يحتمل أن تكون من للبيان فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات
أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم وأن تكون لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الأمم
إلى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وأمم بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك
أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين
ينشأون ممن معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء
والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن
ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج
منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك إشارة
إلى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك
مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي
أو من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما
قيض لنوح ولقومه إن العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه أن قومك الذين
أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما يقول لم
يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده أخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا وهودا عطف بيان

وغيره

يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون

وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ إن أنتم إلا مفترون تفترون على الله
الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة والنصيحة
لا يمحضها ولا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع أفلا تعقلون إذ تردون
نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا به
ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم
إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا
عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة
مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس
عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه
بعض حجابه فقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى
ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال
ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال
وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم ما جئتنا ببينة
كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن
قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من
أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما تدعوهم إليه إقناطا له من الإجابة اعتراك مفعول نقول وإلا لغو والمعنى ما
نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا أي خبلك ومسك بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك لها
مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس
بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد أحلام الكفر وأوتاد الشرك وإنما
العجب من المتظاهرين بالإسلام يسمعهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب إلى ربه مخبلا فلم
نأخذهم معه على غشه مما كانوا عليه في أيام جاهليته من الموادة وما ذاك إلا لعرق من الإلحاد الآن ينبض
وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ
الأكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون إلى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الأخير دال على جهل مفرط
وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب
من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا إلى إراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة
وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا
إلي ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة
الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على
أني لا أفعل فإن قلت هلا قيل إني أشهد الله وأشهدكم قلت لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك

نتائج الاستغفار

بيان ... آلهتهم

ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب
غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم
الا بعدا لعاد قوم هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه
ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب

انه اذا صح ثباتها في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة
المبالاة به فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى
بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دونه اي
انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم اعجلوا ما تفعلون
من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني
آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي
ثم ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم ووصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون
كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه
على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم
محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستأنف
يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه
لا يجوز عليه المضار وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه ويستخلف بالجزم وكذلك
ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم
على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او كان ربنا على
الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثلكم والذين آمنوا معه قيل كانوا
اربعة آلاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب
غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت تدخل
في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ
منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم
وآثارهم كأنه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات
ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله يريد رسلهم
الا هودا وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم
ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا و
تكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان
قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستأهلين
له الا ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا
البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة
فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم هو انشأكم
من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وامركم

قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي

وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ
ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام

بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار
وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم
عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء ارض في آخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه
الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا تكون له في الارض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء
وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم
فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا
ورث داره من بعده فكأنما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سميع الدعاء مجيب
لمن دعاه وسأله قد كنت فينا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون
مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن
ابن عباس رضي الله عنه فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجوك ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد
آباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين او من
اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة
لان خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي
في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني
بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون آية نصب على الحال
قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو
تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا
وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف
يقال ديار بكر لبلادهم ويقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا
وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به
كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كأنه قيل للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب
او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ
مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت على نجينا
لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من
ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ
يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ الا ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف
للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه
جبرائيل وملكان معه وقيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة
بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم

الى الصواب حالوا

فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة
فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة
الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط

يعني السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والحبش بلغة اهل السراة وكان مال ابراهيم
عليه السلام البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل
حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين نكرهم انكرهم واستنكرهم ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر
ومستنكر وانكر قال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف
من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه
احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف
انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا واوجس اضمروا انما قالوا لا تخف لانهم
رأوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجبا للخوف لانهم كانوا لا
ينزلون الا بعذاب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم
وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان
ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم
انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن
زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود
اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له هذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ
يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا
ناعب الا ببين غرابها يا ويلتا الالف مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتي
بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا بعلي وهو
شيخ او بعلي بدل من المبتدأ وشيخ خبر او يكونان خبرين قيل بشرت ولها تسعون سنة ولابراهيم
مائة وعشرون سنة ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة التي اجراها
الله واما انكر عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات
والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة
وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان
عجب والامر لله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل
اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط
من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير
الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت
خليل الرحمن الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا

بسبب البشرى

ان ابراهيم لحليم اواه منيب يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم
فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد

البشرى بدل الخوف اخذ في المجادلة فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله
يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال
يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى
الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انه قال لهم
انهلكون اهل هذه القرية فقال ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون
قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا
لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة رحمه الله ما قوم لا يكون فيهم
عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة آلاف الف انسان ان ابراهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه
اواه كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب
والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون
التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت له الملائكة اعرض عن هذا
الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه وحكمه الذي لا يصدر الا عن
صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط
وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي
ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله
قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا
يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها يقال يوم
عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا
يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم
استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه قد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش
قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان
تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله عم ابنتيه عتبة بن ابي لهب وابا العاص بن وائل
قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن
اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرأ هن اطهر بالنصب
فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا
او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز
لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان
يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم

واقبل يجادلنا

ما استفهامية

عن الغوري والازهري عصبصب

الصواب ابي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس

قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم

ولا تخزون في ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وفيه ولا تخزون بطرح البنات ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي عليه السلام رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وروي انه اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وجل فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره وقرئ فاسر بالقطع والوصل الا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة من قرا الا امراتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله رضي الله عنه فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك وكل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب بها من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه

ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ

٢٤٣

في اثر بعض متتابعة مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله عليه السلام انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب منه اني اراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا ياخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقد الايمان لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعات فكما يقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان يكون امرا على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا

يعني على شرف السقوط

بيان لثروة

بيان اجتمع

قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد قال يا قوم أرأيتم إن
كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله
وإليه أنيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد

الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلوته وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان
باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك إليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق إلا أن يأمرك به آمر هذيان و
وسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين
والموسوسون من بعض الأقوال والأفعال ومعنى تأمرك أن نترك تأمرك بتكليف أن نترك ما يعبد آباؤنا فحذف
المضاف الذي هو التكليف لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ أصلوتك بالتوحيد وقرأ ابن أبي عبلة أو أن
تفعل في أموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل
من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وأرادوا بقولهم إنك لأنت الحليم الرشيد
نسبته إلى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لـ
سجد لك وقيل معناه إنك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت
به ورزقني منه أي من لدنه رزقاً حسناً وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقاً حسناً حلالاً طيباً من غير
بخس ولا تطفيف فإن قلت أين جواب أرأيتم وما له لم يثبت كما أثبت في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف
وإنما لم يثبت لأن إثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى أخبروني إن كنت على حجة واضحة
ويقين من ربي وكنت نبياً على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والأنبياء
لا يبعثون إلا لذلك يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت
قاصده ويلقاك الرجل صادراً عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه وارداً
وأنا ذاهب عنه صادراً ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم
التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم إن أريد إلا الإصلاح ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري
بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف أي مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكناً منه لا آلو فيه جهداً أو بدل
من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على قولك إلا الإصلاح إصلاح ما
استطعت أو مفعولاً له كقوله ضعيف النكاية أعداءه أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم
وما توفيقي إلا بالله وما كوني موفقاً لإصابة الحق فيما آتي وأذر ووقوعه موافقاً لرضى الله إلا بمعونته وتأييده و
المعنى أنه استوفق ربه في إمضاء الأمر على سننه وطلب منه التأييد والإظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار
وحسم لأطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين تقول جرم ذنباً وكسبه وجرمته
ذنباً وكسبته إياه قال جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم أي لا
يكسبنكم شقاقي إصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنباً إذا جعلته جارماً له أي كاسباً
وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالاً و
أكسبته إياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنباً وأجرمته إياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا يتفاوت بينهما
إلا أن المشهورة أفصح من أكسبته والمراد بالفصاحة أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم
له أكثر استعمالاً وقرأ أبو حيوة ورويت عن نافع مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع

حذف الدراهم قطع قطعة منها

أي مفعول للإصلاح لأنه قال أو مفعول له

الشرب

واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً
ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون
محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب

الشرب منها غير أن نطقه وما قوم لوط منكم ببعيد يعني أنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين
منكم أو لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فإن قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من
حمله على لفظه أو معناه قلت إما أن يراد وما إهلاكهم ببعيد أو وما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد ويجوز
أن يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوها
رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة من الإحسان والإجمال ما نفقه ما نفهم كثيراً
مما تقول لأنهم كانوا لا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أو كانوا
يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ
بحديثه ما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه هذياناً وتخليطاً لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب
الأنبياء وقيل كان ألثغ فينا ضعيفاً لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروهاً
وعن الحسن ضعيفاً مهيناً وقيل ضعيفاً أعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفاً كما يسمى ضريراً وليس بسديد لأن
فينا يأباه ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاماً لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث
جعلوهم رهطاً والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة وإنما قالوا ولولا رهطك احتراماً لهم واعتداداً بهم لأنهم كانوا
على ملتهم لا خوفاً من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما أنت علينا بعزيز أي لا تعز علينا ولا تكرم
حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك
دوننا وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز
بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح
هذا الجواب فإن قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطي أعز عليكم
من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله
ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ
وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى الأمس أمسي
بما تعملون محيط قد أحاط بأعمالكم علماً فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان
يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو تكون مصدراً من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين
على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها إني عامل على حسب
ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله
فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه
قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فإن قلت أي فرق بين إدخال الفاء
ونزعها في سوف تعلمون قلت إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري
بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت
فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب

لقتلناك

عملت أنت

ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملايه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قايم وحصيد

ذا قوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذكر قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجي بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المنابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلها كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يبرح يعني ان جبرائيل صلوات الله عليه صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو فقعا كان لم يغنوا كان لم يقيموا في ديارهم احياء مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقراء السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جاء على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها باياتنا وسلطان مبين وفيه وجهان ان يراد ان هذه الايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الايات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم

الواردة

العاملين

وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد

الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الاخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الاخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتداء من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القايم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستانفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم الهتهم التي فما قدرت ان ترد عنهم باس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذا اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهذا تحذير وكذلك عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم المهالكة بذنوبهم لاية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الاخرة فاذا راى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الاخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم الفاعل والمفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب ماكل محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان يجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان ساير ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا لو طنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم

والمعنى [illegible]

فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ

كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر والاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها
فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل اخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد اخر مدة التاجيل والعد انما هو
للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما
يؤخره بالياء وقرئ يوم يات بغير ياء ونحو قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة
كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء
ربك ويعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى او تأتيهم
الساعة فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله
الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا
لاتيان اليوم وحدد الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها
يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم
وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف لم يذكروا لان ذكرهم معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر
الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه قراءة
العامة بفتح الشين وعن الحسن شُقوا بالضم كما قرئ سُعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ
بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما
ان تراد سموات الاخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم
اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع
كقول العرب ما دام تعار (اسم جبل) وما قام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فان قلت فما معنى الاستثناء
في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من
الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون
بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسأه
لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله
كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله
اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل
عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب
كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول
المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل

بافترائهم

فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا
كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون

بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين
على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال
من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا
الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم
يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه
ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضوان الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع
ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون فلما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه
وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعدما انزل عليك من هذه القصص
في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة بالانتقام منهم
ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت
بين الحالين وقد بلغك ما نزل بابائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما
في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون
منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص
حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه
وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فاختلف فيه امن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة يعني
الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا وان كلا التنوين
عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة
للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان
كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي رضي الله عنه وان كل لما ليوفينهم
على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقرأ عبد الله رضي الله عنه تفسيرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان
بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وان كلا
جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت
بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه
ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وامن معك ولا تطغوا
ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على
رسول الله عم في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما
وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله في النوم
فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم
قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله

بصحبة العقبى قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرا ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضاء باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا هذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمه تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله واخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر

والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من اخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعدما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القران فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولو بقية اولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وعلا انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القران الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القران وان قلت في تحضيضهم على النهي عن

واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة
ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل
ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون
ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون

معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه
على أصل الاستثناء وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه أراد بالذين ظلموا تاركي
النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي وعقدوا هممهم بالشهوات
واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك
وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي وأتبع الذين ظلموا يعني وأتبعوا جزاء ما أترفوا فيه ويجوز أن يكون
المعنى في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء إترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء كأنه قيل إلا قليلا ممن أنجينا منهم
وهلك سائرهم فإن قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت إن كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا
على مضمر لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وإن
كان معناه واتبعوا جزاء الإتراف فالواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فإن
قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على أترفوا أي اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام
أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر أو على اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز أن يكون اعتراضا و
حكما عليهم بأنهم قوم مجرمون كان بمعنى صح واستقام واللام لتأكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال
في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها وأهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وإيذانا بأن إهلاك المصلحين
من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه أنه لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم
فلا يضمون إلى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة يعني لاضطرهم إلى أن يكونوا أهل أمة
واحدة أي ملة واحدة وهي ملة الإسلام كقوله إن هذه أمتكم أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار
وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختار بعضهم
الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا ولذلك قال ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك إلا ناسا هداهم الله ولطف
بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأول وتضمنه يعني
ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب
مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لعلمه بكثرة
من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل وكل نبأ نقص عليك من أنباء الرسل بيان
لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك يعني على الأساليب المختلفة
وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لأن تكاثر الأدلة أثبت
للقلب وأرسخ للعلم وجاءك في هذه الحق أي في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة
وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من أهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها إنا عاملون وانتظروا بنا الدوائر
إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة بأشباهكم ولله غيب السماوات والأرض لا تخفى عليه
خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه أعمالكم وإليه يرجع الأمر كله فلا بد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم
فاعبده وتوكل عليه فإنه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما تعملون وقرئ تعملون بالتاء أي أنت وهم على تغليب المخاطب
عما يعملون بياء

مصلحون بياء

فاتفقوا بياء

عن رسول الله ع

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص
بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين إذ قال يوسف لأبيه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق هودا ومن كذب به وهودا وصالحا
وشعيبا ولوطا وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله ذكر سورة يوسف مكية وهي مائة
وإحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم تلك إشارة
إلى آيات السورة والكتاب المبين السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر
أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا تشتبه
على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي أن علماء اليهود
قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف إنا أنزلناه أنزلنا هذا الكتاب
الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم
تعقلون إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته القصص
على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا إذا طرده ويكون
فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحو النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول
بالمصدر كالخلق والصيد فإن أريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص بما أوحينا إليك هذا القرآن
أي بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لإضافته إليه ويكون المقصوص محذوفا
لأن قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك
أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب
أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها
مقاربا لاقتصاصه في القرآن وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث
وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما
يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه فإن قلت مم اشتقاق القصص قلت
من قص أثره إذا اتبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن إذا
قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وإن كنت إن مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق
بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع إلى قوله ما أوحينا والمعنى وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا
إليك من الغافلين عنه أي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه إذ قال يوسف
بدل من أحسن القصص وهو من بدل الاشتمال لأن الوقت يشتمل على القصص وهو المقصوص فإذا قص وقته
فقد قص أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن
سبب آخر سوى التعريف فإن قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته
أن يقال هو عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف وإنما منع الصرف للتعريف ووزن
الفعل قلت لا لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وعجمية أخرى
ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع

انى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين قال لا تقصص رؤياك على اخوتك الشمس والقمر والكواكب ستجد

مطلب يوسف

من الشمس وادنيسى وعن النبي عم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن
ابراهيم يا ابت قرئ بالحركات الثلث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة
والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو
قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة
قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره فان قلت فما هذه
الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما
قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك
فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها
حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة
الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا
ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا
يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتاه كون الالف فيه بدلا
من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان
قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت
فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت
فما وجه من قرا بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل
من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد راى
اسما في آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابة كما تقول يا نبة من غير اعتبار
لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ اني رايت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي
المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورايت من الرؤيا لا من
الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت
آية عظيمة ليعقوب عم ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روى جابر رضي الله عنه ان
يهوديا جاء الى النبي عم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت رسول الله عم فنزل جبريل
فاخبره بذلك فقال النبي عم لليهودي اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس
وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن
من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه
وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا
كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف
ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له

لعله الدائرة

فقصها على ابيه

فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل
يعقوب

فقصها على ابيه فقال له لا تقصصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه
اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص
بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما
عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رايت
قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له
عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين فان قلت لم
اجريت مجرى العقلاء في رايتهم ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها
حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء بالشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه
اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان يوسف عم يبلغه الله مبلغا
من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم
والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما
القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك ورياك بالادغام وضم الراء وكسرها
وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار
واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت هلا قيل
فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى
الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر عدو مبين
ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء وقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر
ليورط من يحمله ولا يؤمن على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه
الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدا
غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت
الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس
او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف صلوات الله عليه اعبر الناس للرؤيا و
اصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه
على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث
لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده
يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه
وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى
في الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحاق بانجائه من الذبح
وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته

بوزن العلى جمع الرؤيا

كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين إذ قالوا ليوسف
وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم

أنبياء أو استدلالا بضوء الكواكب على ما ذكر قاله على أن يعقوب وقيل إنه بلغت الرؤيا إخوة يوسف فحسدوه وقالوا
ما رضي أن سجد له إخوته حتى سجد له أبواه وقيل كان يعقوب يؤثره بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما
يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة إلى صدره
ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا أمر مشتت يجمعه الله لك بعد
دهر طويل وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل إلا أنه لا يستعمل
إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن أهلهما وأراد بالأبوين الجد وأبا
الجد لأنهما في حكم الأب في الأصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وإن كان بينه وبين فلان عدة وإبراهيم وإسحاق عطف
بيان لأبويك إن ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم لا يتم نعمته إلا على من يستحقها في يوسف
وإخوته أي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عن قصتهم
وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير سماع
من أحد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل إنما قص الله على النبي خبر يوسف عم
وبغي إخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به وقيل أسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد وآشر السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة
يعقوب والأربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له
بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته
لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وأخوه هو بنيامين وإنما قالوا أخوه وهم جميعا إخوته لأن أمهما كانت واحدة
وقيل أحب في الاثنين لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه من
ولا بد من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف جاز الأمران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني أنه يفضلهما
في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه
فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما إن أبانا لفي ضلال مبين أي في ذهاب عن طريق
الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل إلى الأربعين سموا بذلك لأنهم جماعة تعصب
بهم الأمور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل
معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الأنباري هذا كما تقول العرب إنما العامري عمته أي يتعهد عمته اقتلوا
يوسف من جملة ما حكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك الأمر إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل
شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين أو اطرحوه أرضا أرضا منكورة مجهولة بعيدة
من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل
لكم وجه أبيكم يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم والمراد سلامة محبته لكم ممن يشارككم
فيها وينازعكم إياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه
ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده

عشرة رجال

من بعد يوسف

وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين
قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون قال إني ليحزنني أن
تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون

من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا قوما صالحين
تائبين إلى الله مما جنيتم عليه أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم
بعده بخلو وجه أبيكم وتكونوا إما مجزوم عطفا على يخل لكم وإما منصوب بإضمار أن والواو بمعنى مع كقوله
وتكتموا الحق قال قائل منهم هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الأرض قال لهم
القتل عظيم ألقوه في غيابة الجب وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المنخل
إن أنا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة أراد بغيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على
الجمع وغيابات بالتشديد وقرئ في الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لأن الأرض تجب جبا لا غير
يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الأقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى
لأن بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض أصابعه إن كنتم
فاعلين إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي ما لك لا تأمنا قرئ بإظهار النونين وبالإدغام
بإشمام وبغير إشمام وتيمنا بكسر التاء مع الإدغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه
ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف
استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه نرتع
نتسع في أكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ يرتعي
ويلعب بالياء ويرتع من أرتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
فإن قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام واللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليمرنوا
أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله إنا ذهبنا نستبق وإنما سموه لعبا لأنه في صورته
ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله إن ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة
اعتذر إليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة
والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو قل به اهتمامهم ولم يعتنوا
بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم أن الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم
العلة وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذئب بالهمزة على الأصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه
من تذاءبت الريح إذا أتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب واللام موطئة للقسم
وقوله إنا إذا لخاسرون جواب القسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن
كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى
الخطوب إنهم إذا لقوم خاسرون أي هالكون ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون أن يهلكوا لأنه لا غناء عندهم
ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار وأن يقال خسرهم الله ودمرهم
حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا
إذا وخسرناها فإن قلت قد اعتذر إليهم بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر قلت هو الذي كان

فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب

كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعادوه اليه ... ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وفي غيابة الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغير كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلص مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذكر انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا وروي ابن جني عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضى به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغيره والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وقيل ننتضل بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر

[margin: ذهبنا]

[margin: جاؤهم]

قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون

مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصب على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقراءة عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه وروي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف صلوات الله عليه ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب عم على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدا لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي رضي الله عنه فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب عم على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف عم فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف فادلى دلوه اي ارسلها في الجب فتعلق يوسف عم بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة

[margin: ومعناه لا شكوى فيه]

وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا
وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون

نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون
لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعملون بعمل اخوة يوسف
بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف
ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا يوزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي
الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس رضي الله عنه
كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه
بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق
ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة
من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان اخوته
اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يأبق وفيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا يتقدم على الموصول
الا ترى انك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا
فيه الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن
الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف
الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره
ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلثين سنة وتوفي وهو
ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا
وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه
مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما
اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تعهده بالاحسان والتعهد به بحسن الملكة
حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل
به من رجل وامرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامرأته
متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به
على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته واما نتخذه ولدا نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير
عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف
فقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استأجره
وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك اشارة
الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا
له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناه في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره

بيان الزاهدين

اي اذ يخطروا المال الخطير

ولنعلمه

ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن
مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها

ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذكر الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله
غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره
فقد ارادوا اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله قيل
في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة وهو
العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا
في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة
ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى
خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان
يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وقالت
هيت لك بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبنائه كاين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت
يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيت لك واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول
هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشأن ربي سيدي ومالكي يريد قطفير
احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون
الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب
هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قوله
لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو
الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها
لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها وحذف لان قوله وهم بها
يدل عليه كقوله هممت بقتله لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم
بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه
ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو
يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك
الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على
حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين ويجوز
ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل
ومشارفة كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو
خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه
ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا اشعار
بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما

بيان غلقت

اي اسم صوت يصاح به الغنم

قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين
مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت
لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني
فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع
احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها وحين
افصل له الجواب فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما
هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان راى برهان ربه فترك التوصل
الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان يتعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان
وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان
بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى
مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب
له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف
لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب
فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا
فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان
يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء
وقيل راى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت استحيي ان يرانا فقال
يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا
ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من
مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت
توبته واستغفاره كما نعيت على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود ونوح وعلى ايوب وعلى ذي
النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثنى عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام
الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق
من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم
يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده
الخليل ابراهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار
فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن
العربي المبين ليقتدى بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها
وفي ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم

وبالوعيد

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء
من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو
من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين

وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي
ولا يتنبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدقهم حدقة واجلحهم وجها
لقي بادنى ما لقي به مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض وعضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال
ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعة اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء
من خيانة السيد والفحشاء من الزنى انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم
الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله
من عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين
قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار
موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه
الخروج فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج
من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب
وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا
سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح
فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة لما طلع منها زوجها على تلك
الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما التبرئة ساحتها عند زوجها
من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاته
طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان يكون
استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر
يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب
لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته
للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد
شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب
للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان
حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف
بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى
مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جاز وقوع
حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه
فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين

فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين وقال نسوة
في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن
متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن

دل قدّه من قبل على أنها صادقة وأنه كان تابعها قلت من وجهين أحدهما أنه إذا كان تابعها وهي دافعته عن
نفسها قدّت قميصه من قدامه بالدفع والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه
وقرئ من قبلُ ومن دبرُ بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فمعناه من جهة
يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي إسحاق أنه قرأ من قبلَ ومن دبرَ بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين
فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئا بسكون العين فإن قلت كيف جاز الجمع بين إن الذي هو للاستقبال وبين كان
قلت لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قدّ ونحوه كقولك إن أحسنت إليّ فقد أحسنت إليك من قبل لمن يمتن عليك با
حسانه تريد إن تمتن عليّ أمتن عليك فلما رأى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال إنه إن قولك ما جزاء
من أراد بأهلك سوءا أو إن هذا الأمر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولأمثالها أو لها وللنساء استعظم كيد
النساء لأنه وإن كان في الرجال إلا أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن
الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق
وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى يقول إن كيد الشيطان كان
ضعيفا وقال للنساء إن كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب
له وتلطيف لمحله أعرض عن هذا الأمر واكتمه ولا تحدث به واستغفري أنت لذنبك إنك كنت من الخاطئين
من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ إذا أذنب متعمدا وإنما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور
على الإناث وما كان العزيز إلا رجلا حليما وروي أنه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النساء
وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة
اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون
وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز يريدون قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي
أي غلامي وجاريتي شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة
رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك داخل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع أي
وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي و
حبا نصب على التمييز في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن
امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر
مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها أرسلت إليهن دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن
الخمس المذكورات وأعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات
والسكاكين في أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن
فيقطعنها لأن المتكئ إذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر بهن وبهتهن فتخضع
الخناجر في أيديهن ليقطعن أيديهن متكئات بالجملة ولتهول يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين
نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمه أنهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لأنهم كانوا

يتكئون

وهو اسم لجماعة النساء

فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد
راودته عن نفسه

يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي أن يأكل الرجل متكئا وآتت السكاكين ليعالجن
بها ما يأكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لأن من دعوته ليطعم عندك اتخذت
له تكأة يتكئ عليها قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا
كأن المعنى يعتمد بالسكين لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همزة وعن الحسن متكاء با
لمد مفتعالا وذلك لإشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو
الأترج وأنشد فأهدت متكة لبني أبيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت أهدت أترجة
على ناقة وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل
وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل عند لهن متكا ما يقطع من متك الشيء بمعنى
بتكه إذا قطعه وقرأ الأعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ إذا اتكأ أكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن
الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء
وعن النبي مررت بيوسف الليلة التي عرج بي إلى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول
الله كيف رأيته كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف صلوات الله عليه إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ
وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان أحد يستطيع وصف يوسف وقيل كان
يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت
يقال أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر وكأن
أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور
العواتق وقطعن أيديهن وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشى
كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال حاشا أبي ثوبان إن به
ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاش الله
براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة ومن
قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل
حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة أبي عمرو حاش لله بحذف الألف
الآخرة وقراءة الأعمش حش لله بحذف الألف الأولى وقرئ حاش الله بسكون الشين على أن الفتحة
أتبعت الألف في الإسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الإله
فإن قلت فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لأصله الذي هو الحرفية
ألا ترى إلى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب
الألف إلى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما
قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه
البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذكر

فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم

لان الله تعالى ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه
في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشياطين
ولا اجمع للخير من الملائكة الا على النفسية الخاسية المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق
وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله
ما هن امهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي في قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو
بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم يقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى
ام بكرا والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر بملك قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته
في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربأ بحاله واستبعادا لمحله (اي ارتفاعا) ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت
عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه يعني انكن لم تصورنه بحق صورته
ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ
الشديد كانه في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب
وهذا بيان لما كان من يوسف لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به
الهم والبرهان فان قلت الضمير في آمره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف
الجار كما في قولك امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب
امري ومقتضاه قرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون
الا في الخفيفة وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن
له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول
السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف
كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي
قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه
الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار
على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن اميل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها
لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون
لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم
الدعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم
باحوالهم وما يصلحهم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي
ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما رأوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك
الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجميلا ذلولا زمامه
في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك

الحشو

كاتبه

ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربي

لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب
خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن
زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع
رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة
قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت
من الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه
رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف عليه السلام اني اراني يعني في المنام
وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب
وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها
رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس
ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا ان
كانت لك يد في تأويل الرؤيا وروي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج
جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا
ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت
يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت
خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك
من حين رأيناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد
احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي
من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان
فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز
اني اراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع
الضمير في قوله نبئنا بتأويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كأنه قيل
نبئنا بتأويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق
علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان يأتيهما ويصفه
لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر
لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح لهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان
يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة و
النصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتي فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان
العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين

الاهل

510

إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب

لم يكن من باب التزكية بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه ولذلك قال لهما إلى التأويل أي ذلكما التأويل والإخبار بالمغيبات مما علمني ربي وأوحى به إلي ولم أقله عن تكهن وتنجيم إني تركت يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى إلي لأني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية وأراد بالذين لا يؤمنون أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وأن غيرهم قوما مؤمنين بها وهم الذين كانوا على ملة إبراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين أودعوه السجن بعدما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك مما لا يقدم عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس أي على الرسل وعلى المرسل إليهم لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم إليه ولكن أكثر الناس المبعوث إليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل إن ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فأضافهما إلى السجن كما يقول يا سارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وإنما المصحوب غيره وهو يوسف عم ونحوه قولك لصاحبك يا صاحبي الصدق فتضيفهما إلى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لأنهما صحباك ويجوز أن يريد يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة أأرباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر إلا أسماء يعني أنكم سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما أنزل الله بها أي بتسميتها من سلطان من حجة إن الحكم في أمر العبادة والدين إلا لله ثم بين ما حكم به فقال أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين أما أحدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده وقرأ عكرمة فيسقى ربه أي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روي أنه قال للأول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل قضي الأمر قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما فإن قلت ما استفتيا في أمر واحد بل في أمرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالأمر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا

لا يشكرون بيانه

سا / جلم

511

٢٥٦

فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون

من أجله وظنا أن ما رآه في منامهما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيان في الأمر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك فقال لهما قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي ما يجر إليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئا على ما روي أنهما تحالما له فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما ظن أنه ناج الظان هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريقة الاجتهاد وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فأنساه الشيطان فأنسى الشرابي ذكر ربه أن يذكره لربه وقيل فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلاث إلى التسع من البضع وهو القطع وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين فإن قلت كيف يقدر الشيطان على الإنسان قلت يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره وأما الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله عز وجل ما ننسخ من آية أو ننسها فإن قلت ما وجه إضافة الذكر إلى ربه إذا أريد به الملك وما هي بإضافة المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول قلت قد لابسه في قولك فأنساه الشيطان ذكره لربه أو عند ربه فجاز إضافته إليه لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة أو على تقدير فأنساه الشيطان ذكر إخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الإخبار فإن قلت لم أنكر على يوسف عم الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عم من أنصاري إلى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله عم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية والتقوي بالأشربة والأطعمة وإن كان ذلك لأن الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز أن يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الأنبياء على خليقته فقد اصطفى لهم أحسن الأمور وأفضلها وأولاها والأحسن والأولى بالنبي عم أن لا يكل أمره إذا ابتلي ببلاء إلا إلى ربه ولا يعتضد إلا به خصوصا إذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب لأغاثه كما استغاث بنا وعن الحسن أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فإن قلت هل من فرق بين إيقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وأن يقال سبع بقرات سمانا قلت إذا أوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فإن قلت هلا قيل سبع عجائف على الإضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فإن قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها

قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما واذكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون

صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة
غلاظ فان قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان
المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما
تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان
على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في
الآية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في
البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى
وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي
الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر
يقتضي ان تكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة
برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام واخرين قعود
تدافع ففسد يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا
فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد
بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان
كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا اخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى
فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها واخر امرها كما تقول
عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت
الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت
انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا اضغاث احلام
تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط
النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي
اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان
يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا
تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى
غيرها وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا
تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام
بنحارير وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل
يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ
تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب

العقيلي

يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون
قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم

العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور
اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم
فقد خطئ انا انبئكم بتأويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتأويله فارسلون
فابعثوني اليه لاسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يكن السجن في المدينة والمعنى فارسلوه
الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه
في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون
لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون
فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله
ورسوله واليوم الاخر وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المأمور به فيجعل
كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما
مصدرا دأب في العمل وهو حال من المأمورين اي دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى
ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا يتسوس ويأكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون
تحرزون وتخبأون يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية
غثنا ما شئنا يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون
على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه
قيل يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت
السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم
فحذف الجار واوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من
تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده
الله علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم يوصف بالانتهاء
فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته
عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا
يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه
دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم قال رسول الله عم للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة
اتقاء للتهمة وعن النبي عم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان
ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك
ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة

٤٤

قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا
راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي إن النفس
لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم

وإنما قال سل الملك عن شأن النسوة ولم يقل سله أن يفتش عن شأنهن لأن السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه
للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته
بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق عن الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما
صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن إن ربي إن الله تعالى بكيدهن
عليم أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه إلا الله لبعد غوره أو استشهد بعلم الله على أنهن كدنه وأنه بريء مما قرف به
أو أراد الوعيد لهن أي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه قال ما خطبكن ما شأنكن إذ راودتن يوسف هل وجدتن
منه ميلا إليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت
امرأت العزيز الآن حصحص الحق أي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير إذا
ألقى ثفناته للإناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له
بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لأنهن خصومه وإذا اعترف الخصم
بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لأحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد أن
ندخل في زمرة من ثبت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف أي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز
أني لم أخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه خفي عن
عينه أو هو غائب عني خفي عن عيني ويجوز أن يكون ظرفا أي بمكان الغيب وهو الخلاء والأستار والأبواب
المغلقة وليعلم أن الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها
أمانة زوجها وبه في خيانته أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز أن يكون تأكيدا
لأمانته وأنه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا
وبحالها في الأمانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين أن ما فيه من الأمانة
ليس به وحده وإنما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما أبرئ نفسي من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية
ولا أزكيها ولا يخلو إما أن يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية
لا عن طريق القصد والعزم وإما أن يريد عموم الأحوال إن النفس لأمارة بالسوء أراد الجنس أي هذا الجنس يأمر
بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات إلا ما رحم ربي إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز أن يكون
ما رحم في معنى الزمان أي إلا وقت رحمة ربي يعني أنها أمارة بالسوء في كل وقت وأوان إلا وقت العصمة ويجوز أن
يكون استثناء منقطعا أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة كقوله ولا هم ينقذون إلا رحمة وقيل معناه ذلك
ليعلم الملك أني لم أخنه لأن المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه
ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فإني قد
خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان
منها إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور رحيم
استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فإنه [illegible] حق أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك فلعله

[illegible marginal note]

كفى بالمعنى

وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكذلك مكنا
ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين

كفى بالمعنى دليلا قائدا إلى أن يجعل من كلامها ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن
يخرجكم من أرضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم
القرآن وتأخيره وذهب إلى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ولقد لفقت المبطلة
روايات مصنوعة فزعموا أن يوسف عليه السلام حين قال أني لم أخنه بالغيب قال له جبرائيل صلوات الله عليه ولا حين هممت
بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله تعالى أستخلصه
وأستخصه إذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال أيها الصديق إنك اليوم لدينا
مكين أمين ذو مكانة ومنزلة مؤتمن على كل شيء روي أن الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا
لأهله اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات وكتب
على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل وتنظف
من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين
لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك قال
رأيت بقرات فوصفهن لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك
لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك أن تجمع الطعام في الأهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك
من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك اجعلني على خزائن الأرض ولني خزائن أرضك إني حفيظ عليم أمين أحفظ ما تستحفظنيه
عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك ليتوصل إلى
إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحدا
غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لو لم
يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة فإن قلت كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر
ويكون تبعا له وتحت أمره وطاعته قلت روي عن مجاهد أنه قد أسلم وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان
عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل
إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه
ولا يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الأرض
أرض مصر روي أنها كانت أربعين فرسخا في أربعين يتبوأ منها حيث يشاء وقرئ بالنون والياء أي كل مكان أراد
أن يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه وروي أن الملك توجه
وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي أنه قال له أما السرير
فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته
إجلالا لك وإقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض إليه الملك أمره وعزل قطفير ثم مات بعد
فزوجه امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين إفرائيم وميشا

اسم العزيز

في الأهراء نخ

ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني
بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وإنا
لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا
يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل

وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط
الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع و
العقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع
الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال فإني أشهد الله وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت
عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وأصاب أرض كنعان
بلاد الشام نحو ما أصاب مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين برحمتنا بعطايانا من نشاء من ذلك
في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك ولا نضيع أجر المحسنين أن نأجرهم
في الدنيا ولأجر الآخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له
الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم
أنه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان
عن حالته التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنوا
بهم ولأن الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زي
فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم أنه هو وقيل
ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما عرفوا إلا حيث تعرف طلاب الحوائج وإنما عرفهم لأنه فارقهم
وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم إذ ذاك ولأن همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن
وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم أي أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج
إليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاءوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم لا بد
من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسألة روي أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني
من أنتم وما شأنكم فإني أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم
عيونا ينظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب
قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم أنتم هاهنا قالوا عشرة قال فأين الأخ الحادي عشر قالوا
هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذي تقولون حق قالوا إنا ببلاد لا
يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من
أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده
وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان أحدهما أن يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا
على محل قوله فلا كيل لكم كأنه قيل فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وأن يكون بمعنى النهي سنراود عنه أباه
سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وإنا لفاعلون وإنا لقادرون على ذلك لا نتعايا به
أو وإنا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كإخوة وإخوان
في القلة والكثرة أي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم

بإعطاء

فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما
نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله
معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به

بإعطاء البدلين إذا انقلبوا إلى أهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع
إلينا وكانت بضاعتهم النعال والأدم وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم
أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنا وقيل علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها وقيل
معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها منع منا الكيل يريدون قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم لأنهم إذا أنذروا
بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل أخونا
فينضم اكتياله إلى اكتيالنا أو يكن سببا للاكتيال فإن امتناعه بسببه هل آمنكم عليه يريد أنكم قلتم في يوسف وإنا له
لحافظون كما تقولونه في أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله
فيه ودفعه إليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز أن يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ
الأعمش فالله خير حافظ وقرأ أبو هريرة رضي الله عنه خير الحافظين وهو أرحم الراحمين فأرجو أن ينعم
علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ ردت إلينا بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء
كما قيل قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها إلى الضاد ما نبغي للنفي أي ما نبغي في القول
وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه وكانوا قالوا له إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا
وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته وما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الإحسان
أو على الاستفهام بمعنى أي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه
أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة أخرى وقوله هذه
بضاعتنا ردت إلينا جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى أن بضاعتنا
ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا في رجوعنا إلى الملك ونحفظ أخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد وسق بعير زائدا
على أوساق أباعرنا فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات أيدينا وإنما قالوا و
نزداد كيل بعير لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط فإن قلت هذا إذا فسرت البغي بالطلب
فأما إذا فسرته بالكذب والتزيد بضاعتنا ردت إلينا بيان لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع
بالجمل البواقي قلت أعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما
مبتدأ كقولك وينبغي أن نمير أهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب أن أسعى وينبغي
لي أن لا أقصر ويجوز أن يراد ما نبغي وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيز أخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا
نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع بيانا لأنهم لا يبغون في رأيهم وأنهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح
ذلك كيل يسير أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم ويكون ذلك إشارة إلى
كيل بعير أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب
وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم لن أرسله معكم مناف لحالي وقد رأيت منكم ما رأيت لن أرسله
معكم حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أراد أن تحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقا
منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه لتأتنني به جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا

الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون

لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منكم الا الفعل على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت هل للاصابة بالعين وجه تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي عليه السلام انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس رضي الله عنه تعرف اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان اشهرك بامر فظيع وانسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي

فلما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم

في رحله ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه وروي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرأ ابو عبد الله الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدأ باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير رضي الله عنه اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتأنيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف عليه السلام كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم صواعا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان

قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون

ما اخذ

ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثل
ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من نشاء
في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة
منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان
يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وهو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو
قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان
قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف
وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب
كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب
وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه السلام وخذ
بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها
الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة
فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا
روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا
الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال
بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة
في رحالكم واختلفوا فيما اضافوا الى يوسف عليه السلام من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه
فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها
الاكابر فكان يورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه
وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت
ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل
به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا
وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او
الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من
اسرها وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرقة
لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس
الامر كما تصفون استعطفوه باذكار حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر لا بنا بين
احتماله منهم وكانوا قد اخبروه بانه ولد له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذ

باذكار حق

قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا
لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض
حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم

بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان
فاجر على عادتك ولا تغيرها قال معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد
الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه
ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من
امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ
فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا استيأسوا
يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير
والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل
النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم
نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجيه ومعنى خلصوا
اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا
لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام
كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وما
ذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن
وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه
ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على
ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب
عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في
يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة
ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في
الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو
خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة
الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما كنا للغيب
حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك ستصاب به كما اصبت بيوسف
ومن قرا سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق
بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها فسلهم عن
كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من
اهل صنعاء معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه
والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل

امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم
قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون

او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم
كراهة لما جاؤا به يا اسفا اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس
بين لفظي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه
وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا وعن النبي عم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون
عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى فان قلت كيف تأسف
على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه
على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم ينس او في
المصائب بعد ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه
اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر
قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان بسبب البكاء الذي حدث منه البياض
فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض
اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله عم انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى
قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع
ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى
لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح
والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي عم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه
فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين
صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت
الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملو من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول
بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الفاء مخرج النفس يقال اخذ بكظامه تفتؤ
اي لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت
يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين
يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك
مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء
ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرا الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب
وغرب البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه اسره وابثه
اياه ومعنى انما اشكو اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني
وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب عم جار له فقال

يا يعقوب

يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا
الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا ائنك لانت
يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا

يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف
فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال
انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحي الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين
فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها
فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من
حيث لا احتسب وروي انه راى ملك الموت في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه
وقرا الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما
وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو
الطلب ومنه قيل لمشاعر الانسان الحواس والجواس ولا تيأسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرا الحسن وقتادة من روح
الله بالضم اي من رحمته التي يحيا بها العباد الضر الهزال من الشدة وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة
عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا
وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف
لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا
فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله
عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا
له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان
الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول
الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق وانما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني
وتفضل علي او ارحمني قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه
القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه
فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتتوبوا الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى
التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك
المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق
الانبياء ما اوطأها واسجحها ولله حصا عقولهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا
علماء ولكنهم لما لم يعملوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم
صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة وروي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر
وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن
اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما
جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي

انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا

فوضع السكين على قفاه ليقتل فغداه الله وانا ابني كان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته
الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان
لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل
بيت لا يسرق ولا يلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما
قرا يوسف عم الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرا الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا
تظفر كما ظفروا فان قلت ما معلمهم باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى
كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى قرئ اينك على الاستفهام والكرع الايجاب
وفي قراءة ابي رضي الله عنه اينك او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر
الاستثبات فان قلت كيف عرفوه قلت راوا في روايه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مسح على وجهه
بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذكر فعرفوه
بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى دفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب
وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فان قلت قد سالوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه على ان اخاه كان
معلوما لهم قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي
وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين لقد اثرك الله
علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شاننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم
نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم ولا عتب
واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة
الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض
ويذهب بماء الوجوه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر
والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدا فقال يغفر الله لكم
فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لكم ويغفر الله لكم على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت
يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم
على خطيئتهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما
ترون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم
ففعل فقال رسول الله غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك
بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون
الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان
بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي قيل هو

القميص

فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا
تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا
يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم

القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبرائيل ان يرسله الى ابيه فان فيه ريح الجنة
لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يات بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد
بصيرا او يات الي وهو بصير وينصره قوله واتوني باهلكم اي يات اي وياتني اله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل
قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان
وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز
حيطانه وقرا ابن عباس رضي الله عنه فلما انفصل العير قال لولده ولمن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده
الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمانية ايام والتفنيد للنسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من
هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا
تفنيدكم اياي لصدقتموني لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك
بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات القاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب
فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله
ولا تياسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدا لم يقع عليه القول ولكن ان توقفه عليه وتريد انما اشكو
بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر
قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة سوف استغفر لكم قيل اخر
الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق
التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة
في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي
على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم
يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن
وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل فقال ان
الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم فلما دخلوا
على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك
في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب مصر قال لا هذا ولدك فلما
قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى
ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك
وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى
ومقاتلهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت
الذرية الف الف ومائتي الف اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابي اسحق كانت

فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي
من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما
يشاء إنه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني
بالصالحين

أمه تحيا وقيل هما أبوه وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الأبوين لأن الرابة تدعى أما لقيامها مقام الأم أو
لأن الخالة أم كما أن العم أب ومنه قوله وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق فإن قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم
مصر قلت كأنه حين استقبلهم نزل بهم في مضرب أو بيت ثم دخلوا عليه وضم إليه أبويه ثم قال لهم ادخلوا مصر إن شاء
الله آمنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الإخوة
الأحد عشر والأبوين سجدا ويجوز أن يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فأمر أن يرفع إليه أبواه فدخلا
عليه القبة فآواهما إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فإن قلت بم تعلقت المشيئة قلت بالدخول
مكيفا بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل اسلموا وأمنوا في دخولكم إن شاء الله ونظيره قولك
للغازي ارجع سالما غانما إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما
والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال
وذي الحال ومن بدع التفاسير أن قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله سوف أستغفر لكم
ربي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره فإن قلت كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله قلت كانت
السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال
شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا
لأجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا أيضا فيه نبوة يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه قال أسيئي بنا أو أحسني لا
ملومة من البدو من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع نزغ أفسد بيننا وأغرى
وأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير لأجله رفيق
حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب
وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك
هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسله
قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا
وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحاق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد إلى مصر
وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت
نفسه إليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا
في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه
فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له إفراثيم وميشا
وولد لإفراثيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل
تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله محمدا صلوات الله عليهم من في من الملك ومن تأويل الأحاديث
للتبعيض لأنه لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل أنت ولي في الدنيا والآخرة تتولاني
بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الإسلام ولأن يختم له بالخير

والحق

ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين
وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة
بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى

٣٦٤

والحقني كما قال يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل والحقني بالصالحين من آبائي
أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك
خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه
وجمع له أمره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فإن قلت علام انتصب فاطر السماوات قلت على أنه وصف لقوله
رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو على النداء ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف عم والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله من أنباء الغيب نوحيه إليك خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن
أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب
حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر كقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وهذا تهكم
بقريش وبمن كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه
فإذا أخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي
فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب
الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل وما أكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن أكثر
الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضي الله عنهما أراد أهل مكة ولو حرصت وتهالكت على إيمانهم
لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم به نيلا ومنفعة وجدوى كما يعطي حملة الأحاديث
والأخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول الله وكأين من آية من علامة
ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والأرض
بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدي والأرض بالنصب على ويطوون الأرض يمرون
عليها وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من
آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السماوات
والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم
وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق
يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله أدعو إلى الله على بصيرة أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير
عمياء وأنا تأكيد للمستتر في أدعو ومن اتبعني عطف عليه يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني
ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على أنا إخبارا مبتدأ بأنه ومن اتبعه
على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة الرفع في أنا ومن اتبعني و
سبحان الله وأنزهه من الشركاء إلا رجالا لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لأنزل
ملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنه يريد ليست فيهم امرأة وقيل في سجاح المتنبئة ولم يزل أنبياء
الله ذكرانا وقرئ نوحي إليهم بالنون من أهل القرى لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم و

واشباهه والتي فيها احد ح

أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى إذا استيأس الرسل
وظنوا أنهم قد كذبوا بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون
الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون

الجمل والخيل والغنم ولدار الآخرة ولدار الساعة أو الحال الآخرة خير للذين اتقوا الله فلم يشركوا به ولم
يعصوه وقرئ أفلا تعقلون بالتاء والياء حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا
رجالا فتراخى نصرهم حتى إذا استيأسوا عن النصر وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم
ينصرون أو رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من
الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب
وعن ابن عباس رضي الله عنه وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فإن صح هذا عن ابن عباس رضي فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من
شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية وأما الظن الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين
فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل إليهم أن الرسل
قد كذبوا أي أخلفوا أو وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أي كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ
وكذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصر عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف
على البناء للفاعل على وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة أما على تأويل ابن عباس رضي وإما على أن قومهم
إذا لم يروا لموعدهم أثرا قالوا إنكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم أو وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا ولو
قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل أن قومهم كذبوهم في موعدهم وقرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من أنجاه ونجاه
وفنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لأنهم هم الذين يستأهلون أن
يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين الضمير في قصصهم للرسل وتنصره قراءة من قرأ
في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع إلى يوسف وإخوته فإن قلت فإلام يرجع الضمير في كان حديثا يفترى فيمن
قرأ بالكسر قلت إلى القرآن أي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه أي قبله من الكتب السماوية
وتفصيل كل شيء يحتاج إليه في الدين لأنه القانون الذي يستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل وانتصاب
ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ما كان ذكر بالرفع أي ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله عم علموا
أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه
القوة أن لا يحسد مسلما

يشاء نشاء نجاتهم

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك إشارة إلى آيات
السورة والمراد بالكتاب السورة أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي أنزل إليك من ربك
كله هو الحق لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى
أين طرفاها تريد الكملة الله مبتدأ والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الأرض ويجوز أن يكون صفة وقوله
يدبر الأمر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستأنف
واستشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة أبي رضي الله عنه ترونه وقرأة عمد بضمتين يدبر الأمر
أمر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبأن هذا المدبر والمفصل لا بد

وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض
قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وإن
تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة
قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما
أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما

لكم من الرجوع إليه وقرأ الحسن ندبر بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين
مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل أراد بالزوجين الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك
من الأصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعد ما كان أبيض منيرا وقرئ
يغشي بالتشديد قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة
وصلبة إلى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر إلى أخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الأرضية وذلك دليل على قادر مريد
موقع لأفعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الأجناس والأنواع وهي
تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف
قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين أو بالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر
عطفا على أعناب أو جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغتان
أهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا
في الأكل بضم الكاف وسكونها وإن تعجب يا محمد من قولهم في إنكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لأن
من قدر على إنشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسر فكان إنكارهم
أعجوبة من الأعاجيب أئذا كنا إلى آخر قولهم يجوز أن يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وأن يكون منصوبا بالقول وإذا
نصب بما دل عليه قوله أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم أولئك الكاملون المتمادون في كفرهم وأولئك الأغلال
في أعناقهم وصف بالإصرار كقوله إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ونحوه لهم عن الرشد أغلال وأقياد أو هو من جملة الوعيد
بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والإحسان إليهم بالإمهال وذلك أنهم سألوا رسول الله عم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء
منهم بالإنذار وقد خلت من قبلهم المثلات أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤوا والمثلة
العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال أمثلت الرجل
من صاحبه وأقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لإتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون
الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة
وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم وفيه أوجه
أن يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر أو الكبائر بشرط التوبة أو يريد بالمغفرة الستر والإمهال وروي أنها لما
نزلت قال النبي عم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد لولا أنزل عليه
آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله عم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا
حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله إنما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا
كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت والآيات
كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب
ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بوجه من
الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الأنبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أنهم

الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله

531

يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر ما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما ردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على مقتضى حكمته ان اعطاه كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في بما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما يحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما يغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اي تأخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما ينقصه الرحم ويزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها يكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة رحمه الله والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيض فيها ان تقع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام وكل شيء عنده بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله تكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال

532

بامر الله وبحفظه اذا اذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب ۞ فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق ۞ وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به السحاب اسم الجنس والواحد سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي عم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله عم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود سألت النبي عم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والباطن عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا قال الاعشى ۞ فرع نبع يهتز في غصن المجد عزيز الندى شديد المحال ۞ والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر

ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه
اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه
فتشابه الخلق عليهم

وذكر ان السنكار عمود الظهر وقوله دعوة الحق فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل
كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى
ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق
لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان
تضاف الى الحق الذي هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو
الله وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر
لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله عليه السلام بقوله اللهم اخسفهما بما شئت
فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة
دعوة رسول الله ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم
بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان
يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه
جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد
ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ يدعون
بالتاء كباسط كفيه بالتنوين الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع
اجابتهم ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراد فيهم من افعاله شاؤوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه
وتنقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ بالغدو والايصال
من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم
يكن لهم بد من ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول
المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول
له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقونه ولا
يقدرون ان ينكروه افاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء
فجعلتم ما كان يجب ان يكون سببا للتوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون
لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب
المعاقب فما ابين ضلالتكم ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار خلقوا صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا
لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما
قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء
عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله
ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب

وما عداه

قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء
حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين
استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس
المهاد افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق
ولا ينقضون الميثاق

وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا
لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز
الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى
به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار
التي ينبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه
عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت لان المطر
لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض فان قلت فما معنى قوله بقدرها قلت
بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا
للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله
ابتغاء حلية او متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس لان
المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما توقدون
عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى
الملوك بهو ما حا في ذكر الآجر اوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء
او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفاه السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها
واجفأ السيل واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفأر
وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين
الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا
الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب
الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين
لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر
منه شيء دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم
انما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء
والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين
يوفون بعهد الله مبتدأ واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز
ان يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من
الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان يوصل
من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون
اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة

والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب

بينهم وبينهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقة في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم أي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكاليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الأعداء كقوله وتجلدي للشامتين ولا لأنه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله ما إن جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به كان حسنا عند الله وإلا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فسكن العين وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح أعلم أن الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لأن المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين فإن قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله بما قدمتم وعن النبي عليه السلام أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها الله يبسط الرزق أي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق ونحو ذلك فإن قلت كيف طابق قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قوله قل إن الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم

يعني في الدنيا

وشدة الشكيمة

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا

وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من كان على خلاف صفتكم أناب أقبل إلى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير الذين آمنوا بدل من أناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز أن يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف أي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك أرسلناك مثل ذلك الإرسال يعني أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال في أمة قد خلت من قبلها أمم أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو أن قرآنا جوابه محذوف كما يقول الرجل لغلامه لو أني قمت إليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعا أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسر به قوله ليتلوا عليهم الذي أوحينا إليك من أن المراد تعظيم ما أوحي إلى رسول الله من القرآن وقيل معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود إن كنت نبيا كما تزعم فلست بأهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان أو ابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض على هذا قطعها بالسير وتجاوزها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا بل لله الأمر جميعا على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا

يقتسمونني

بيان قصي بن كلاب

بيان استعمل

من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا
عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون
تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك
عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين

537

اي بما ليس زهدهم ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا افلم يتبين وهو تفسير افلم
ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين
في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها
البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بامنوا على ادم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين
امنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم
بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم
فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل
ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله عم كان لا يزال
يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك
كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان
في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله عم استهزاء
به وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة
او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف
عليه وجعلوا تمثيله كمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء
قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك
للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في
السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما
تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان
طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف
بل زين للذين كفروا مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات الثلاث وقرا ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله
ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحياة الدنيا وهو ما ينالهم
من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا ولعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق وما
لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من جهة من واق من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه
بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من
تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف
تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة
ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله

بل اسمونهم شركاء بظاهر من القول

بيانك سميتموها

بن سلام

النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه
حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي
بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا
الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب

٢٦٩ 538

بن سلام وكعب بن واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة
وثمانية من اهل الشام هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله
عم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم
كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو
نعت الاسلام ونعت رسول الله وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت
ان اعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به
فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك
به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع في رواية
ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى
امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون
مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة
اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون
رسول الله عم الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن اتبعتهم على دين
ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك
فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا
يزل عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة وكانوا ينكرون على رسول الله عم من شأنه الشكلية مكان كانوا يعيبونه بالزواج والولاد
كما كانوا يقولون مال هذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا
مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف
باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله
ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من
ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة
ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها
واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه
وان ما نرينك وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك
قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم
ولا يستعجل بعذابهم اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فينقص
دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها
من اطرافها افهم الغالبون سنريهم اياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك
فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره وان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه

تحسينه

وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات
الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد

وننقصها عنها بما ذكر من طلوع نبات الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر
على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه
بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر
بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما
محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني
زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة
الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم
ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ
الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرا جناح بن حبيش وسيعلم الكافر
من اعلمه اي سيخبر كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن
وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم
يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا
الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده
قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ
ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع
علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر الذي في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف
اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه
فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن
رسول الله عليه السلام من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب
يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب هو كتاب يعني السورة
وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره
مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد
بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف
كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته و
اختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوال وهو
النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينتصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة
معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل
فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه

الذين يستحبون الحيوة الدنيا ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور
واذ قال موسى لقومه

ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا
صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار و
الاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها
من الاخر وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد ويقال صده عن كذا واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف
عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير المتعدي الى المتعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست
بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون
لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون
لها فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف
الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف
به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا
وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم
قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث
الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب
حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم يكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة
او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد
فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم
ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل
البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم
لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب
والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل
بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل
امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه
بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام
والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن
الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم
وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال
التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته
الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل

اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد الم يأتكم نبأ
الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم

ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه
في تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان
افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر
وعن ابن عباس رضي الله عنه نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر و
اما بلاؤه فهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم
او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من
سجاياهم تنبيها عليهم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب
بعليكم قلت لا يخلو اما ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة
لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك
اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى يقول فائضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ انجاكم بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال
فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح
حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة
ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء
من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال
تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه
وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى
تأذن ربكم آذن ربكم ونظير تأذن وآذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل
كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى
تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم لئن شكرتم الآية لئن شكرتم يا بني اسرائيل
ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما
آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل
والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد
مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا
او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله
وعن ابن عباس رضي الله عنه بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرأ هذه الآية
قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم فعضوها
غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع
يده على فيه او اشاروا بايديهم الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس

وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم
ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا
سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون
هذا

عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول
قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى

الى الكفر ووضعوها على افواههم انفسهم

السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي
ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها
ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان بالله
وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر
افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة
وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته
لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فان قلت ما معنى التبعيض
في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا
اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر
لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في
الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل
مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم الا
بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم
من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان
المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم
في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصرا على قولهم
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم
بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله اراد ان الاتيان بالآية التي اقترحتموها
ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة
بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على
معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في
ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله
الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل
المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم
او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم
حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد
تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عرفت اراه عاد لا يكلمني ما عدا لفلان مال او خاطبوا به كل رسول

وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف
مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو
بميت ومن ورائه عذاب غليظ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك

ومن آمن بهم مغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجرى
القول لأنه ضرب منه وقرأ أبو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى فإن لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك أقسم زيد
ليخرجن ولأخرجن والمراد بالأرض أرض الظالمين وديارهم ونحوه وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الأرض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة
كان لي خال يظلمه عظيم القرية إلى أناسها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما إلى أبناء
خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله عم وحدثتهم به وسجدنا
شكرا لله ذلك إشارة إلى ما قضى به الله من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم الذكر الأثر حق لمن خاف
مقامي موقفي وهو موقف الحساب لأنه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة أو على إقامتي المقام وقيل خاف
قيامي عليه وحفظي لأعماله والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على
أعدائهم أن يستفتحوا بعد ما أيس النبي أو استحكموا الله وسألوا القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على أوحى إليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الأمر عطفا على لنهلكن أي أوحى
إليه ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا أو ظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار
عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم
ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه قال عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو
في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف ما ثم ملمع
علم عطف ويسقى ملمع على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه أشد عذابها فخصص
بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فإن قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء لأنه
قال ويسقى من ماء فأبهمه إبهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود أهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد
يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف يكون الإساغة كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها
فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت من جميع الجهات
تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من إبهام رجله وقيل من أصل كل شعرة وما هو بميت ومن ورائه
عذاب غليظ أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد
ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلوات
الله عليه فلم يسقوا فذكر سبحانه ذكره أنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو
صديد أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم مثل الذين كفروا مبتدأ محذوف
الخبر عند سيبويه تقديره وفيما نقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله
أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز أن يكون المعنى
مثل أعمال الذين كفروا بربهم أو هذه الجملة خبر للمبتدأ أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد مثل
أعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الرياح كقولك

هو الضلال البعيد ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء
للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا
ما لنا من محيص

يوم عاصف كقولك ليلة ساهرة وليل شاكر وإنما الشاكر فيهما وقرئ في يوم عاصف بالإضافة وأعمال الكفرة المكارم التي كانت
لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسارى وعقر الإبل للأضياف وإغاثة الملهوفين والإجارة وغير ذلك من
صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه برماد
طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء أي لا يرون له أثرا من ثواب لا يقدر من الرماد المطير
في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض
الصحيح والأمر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السماوات والأرض إن يشأ يذهبكم أي هو قادر على أن يعدم
الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم إعلاما منه باقتداره على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم
يقدر على الشيء وجنسه وضده وما ذلك على الله بعزيز متعذر بل هو هين عليه يسير لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور فإذا خلص له الداعي إلى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك أصبعك إذا دعاك إليه داع ولم
يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لإبعادهم في الضلال وعظم خطائهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة
على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله
ويبرزون يوم القيامة وإنما جيء به بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى
أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائره له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز
له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم
القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب
الله وحكمه فإن قلت لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها
إلى الواو ونظيره علمؤا بني إسرائيل والضعفاء الأتباع والعوام والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين
استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم
خادم وخدم وغايب وغيب أو ذوي تبع والتبع الأتباع يقال تبعته تبعا فإن قلت أي فرق بين من في
من عذاب الله وبينه في من شيء قلت الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء
الذي هو عذاب الله ويجوز أن يكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب
الله أي بعض بعض عذاب الله فإن قلت فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت الذي قال لهم الضعفاء
كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لأنهم
قد علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هداهم إلى
الإيمان لهدوهم ولم يضلوهم إما موركين الذنب في ضلالهم وإضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء
الله ما أشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في
الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون
أنهم على شيء ويجوز أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم إلى الإيمان
وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما

وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم

سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا
سواء عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
كذلك ثم يقولون سواء علينا فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان
جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي
كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك اجل
او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم وانجيناكم فيتعوا الا قناطا من النجاة فقالوا ما لنا من محيص ل
منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كان قيل قالوا جميعا
سواء علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف
ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين
ودخول احدهما الجنة ودخول الاخر النار روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن والانس
فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك
فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا
ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما
تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم
اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله
الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان
الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول
منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو
مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا
ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا
لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء
ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث
قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فان قلت جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام
فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال
المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات ما في بما اشركتمون مصدرية ومن قبل
متعلق باشركتمون يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون
بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي

بيان عليكم

اشركتمون

وادخلوا الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن الله تحيتهم فيها سلام الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة اصلها ثابت
وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
ويضل الله الظالمين ويفعل ما يشاء الم تر الى الذين كفروا بدلوا نعمة الله كفرا وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها
كل حين ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين بالقول الثابت في الحيوة الدنيا

اشركتموه وهو الله عز وجل كقولك شركت زيدا فاذا نقلته بالهمزة قلت اشركته فلانا اي جعلته له شريكا ونحو ما
هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان
وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وجل ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله
عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان
يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني
بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وادخل الذين آمنوا
على فعل المتكلم بمعنى وادخلهم انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم
الملائكة الجنة باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم
قلت الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحييهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم
باذن ربهم وقرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ ومن يتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة
طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه
حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا اصلها ثابت يعني في الارض ضارب
بعروقه فيها وفرعها واعلاها ورأسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ انس بن مالك رضي
الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة ابن
مالك اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من قولك مررت برجل قائم ابوه لان
المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار
والتوبة والدعوة وعن ابن عباس رضي الله عنه شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار
كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي
انها النخلة فهبت رسول الله ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال عمر يا بني
لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله عم الا انها النخلة وعن ابن عباس رضي الله عنه
شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد
ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه
لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني كشجرة خبيثة اي صفتها كصفتها
وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة
فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله
اصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال
قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل
عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم

مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة

ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اي كشجرة خبيثة

واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر
لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما سألتموه

لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة القول الثابت الذي ثبت بالحجة
والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في
دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت
جرجيس وشمعون وغيرهما وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم
يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضي ان رسول الله عم ذكر قبض
روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول
ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباءهم فقالوا
انا وجدنا اباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الاخرة اضل
وازل ويفعل الله ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند
ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله
كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه اخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها
سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اكرمهم بمحمد عم فكفروا نعمة
الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم با
لقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة كذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في
اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما
بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار
البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان ليضلوا بفتح الياء وضمها فان قلت الضلال او الاضلال
لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام
في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم
في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم امر مطاع ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو
امر الشهوة والمعنى ان دوموا على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان
والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي
الذين امنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا
ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة
وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية
بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى
اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب الخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف

اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته

مأمورون

وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن
كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم

اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله
وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله
وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع
فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه
بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا
هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق
بامره بقوله كن دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان
والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم واتاكم من كل ما سألتموه نظرا في مصالحكم
وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان يكون ما موصولة
على واتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها
لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ اخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال فاما التفصيل فلا يقدر عليه ولا
يعلمه الا الله لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع
كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه هذا البلد يعني البلد
الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ وظالم واجاب فيه دعوة خليله ابراهيم امنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله
اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن
اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف
فاجعله امنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره
بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه
وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسماعيل صنما واحتج بقوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة
البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت انهن اضللن
كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن
اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا
مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض
المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني
اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك من ذريتي بعض اولادي وهم اسماعيل
ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج
بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل
ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم
الحرمة

من التبعيض اتاكم بعض جميع ما سألتموه

ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء

لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة اللام
متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخالي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم
ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك
الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك
افئدة من الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم
يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل
افئدة ناس وانما نكر المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة
بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة
اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف
وان كان الوجه ان يخفف باخراجها بين بين وان يكون من أفد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا
قوله يهوي بمخارمها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي
يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم
من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم
ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على
كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي
زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته
بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابراهيم ورزقنا طرفا
من سلامة ذلك القلب السليم النداء المكرر دليل التضرع واللجأ الى الله تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم
العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا
وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك و
تخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك كما يتملق العبد
بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجة الى كريم فابطأ
عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا
تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء
وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا
قال الى الله قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء
من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عم كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي
هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليك شيء ما على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله
اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع الحال ومعناه ان اسمعيل عم ولد له وهو ابن تسع

وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي

افئدة من افئدة الناس

رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم

وتسعين سنة وولد له اسحق عليه السلام وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين
واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر
لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من اجل
النعم واجلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابراهيم ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا
ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء
اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث
ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة
الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل
كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة
فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله ومن ذريتي عطفا على المنصوب
في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل
دعائي اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله وفي قراءة ابي رضي الله عنه ولابوي وقرأ سعيد بن جبير
رضي الله عنه ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ولولدي يعني اسمعيل واسحق
وقرئ ولولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف
ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع
جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار
الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم عم يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على
الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت
ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسأل القرية
وعن مجاهد قد استجاب الله لابراهيم فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق
اهله وجعله اماما وجعل من ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابراهيم ربنا اني اسكنت الآية رفعها الله فوضعها
حيث وضعها رزقا للحرم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله عم وهو اعلم
الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله عم ففيه وجهان احدهما
التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها
آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان
بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره وعلى سبيل الوعيد و
التهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون

من الغنة وهي الترنم مع الحزن وهي قراءة طيبة يتنعم بقراءتها بالغناء ه

اي كيف يحسبه رسول الله غافلا وهو اعلم الناس به فان لتنظيم الكلام

هواء وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من
زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال

551

ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته
فلا سهو فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ
نؤخرهم بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي
وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم
ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا
الى انفسهم وافئدتهم هواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال
للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف
نخب هواء وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خالية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم
العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيامة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من
الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم
موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من
عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا ما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله
اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل
لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار
وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه
بفي كقولك قر في الدار وغني فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها
واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا فيها طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم
في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار
والمشاهدة كيف فعلنا بهم اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما
فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم
وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه
بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه
يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب
زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية
واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله
وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم وقرئ
لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي
وان كاد مكرهم مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فاصله مخلف

رسله

سا
نؤخرهم

فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ
مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به
وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب

552

رسله وعده وقدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف
الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم
خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم
عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام
والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السماوات والتبديل التغيير وقد
يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف
كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسماوات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها
وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس رضي الله عنه هي تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين
عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها
وكونها ابوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسماوات اخر وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء
لم تخطأ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون
فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب
لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم
مع بعض ومع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون
في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل
وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق القطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو
ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته
الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود
اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القميص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم
واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او اوعد به في الآخرة
فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع
نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطرآن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني
المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على
وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ
وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى ليجزي الله اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة
لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية لهم في التذكير والموعظة
هذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا به معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا
به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا

وسماوات من ذهب وعن
الضحاك ارضا من فضة كالصحائف

فيه ثلاث لغات قطران وقطران

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون

553

ما أنذروا به وعنهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله عم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان ربما يود ربما بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى يكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعله ولا تشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذا المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لا فعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام الحجة ومبالغة في الانذار اعذارا فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه همة اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الاثر الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها واثنى الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم وقرأ الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول

الحجانين

وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين

554

المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض وقال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على الانذار كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها وقرئ ننزل بمعنى ستنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وتنزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار مثله قوله عز وعلا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله عم كقوله والله يعصمك في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقرئ يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر العارض كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن الزجاج

ال عنهما

ال عثمان

تأتيكم

[illegible]

[illegible]

احفظك من كل شيء الا من ابليس والثاني بمعنى جميع العقابيل الاعلى المستثنى [illegible]

والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شيء
الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين وانا لنحن نحيي ونميت ونحن
الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون والجان
خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة

انهم كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عم منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عم منعوا من السموات
كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار يقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان
او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها
معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة او اخراج الياء
بين بين وقد قرئ معائش بالهمزة على التشبيه ومن لستم له برازقين عطفا على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والمماليك والخدم الذين
تحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياكم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما به بتلك المثابة
مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور ذكر
الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار
معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح
يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين
نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون
على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظم قدرته واظهارا لعجزهم ونحن الوارثون اي الباقون
بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا المستقدمين من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب
الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة و
المستأخرين وروي ان حسناء كانت تصلي خلف رسول الله عم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها
وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم
وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط
علمه بكل شيء صلصال طين يابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في
صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحما الطين الاسود
المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب ليفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة
في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حما صفة
لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حما كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد
ذلك الى جوهر آخر والجان ابو الجن كادم عم للناس وقيل هو ابليس وقرا الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمزة من نار السموم من
نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال
ربك واذكر وقت قوله فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها وهياتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحي واحييته وليس
ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود
فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا واي استئناف على تقدير قول القائل يقول هلا

تشبيهها بالصحائف

كانه ما حاه حما مسنونا بمعنى مصورا ان يكون صفة لصلصال اي خلقه من صلصال

ابي خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع
الساجدين قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم
الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ان المتقين في
جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين

سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى فان حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون
مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في ابائك السجود واي داع لك اليه اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي
حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم
بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء او الى
جماعة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض
في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم
عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا
بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك
وانظر الى آخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه
لغيه بان امره بالسجود لادم عم فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر
الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما اغويتني
لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء
بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلته
بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار
الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو
في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها
اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه
يجرح في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه
وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل لموعدهم
الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها واولها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع
للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنه ان جهنم لمن ادعى الربوبية
ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين
وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرا الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب
في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه
مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على
ارادة القول وقرا الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم يسلم عليكم الملائكة الغل الحقد الكامن في القلب من
انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه
ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحارث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي
رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من

غل فقال

والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن

لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون

له قائل سلام الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب اخوانا حال على سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين ثم اتبع ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس رضي الله عنه غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الأليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفهم لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تأجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يوجل يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشروني يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريق يعني باي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله عز وجل ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشرون بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلفا لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر والسهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم

قال إنكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وإنا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين

الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لاهم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروي صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة وليلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العقاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحيناه اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش إن بالكسر على الاستيناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقضاتها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون بفضيحة لان من اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروني من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي

وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات للمتوسمين
وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين واتيناهم
اياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل

فانكحوهن وخلوا بناتي فلا تتعرضوا لهن ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما
اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط
عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتميزهم بين الخطاء الذي هم عليه وبين الصواب
الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحيوته وما اقسم بحيوة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا
القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم
به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبرائيل صلوات الله عليه مشرقين داخلين
في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل من طين عليه كتاب من السجيل ودليله قوله حجارة من طين مسومة عند
ربك اي معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط عم
وانها وان هذه القرى يعني اثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الاثار
وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين اصحاب الايكة قوم شعيب عم وانهما يعني قرى قوم
لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عم كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين
فجاء بضميرها لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب
فيه لانها مما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واد بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من
كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه
وعن جابر رضي الله عنه قال مررنا مع رسول الله عم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا
ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها امنين
لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث
الدهر او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال
والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال
وان الساعة لاتية فينتقم الله لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات
والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ
باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك
وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح
اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان رضي الله عنهما ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل
والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثياب سبعا سبع ايات وهي الفاتحة او سبع سور وهي
الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة
يونس وهي ال حم او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها
تبلغ
اي اسباع الحواميم

في الصلوة

ان ربك هو الخلاق العليم ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض
جناحك للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القران عضين فوربك لنسالنهم اجمعين

الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحد مثناة او مثنية صفة للاية واما السور او
الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغيره ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله
بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او التبعيض ان اريد بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان ان اريد
الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القران بعضها فان
قلت كيف صح عطف القران العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال
فما وراءهن ينطلق عليه اسم القران لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا
القران يعني سورة يوسف واذا عني الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع
لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم
اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت
فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القران العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا
من لم يتغن بالقران وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها
انواع البز والطيب والجوهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في
سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعني
لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من
فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان
وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد
اتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا بعنادهم
وعدوانهم بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا
يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة ال عمران لي ويجوز ان يراد بالقران ما يقرؤنه من كتبهم
وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل و
كذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله عم عن صنيع قومه بالقران وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان
غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر قريشا مثل
ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من
الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين
الذين يجزؤن القران الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة
ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم
لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بافات كالوليد
بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا

عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون
ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين بسم الله الرحمن الرحيم
اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده

561

صالح عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقته بقوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن
الى آخره بينهما قلت لما كان ذكر تسلية لرسول الله عم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهى
عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على الكفر اى على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها
عضوة فعلة من عضّى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة
العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحر عاضه ولعن رسول الله عم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول
واو وعلى الثاني هاء لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن ابى العالية يسأل العباد عن خلتين
عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا
كقولك صرح بها من التصديع وهو التفريق والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما
تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرايع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية اى
بامرك مصدر من المبنى للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس رضى الله عنهما
ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق
بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت
فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عينى الاسود بن المطلب فعمى
واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل الشجرة فجعل
ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع
فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى
ياتيك اليقين اى الموت اى ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبى عم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة عن
رسول الله عم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد سورة
النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
كانوا يستعجلون ما وعدوه من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله
اى هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روى انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار
بعضهم لبعض ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما
نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا
مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه
فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ عن ان يكون له شريك وان يكون
آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان
استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ يشركون بالتاء والياء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد
وقرئ تنزل الملائكة اى تتنزل بالروح من امره بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من الوحي او بما يقوم في الدين مقام

الروح

ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين
والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم

الروح في الجسد وان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم بان انذروا او تقديره بانه انذروا اى بان الشان اقول لكم
انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بان الامر
ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولى لا اله الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته وانه
لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله
وركوبه وجر اثقاله وساير حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلايقه ومثله متعال عن ان يكون يشرك به غيره وقرئ
يشركون بالتاء والياء فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين
للحجة بعد ما كان نطفة من منى جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل
من يحيى العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادى في كفران النعمة وقيل نزلت في ابى بن خلف
الجمحى حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله عم فقال يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية
واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اى خلق الانسان و
الانعام ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما
يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع
هي درها ونسلها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها تاكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها
قلت الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر
فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تاكلونها منها
وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض
اصحاب المواشى بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها
الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه
والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يوارى سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال
في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظاير حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون
وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزى
وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر
شق عليه الامر شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف
قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى
حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم
لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل
لم تكونوا حامليها اليه قلت طابقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم
الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل
اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤوف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل

والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء الله لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء
ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وهو الذي
سخر البحر لتأكلوا منه
لحما طريا وتستخرجوا
منه حلية

والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اي وخلق هولاء للركوب والزينة لم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم
انتصب وزينة قلت لانه مفعول له وهو عطف على محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت
لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة
لتركبوها او تجعل زينة حالا منها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق
فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان
له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما
خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر
والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل
عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير
اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة
لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء
اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او بشراب خبرا له والشراب ما يشرب
شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ تسيمون من سامت
الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض وقرئ
ينبت بالياء والنون فان قيل لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا يكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض
من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت
بالتشديد وقرأ ابي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع وقرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم
مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار
ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن
له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك
سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء
والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الاية وذكر العقل لان
الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار
يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد
يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا
لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر الناس اللحم على الاطلاق ان
لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله تعالى
سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية
هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم

من اضافة النوع الى الجنس

تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون
وعلامات وبالنجم هم يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد

المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب
والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت
بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا
والجبال اوتادا وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك
كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة و
سكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم
مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت
كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان
قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت فيه اوجه احدها انهم سموها الهة وعبدوها
فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة
بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل
يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد واذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف
يصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها
الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت
حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات
وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا
ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا يعد
ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين يدعون والالهة الذين
يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي
كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون
وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا الهة على الحقيقة لكانوا احياء غير
اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا
يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء
منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه اخر وهو ان يكون المعنى
ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات
لا حياة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا واجساد
الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وما
يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الالهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال

كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم

فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين واذا قيل لهم ماذا انزل
ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم
فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول اين
شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا
نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون

فكيف بشعور ما لا يعلم حتى الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس
منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان بكسر
الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان يكون الالهية لغيره وانه واحد لا شريك له
فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون
عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز
ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه ماذا منصوب بانزل يعني
اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين وانما رفعته فالمعنى المنزل
اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير
قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين
الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله عم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث
الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا
يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد مخافة
الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه
وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد اساطين البناء التي تعمده وقيل
الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات
كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف
وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف
ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد
من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف
بضمتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا في الدنيا ثم العذاب
في الآخرة شركاءي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون
وتخاصمون المؤمنين في شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها
مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم
فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن
سمعه وقيل هم الملائكة وقرئ يتوفيهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم
فسالموا واخبتوا وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء و
جحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم
عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول

ما يدعون نزوله اساطير الاولين ح

565

فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم
دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم
سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد
بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم
فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من
ناصرين

فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا
مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال
في شيء وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي عم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون
وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه
فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا
حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم
من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة حسنة في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز
ان يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن
جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة تاتيهم الملائكة وقرئ بالتاء والياء يعني ان تاتيهم لقبض الارواح
او امر ربك العذاب المستاصل او القيامة كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد
من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم
واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء
لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركبوه على
ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة
الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم
عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد امددنا وطال قدر السوء شبهة الشرك بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير
الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف و
منهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت
بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاءه حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص
رسول الله عم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن
يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدي اي لا يقدر احد
احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة
ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي رضي الله عنه فان الله لا هادي لمن يضل و
لمن اضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدي على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه يهدي بادغام تاء يهتدي
وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعي ان تحرص على هداهم بفتح الراء وهي لغية واقسموا بالله
معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توكيدا
لتوبيخهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وعدا مصدر

٢٨٣ 566

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون أفأمن الذين مكروا السيئات

مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة. ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب. قولنا مبتدا وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله عز وجل بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول. والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله عم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار رضي الله عنهم وعن صهيب رضي الله عنه انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر رضي الله عنه نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه. في الله في حقه ولوجهه. حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم. لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم. الذين صبروا على هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله. قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة فسئلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كأنه قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين. ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به

لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون

ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتصفحوا اي تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا. مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم. في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم. على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته اذا تنقصته قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر رضي الله عنه ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم. فان ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم. قرئ اولم يروا وتتفيأ بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيأ ظلاله واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع. من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم. فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد. فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم. يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته. من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء. فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريد

وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا
فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات
سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا
ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

الدلالة على ان المعنى به منها والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكد به فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك
لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل للكلام
عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن
مجيء ما قبله على لفظ المتكلم وله الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة
واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء ماثبتا
سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فمن الله فاليه تجأرون
فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا و
طورا جوارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو
اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز
ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم
للبيان لا للتبعيض كانه قال اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد
وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيتمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان
والتخلية واللام لام الامر ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع
وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذن جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة
اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا
اليهم تالله لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول
الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه وتعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز في
ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور فظل
بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما
مسودا الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل
سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون على هون وذل ام يدسه في التراب ام
يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التأنيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى من هو
من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق
واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد
الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها بشوم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة
رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس رضي الله عنه
من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات

ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله انزل من السماء
ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا
سائغا للشاربين

ومن شركائه في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها
وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل
من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع
الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية
وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
مفرطون قرئ بفتح الراء وكسرها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطته الى كذا
وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من
الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم
الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فعبر باليوم عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل
فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم
ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على
انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخلت اللام على التبيين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا
له ما كان فعلا لفاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم
والتحليل والانكار والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر
سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه
مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير
نعم كالاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه
يلقحه قوم وينتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف
كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما
برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف
العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف
الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته
والطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق رحمه الله عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من فرث
ودم سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين
وهين فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من
مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدأ متوصلة بنسقيكم كقولك
سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى
انه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج

ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس

بعض من يرى أن المني طاهر على من جعله نجساً لجريه في مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهراً فإن قلت بم تعلق قوله من ثمرات النخيل والأعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكراً بيان وكشف عن كنه الإسقاء أو تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتأكيد في قولك زيد في الدار فيها ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من أرمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فإن قلت فإلام يرجع الضمير في منه إذا جعلته ظرفاً مكرراً قلت إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى أو هم قائلون إلى الأهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكراً وسكراً نحو رشد رشداً ورشداً قال وجاؤونا بهم سكر علينا فأجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان أحدهما أن تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة رحمه الله إلى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة ولقد صنف شيخنا أبو علي الجبائي غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ وأخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فاستخف في المروءة وقيل السكر الطعم وأنشد جعلت أعراض الكرام سكراً أي تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر وأنه إذا ابترك في أعراض الناس فكأنه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز أن يجعل السكر رزقاً حسناً كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن وأوحى ربك إلى النحل ألهمها وقذف في قلوبها وعلمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه وإلا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علماً بذلك وفطنها كما أولى أولي العقل عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب إلى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على المعنى أن اتخذي أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتاً بكسر الباء لأجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فإن قلت ما معنى من في قوله أن اتخذي من الجبال ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت أريد به معنى البعضية وأن لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها من كل الثمرات إحاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها أي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهيها فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلاً من أجوافك ومنافذ مأكلك أو إذا أكلت الثمار في الأمكنة البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس فيها فقد بلغني أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد البعيد في طلب النجعة أو أراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي أكل الثمار فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللاً جمع ذلول وهي حال من السبل لأن الله تعالى ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً أو من الضمير في فاسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة

إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون

شراب يريد العسل لأنه مما يشرب مختلف ألوانه منه أبيض وأصفر وأحمر وأسود فيه شفاء للناس لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي عليه السلام أن رجلاً جاء إليه فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكأنما أنشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدي إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم إلى أرذل العمر إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لأنه لا عمر أسوأ حالاً من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله عليه السلام يقول إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت أفبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعم وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى أن الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعاً فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئاً من الرزق فإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم وقرئ يجحدون بالتاء والياء من أنفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أي خدماً يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكراً ورزقاً حسناً كأنه قيل وجعل لكم أولاداً هم بنون وهم حافدون أي جامعون بين الأمرين من الطيبات يريد بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها أفبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به كأنه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به شيئاً كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً على لا يملك أن يرزق شيئاً وإن أردت المرزوق كان شيئاً بدلاً منه بمعنى قليلاً ويجوز أن يكون تأكيداً للا يملك أي لا يملك شيئاً من الملك ومن السماوات والأرض صلة للرزق إن كان مصدراً بمعنى لا يرزق من السماوات مطراً ولا من الأرض نباتاً أو صفة إن كان اسماً لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لأن في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أولو الألباب من ذلك شيئاً فكيف بالجماد الذي لا حس به فإن قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما إلا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع إلى ما

المعنى لا يملكون

ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين
احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة
الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون الم يروا
الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها

ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الرزق والاستطاعة التوكيد او يراد
انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى منهم ذلك ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا لله مثلا تشركونه به او تقيسونه به
لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم
لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل
للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال
مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه
كيف يشاء فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر
لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على
التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها
موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان يكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل
يستوي الاحرار والعبيد الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما
يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع
ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين
قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من اثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام
التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه الق سعدا وقرا ابن مسعود رضي
الله عنه اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه
او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر
او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه
ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم
بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والاخرين يكون في اقرب وقت واوحاه ان
الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده وقرئ امهاتكم بضم الهمزة
وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحد قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون
شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى
السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا الة لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من
شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى
جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى وقرئ الم تروا بالتاء والياء
مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك في جو السماء الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو
والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من
الحجر والمدر والاخبية وغير ذلك سكنا فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب والابنية من

بيانه من جموع

يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم
سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم
الكافرون ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا راى الذين اشركوا
شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون

الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم
حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم
بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم
بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف
وسرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم
عندهم وقيل ما يقيكم البرد لكونه سيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل
تقيكم باسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه
الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم
من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعدما اديت ما وجب عليك
من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله
ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا
وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد
فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها
ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد
بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق
والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا الحس
ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت
معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة

مثال ابتلاه

ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا راى
العذاب يخففه ويثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الاية ان ارادوا بالشركاء آلهتهم
فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعوا
بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم
لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا هم فهم المعبودون
دونهم او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله تعالى من الشرك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين
في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقوا السلم الاستسلام لامر
الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم
وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين
خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم
تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد
قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون

بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء على
امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان في كسر اوله تلقاء وجوز الزجاج فتحه في غير القرآن فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل
شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله
وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته
اتباع اصحابه والاقتداء باثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق
القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل
هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره
بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذا قال رسول الله لمن علمه الفرائض فقال والله لا ازيد
فيها ولا انقص افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا
فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر الفرائض من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب
التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين رضي الله عنه اقيمت هذه الآية مقامها
ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه
وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون عهد الله هي البيعة لرسول الله على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله ولا تنقضوا ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو
والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمرأة التي انقضت
غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء
اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر
ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة
ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين
انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء
بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله عليه السلام ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة
المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة
مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر
ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف و
الخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو
كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا
لعظم ما يرتكب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم
عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم
يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش

استضعافهم

ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم
تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت

استضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى
الله عليه فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما
كانت قريش يعدونهم ان يعطوهم ان رجعوا انما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم من اعراض
الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام
فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة
فان قلت من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر
تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم
وعده لثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او
معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله
واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال فيه وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه وعن ابن
عباس رضي الله عنه الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق
في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال
الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم وكقوله اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد والارادة
بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرأت على النبي عليه السلام فقلت
اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه
جبرائيل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما
يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع
الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة
امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء
بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن
العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو
اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق
فان قلت هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس قلت
فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه
بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها في ينزل وتنزله وما ينزله من التنزيل
شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله
دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة روح القدس جبرئيل صلوات الله عليه اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم
الجود وزيد الخير والمراد الروح القدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها

الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون
بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم

الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى قالوا بالهدى موضع الحال اى نزّل ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى قالوا
فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لانه يتبع الحق وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة
وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول
اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف اراد بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن
اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان
جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما
يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللحد الشق يقال
الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة
فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين
والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو
بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي
يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل
لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اى يعلم الله انهم لا يؤمنون لا يهديهم لا يلطف بهم
لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم انما انت مفتر
يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اى هم الذين
لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اى واولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات
الله اعظم الكذب او واولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او واولئك هم
الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين
البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء
ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اى طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا
الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك هم من كفر
بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب
من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان
ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بدخولهم فكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد
للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم رضي الله عنهم عذبوا فاما سمية
فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما
اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال عليه السلام
كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله عليه السلام وهو يبكي فجعل رسول الله

بلغنا الكرم سلمها

يجعل

اى مبتدا متضمن للشرط

عليه السلام

مولاه واسلم

عليه السلام يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم
وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اى الامرين افضل افعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك
التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول
الله عليه السلام قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال ما تقول في قال انا اصم فاعاد
عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد
صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة
واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن
تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه
رضي الله عنهم ومعنى ان ربك لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه
فيكون محميا منفعة لا مضرة من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل
اى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم
تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين
الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها
فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها
الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اى جعل القرية التي هذه حالها
مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة
على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها وضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة
لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي عليه السلام بالموسم بمنى انها
ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة
موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها
في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر
الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به
من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم
ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان
ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار
الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال
لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في
لفظ الاعتجار

ال الصهر للاحاطة

ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل
وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابراهيم كان امة
حنيفا ولم يك من المشركين

ولو نظر اليه ينادي فيه لقيل نكاح لباس الجوع والخوف وقال كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال
التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف
عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ ولباس الخوف
والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما ابتلاه به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم
عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيبات وشكر انعامه
بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده
ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان
انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس
مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز
ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وللكذب
تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا
ولا تحللوا لاجل قول ينطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة
فان قلت ما معنى وصف السنتكم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت
به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب
بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم
بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع
الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر
مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم ما قصصنا عليك
يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين
للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم
لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس
كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة
وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن
نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت قد غلطت انما هو ابراهيم عليه السلام
فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال
حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم
حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله عم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت لله
ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون بالحجة فكانوا لا ينسدوه واعتابهم لم يصبروا عن الحب لسخم

ابتداء الحجرة بعد قوله ليس بينه وبين الله يوم القيامة

الله دون

شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين
انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك
في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض
تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرا عبد الله رضي الله عنه انا انزلنا السبت الى سبيل
ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا
تخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة و
موعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك اعلم بهم
فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد
سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل ونحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ
وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم وان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا
بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة
رضي الله عنه وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور
اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع
الصابرون موضع الضمير ثناء من الله تعالى عليهم بانهم صابرون على الشدائد ووصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا
عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين
ونحوه قوله عز وجل فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصبر انت
فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله فلا
تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن
صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول
ان الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين
احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان
منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى
لغتان وليلا نصب على الظرف فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ
التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه
قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به
يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر
وروي عن النبي عم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل

بالطريقة التي هي احسن ح

اسري به

الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني
وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا

من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضي الله عنه الحرم
كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ
وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان
يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله عم بحديث الاسراء فقال
ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس
ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال
اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر الى ثمه فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق
ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال
تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس
قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد
عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما رأى في السماء من العجائب وانه لقي
الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه
كان قبل البعث واختلفوا في انه كان في اليقظة ام في المنام وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول
الله ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها واكثر الاقاويل بخلافه وذكره المسجد
الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء صلوات
الله عليهم من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرأ الحسن ليريه بالياء
ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي
طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك الا تتخذوا وقرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان
افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء
على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقيل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا
اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير
صلوات الله عليهم وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت رضي الله عنه ذرية بكسر الذال
وروي عنه انه فتحها وفيه تذكير بانعام الله وانجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل
كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظمأني واذا
اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا
قضى حاجة قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار
عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته
لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به

البعث

وحمل

وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس
شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما

وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا للاختصاص والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين
مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى
بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون
في الكتاب في التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان تجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه
قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عم
وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرئ
عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس رض جالوت
قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث
الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله تعالى
اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقوله
الداعي وخالف بين كلمتهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق
التوراة من جملة الجوس المسند اليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار فما تطمع ما معنى
وعد اولاهما وكان وعد الله مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي
الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ
بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى
النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الآخرة
بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة
والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوءن
بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ ولنسوءن بالنون المخففة واللام في وليدخلوا على هذا
متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه
واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان
عدتم مرة ثالثة عدنا اي عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله اليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم
وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم
هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما
يبسط الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد
مع الاثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر
بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك
وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى

الغرض انه اسم جمع وليس بتكسير

الجزية

اي وقت نزول الاية

583

ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا

انه يبشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعو لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا لا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي عم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا ألم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي عم دعا به فاعلم بشانه فقال عم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي عم اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنه هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا وفيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار

آيتان في انفسهما فيكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسة مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة ~~مسمى الصدق وسهم من سائر~~ اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما يفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ يخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه

والنهار

من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا

٢٩٢

584

فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتاول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة وكانه يقول كان حتى امرنا فلم يكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله عم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عم انه سيامر اي سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من امر وامره غيره وامرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وعلا فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد ان للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله عز وجل ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر

ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك الا تعبدوا الا
اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما

للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر
اليه مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله سعيها حقها من السعي وكفاها من الاعمال الصالحة اشترط ثلاث شرائط في كون
السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك
والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة
وعمل مصيب وتلا هذه الآية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف
اليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا
على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار
كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الآخرة التفاوت اكبر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي
ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق
على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا و
ابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة
اكثر درجات واكبر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة
بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى
صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك ومن الخذلان والعجز عن النصرة ممن
جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا
تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا
وقرئ ووصى وعن ابن عباس رضي الله عنه ووصى ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان
المصدر لا يتقدم عليه صلته اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في
الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه احدهما فاعل يبلغن
وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين كلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا
فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت
لانه معطوف على ما لا يصلح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك
لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية
لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول اف
صوت يدل على تضجر وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء
والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو
ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق
عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مأمور

بان يستعمل

ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

بان يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر
منهما او يستثقل من مؤنتهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث
افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في
مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال
لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه
مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا كما
يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابراهيم عليه
السلام لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة
الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا وقرئ جناح الذل
والذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون
المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما
اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان تجعل لذله
او لذلة لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع
لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق
الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية
واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما
يصح اذا كانا مسلمين قلت وان كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو
الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن
عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان
شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي
صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء
ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغير فهل
قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت
تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه يأخذ ماله فدعا
به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا
غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو

ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا

ويبخل علي بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال
للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكى اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة
الخلق حين حملتك تسعة اشهر فقال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال
انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها
قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال عليه السلام ما جزيتها ولو طلقة
وعن ابن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه وهو يقول انى لها مطية
لا تذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني
جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق
الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع
رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب
بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله نعله ولا يناوله الخمر ويأخذ منه الاناء اذا شربها
وعن ابى يوسف رحمه الله اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة
رضي الله عنه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين
فقال عليه السلام دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن بر
الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع
صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن
وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما وعن النبي
عليه السلام صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه بما في
نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا
صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر
وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدى الى اذاهما ثم انبتم الى الله
واستغفرتم منها فانه كان للاوابين التوابين غفورا وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه
هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب
الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية

ثم تاب منها

ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لورود على اثره وآت ذا القربى حقه
والمسكين وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم
كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب كان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابى حنيفة رحمه الله
والشافعي لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء
العم فحقهم صلته بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك
والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكوة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذوي
القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقرباء رسول الله عم ولا تبذر تبذيرا التبذير تفريق المال فيما
لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر
والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله
هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة
في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمرو مر رسول الله
بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد فقال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار
اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم
واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد
وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان الشيطان
وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم
غير مجابين اذا سألوك وكان النبي عم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء
وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اى فقل لهم قولا سهلا لينا
وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اى ابتغ رحمة الله التي
ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اى وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو
ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق
مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون
معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض
بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطى اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد
الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم بيسر
عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اى دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح
واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما
عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول
المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا

منقطعاً تدبيراً بك لاشىء عندك من حسرة التحسّر اذا بلغ منه وحسره بالمسئلة وعن جابر رضى
بينا رسول الله عم اتاه صبىّ فقال ان امّى تستكسيك درعاً فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعُد
الينا فذهب اليها فقالت له قل ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه
وقعد عرياناً واذن بلال رضى وانتظروا فلم يخرج الى الصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة
من الابل وعيينة بن حصين فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول اتجعل نهبى ونهب العبيد بين عيينة
والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدّى فى مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم
لا يرفع فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عنى اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلّى رسوله
عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيّته
فى بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما
من امر الله الذى الخزائن فى يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عزّ وعلا يبسط لعباده
او يقبض فانه يراعى اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه
فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم هو وأدُهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهى الاملاق
فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خِطْئاً بكسر الخاء وقرئ خَطَأً وهو الاثم يقال خطئ خِطأً
كأثم إثماً وخَطَأً وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحِذْر وخِطاءً بالكسر
والمد وخَطاء بالفتح والمد وخَطْأً بالفتح والسكون وعن الحسن خَطاً بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابى
رجاء بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلاً وبئس طريقاً طريقه
وهو ان تغصب على غيرك امرأته واخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو النكاح الذى
شرعه الله الا بالحق اى باحدى ثلث الا بان تكفر او تقتل مؤمناً عمداً او تزنى بعد احصان مظلوماً
غير راكب واحدة منهن لوليه الذى بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولى
فالسلطان وليه سلطاناً تسلطاً على القاتل فى الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف
الضمير للولى اى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم
واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال
كل قتيل فى كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف
المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرفُ بالرفع على انه خبر فى معنى الامر وفيه مبالغة ليست
فى الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولى او قاتل المظلوم وفى
قراءة ابىّ رض فلا تسرفوا ردّه على ولا تقتلوا انه كان منصوراً الضمير اما للولى يعنى حسبه ان
الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان و
باظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث
اوجب القصاص بقتله وينصره فى الآخرة بالثواب واما للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف

فى قتله

فى قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف بالتى هى احسن وهى حفظه عليه وتثميره ان العهد كان
مسئولاً اى مطلوباً يطلب من المعاهد ان لا يضيّعه ويفى به ويجوز ان يكون تخييلاً كأنه يقال
للعهد لم نُكثت وهلا وُفى بك تبكيتاً للناكث كما يقال للموؤدة باى ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان
صاحب العهد كان مسئولاً وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر
او كبر من موازين الدراهم وغيرها واحسن تاويلاً واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع
وهو ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعنى
ولا تكن فى اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكاً لا يدرى انه يوصله الى مقصده فهو
ضالّ والمراد النهى عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهى عن التقليد دخولاً
ظاهراً لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف
اخاك المسلم اذا مرّ بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تره ولم تسمع وقيل
القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى
يأتى بالمخرج وانشد ومثل الذى تُتم العرانين ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا اى التقاذف
وقال الكميت ولا ارمى البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا وقد استدل به مبطلوا
الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به
اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه فى موضع الرفع
بالفاعلية اى كل واحد منها كان مسئولاً عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى قوله غير
المغضوب يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت
على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واواً بعد الضمة فى الفؤاد
ثم استصحب القلب مع الفتح مرحاً حال اى ذا مرح وقرئ مرِحاً وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل
لما فيه من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقاً بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرُق
بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولاً بتطاولك وهو تهكم بالمختال وقرئ سيّئةً وسيّئُه على اضافة ضمير الى
كل وسيّئات فى بعض المصاحف وفى قراءة ابى بكر الصديق رض كان شأنه فان قلت
كيف قيل سيئة مع قوله مكروهاً قلت السيئة فى حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات
فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئاً الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول
السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها
حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة فما وجه قراءة سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهى عنه
خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى
هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رض هذه الثمانى
عشرة آية كانت فى الالواح موسى عم اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له فى الالواح

من كل شئ موعظة وهى عشر آيات فى التورية ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك
لان التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكما
وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفاكم
خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعنى افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل
الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة
وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون
اردأها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه الاولاد وهى خاصة با
لاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم
على خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا فى هذا القرآن يجوز ان
يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا
القول فى هذا المعنى او وقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القرآن
الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعنى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ
صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا وقرئ مشددا ومخففا اى كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما
يحتج به عليهم فما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها
قال زادنى لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا وقرئ كما تقولون بالتاء والياء واذا دالة على ان ما
بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذى العرش سبيلا
لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة علوا فى معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر
المبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع
وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فان قلت
فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وان
كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم
فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن
لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة
وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازى حاصل
فى الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة فى حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان
حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا
ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه

حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب ستر ان يبصر فكيف يحجب المحجوب به يبصر المحجب
وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب كانه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان
قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قال ومنعناهم ان يفقهوه يقال وحد يحد
وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك و
طاقتك فى انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى
التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اى يحبون ان تذكر مع آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد
نفروا بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من
عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه فى
موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اى هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اى اعلم وقت استماعهم
بما يستمعون به واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا
سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة اى هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر
والمجنون فضلوا فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى امره
لا يدرى ما يصنع لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قولهم كونوا على قولهم
كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون
ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحى وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة
مع ان العظام بعض اجزاء الحى بل هو عمود خلقه الذى يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله
بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شئ من الحيوة ورطوبة الحى ومن جنس ما ركب منه البشر وهو
ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال
الحيوة او خلقا مما يكبر فى صدوركم يعنى او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم فى زعمكم على الخالق
احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر فى صدورهم الموت وقيل السموات والارض فسينغضون فسيحركون
كونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون
مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اى حامدين وهى مبالغة فى انقيادهم للبعث
كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعنى انك تحمل
عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير رض ينفضون
التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون
مدة لبثكم فى الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا فى انفسهم حين عاينوا الآخرة
وقل لعبادى وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التى هى احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم
بالتى هى احسن وفسر التى هى احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم وان يشأ يعذبكم يعنى يقولوا لهم

هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم
ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم
على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك
امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رض
شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله ص
فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقراء طلحة ينزغ بالكسر وهما
لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم
ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون
ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم
ومقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة
الى تفضيل رسول الله ع م وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء
وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود ع م قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر الآية وهم محمد وامته فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور
قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود
بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله ع م من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض الزبور
كما سمي بعض القرآن قرآنا هم الملائكة وقيل عيسى ابن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم
ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا والذين ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم
الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه اولئك مبتداء
والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة
الى الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف
الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون
ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم
من عباد الله فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من
ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم نحن مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل
وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن
مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك
والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب
في اللوح استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة

تقديرها

تقديرها وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب
الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله عز وجل في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب
اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال والمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من
الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا
بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل
وقد عزمنا ان نؤخر امور من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون
ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة
من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها
وما نرسل بالآيات ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب
العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما
نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة واذ قلنا لك ان ربك
احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم
وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان
قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله ع م
في العريش مع ابي بكر رض كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض
الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد
ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان
فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله ع م من امر بدر وما ارى في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون
ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية
وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر من جنس لا تاكله النار فهذا وبر
السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل
سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمى كالجمر باحماء النار فلا يضرها ثم اقرب من ذلك
انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما
نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في
منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم
فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا
فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من
يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول
المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باسمائها

عند الكرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم ابن شركائی ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل
مكة وقيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت
اين لعنت في شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لهي طاعموها من الكفرة والظلمة لان
الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها
الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون
وسالت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس رض هي الكشوث الذي يلتوي
بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ الشجرة الملعونة بالرفع على انها
مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك طينا حال اما من الموصول
والعامل فيه اسجد على اسجد وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على اسجد
لمن كان في وقت خلقه طينا ارايتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن
هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي اي فضلته وانا خير منه فاختصر الكلام
بحذف ذلك ثم ابتداء فقال لئن اخرتن واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن
ذريته لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من
الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي آكلهما فان قلت من اين علم ان ذلك
يتسهل له وهو من الغيب قلت اما ان يسمعه من الملائكة وقد اخبرهم الله به او خرجه
من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل
قال ذلك لما علمت وسوسته في آدم ع م فالظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم ع م من الشجرة اذهب
ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا
وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء كما
قال موسى ع م للسامري فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من
حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان
جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين
على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار
تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة
استفززه استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل والخيالة ومنه قوله ع م
يا خيل الله اركبي ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب
ومعناه جمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما
يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه
بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار

اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده
من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش
من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية
يحملهم عليها في بابهما كالربوا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف
ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد
الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد
الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله تعالى بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب
بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما و
ايثار العاجل على الاجل ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم
وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف
جاز ان يامر الله ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت
هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم يزجي يجري
ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من
تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم بالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم ولكن الله وحده
هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف
تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بنخسف مفعولا به
كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان نخسف جانب البر اي نقلبه
وانتم عليه فان قلت فما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته
سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده
مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت
التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه
في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي
الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم
بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل
بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي
نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت
الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء
اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون التبيع المطالب من قوله
فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه

اي سيطر عليه مطالب بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احداً يطالبنا بما فعلنا
انتصاراً منا ودركاً للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفركم النعمة
يريد اعراضهم حين نجاهم قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط و
الصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطه على ما في الارض
وتسخيره له وقيل كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاماً فدعا
بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم
جعلنا لهم اصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو
ما سوى الملائكة عليهم السلام وحسب بني آدم تفضيلاً ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند
الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة
على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع
التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه
من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالاً واخباراً منها قالت الملائكة ربنا انك
اعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي
وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيراً بمعنى جميع في هذه
الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان
معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم
وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الاعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين اهلك مدائن
قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم قرئ يدعوا بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء
للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واواً في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار
اذكر ويجوز ان يقال ان الواو علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى
ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبي
او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب
اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير
ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات
دون الآباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى وليت
شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك
يقرؤن كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم
كأن اصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما يأخذ

المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل
والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية
القول فكأن قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤن
كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم
اقرؤا كتابيه ولا يظلمون فتيلاً ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئاً فلا
يخاف ظلماً ولا هضماً معناه ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الآخرة اعمى كذلك واضل سبيلاً من الاعمى
والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما
في الدنيا فلفقد النظر واما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني
بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول ممالاً والثاني مفخماً لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت
الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة
في الطرف معرضة للامالة روي ان ثقيفاً قالت للنبي عليه السلام لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر
بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو
موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند رأس الحول وان تمنع من
قصد وادينا وج فعضد شجرة فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وجاؤا
بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون
ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله عليه السلام فقالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب
ينظر الى رسول الله عليه السلام فقام عمر رضي الله عنه فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم
ناراً فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمداً فنزلت وروي ان قريشاً قالوا اجعل آية رحمة آية عذاب
وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين
عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتقول علينا
ما لم نقل يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيداً والوعيد وعداً وما اقترحته ثقيف
من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه واذن لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
خليلاً ولكنت لهم ولياً وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا
لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج والهاب من الله له
وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذاً لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا
الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات
وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى

فزده عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا
ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة
الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز
ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب
النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر
الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين
على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل
والتوحيد نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة
للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه
الآية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية و
ازدياد التصلب في دين الله وعن النبي عم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي
طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض
من ارض مكة واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم و
كان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا
عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك
ان رسول الله صم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا
القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت
الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول
الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صم على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه
اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت
فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي بن كعب رض لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين
قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في
خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف على
جملة قوله ان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب
بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين
ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة دلكت
الشمس غربت وقيل زالت وعن النبي صم اتاني جبرائيل عم لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى
بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك
الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرج منها الظهر والعصر والغسق

الظلمة

الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لانها ركن كما سميت
ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا
يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار
ويشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون
وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر
الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود
للصلوة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات
الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى
ان التهجد زيد لك على الصلوات الخمس المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع
لهم مقاما محمودا نصب على الظرفية اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن
يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام
الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات و
قيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رض مقاما يحمدك فيه الاولون
والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت
لوائك وعن ابي هريرة هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا
تكلم نفس فاول مدعو محمد عم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك واليك لا منجا ولا ملجأ منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك
رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح
بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق واخرجني منه عند البعث اخراجا
مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين
امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح
واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله
من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل
هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او
ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك
من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده
لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه عم انه استعمل عتاب بن اسيد رض على اهل مكة
وقال عم انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن فقال لا
والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة

الاساقف فقال اهل مكة يا رسول الله لو استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال عم
انى رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا
شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرة المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان
السلطان النصير كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رض
كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اى رب حتى متى
تعبد هذه الاصنام حولى دونك فاوحى الله الى البيت انى ساحدث لك نوبة جديدة فاملأك
خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج
حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبرائيل عم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتى
صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة فى عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه
حتى القاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به
فحمله رسول عم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا
اسحر من محمد والنكاية البيت والوحى المبطل وتخييل وزهق الباطل وزهق وهلك من قولهم
زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير
ثابت فى كل وقت وقرئ وننزل بالتخفيف والتشديد من القران من للتبيين كقوله من الاوثان
او للتبعيض اى كل شئ نزل من القران فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون
به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبى عم من لم يستشف بالقران فلا شفاه
الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اى نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد
بنفسه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ ان يوليه عرض وجهه والنأى
بالجانب اى يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين
واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد الياس من روح
الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء فى رأى ويجوز
ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل احد يعمل على شاكلته اى على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله
فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهى الطرق التى تتشعب منه والدليل عليه قوله
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى اسد مذهبا وطريقة الاكثر على انه الروح الذى فى الحيوان ثم
سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اى مما استاثر بعلمه وعن ابى بريدة لقد مضى النبى عم
وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحانى اعظم من الملك وقيل جبرائيل عم وقيل القران
ومن امر ربى اى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن
اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبى وان اجاب

عن بعض

عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التورية فندموا
على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروى ان رسول عم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا
الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم توتوا من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة
تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض
من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف
الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التى اوتيها العبد خير
كثير فى نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهى قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة
لانهم قالوا للنبى عم قد اوتينا التورية فيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا
فقيل لهم ان علم التورية قليل فى جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء
الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن
الصدور والمصاحف فلم نترك به اثرا وبقيت كما كنت لا تدرى ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد
الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان
يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمة تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى
ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله ببقاء القران محفوظا
بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذى علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين
والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه فى صدره ومنته عليه ببقاء
المحفوظ وعن ابن مسعود رض ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة
وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم منه شئ فقال رجل
كيف ذلك وقد اثبتناه فى قلوبنا واثبتناه فى مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم
فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما فى القلوب لا ياتون
جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جواب الشرط كقوله يقول لا غائب
مالى ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اى لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل القران فى بلاغته
وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب
من النوابت ومن زعمهم ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث
يكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال
الذى لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثانى القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه
ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا
ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقايق ولقد
صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه والكفور الجحود

فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متأول
بالنفى كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات
ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر فى اذيال
الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر وتفجر وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض
مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب
الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من
السماء قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا
بصحته والمعنى او تأتى بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدى بريئا وانى وقيار
بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا
او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب فى السماء فى معارج السماء فحذف المضاف
يقال رقى فى السلم وفى الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا
من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رضى الله عنه قال عبد الله بن ابى امية لن نؤمن لك حتى
تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك منشور معه اربعة
من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد
واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا
فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية
التى هى القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هى اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل
قل سبحان ربى وقرئ قال سبحان ربى اى قال الرسول وسبحان ربى تعجب من اقتراحاتهم عليه
هل كنت الا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهر الله عليهم
من الآيات فليس امر الآيات الى انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها ان الاولى نصب مفعول
ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحى اى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
الا شبهة تلجلجت فى صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة فى ابعث الله للانكار
وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحى الا الى امثاله
او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان فى الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشى الانس ولا
يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين فى الارض
قارين لنزلنا عليهم ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد واما الانس فما هم بهذه
المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت
هل يجوز بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا
بينى وبينكم على انى بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين

والمنذرين خبيرا باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وتهديد البين
او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف
ينفع فيه كقوله عز وعلا يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم
قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما
كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون
ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان فى هذه
اعمى فهو فى الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤفى الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد
اخبر عنهم فى موضع آخر انهم يقرؤن ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم و
افنتها وسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة
بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها
لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك فى تحسيرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل فى
الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ائنا لمبعوثون خلقا
جديدا فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى
قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم
من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم
اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان تدخل على الافعال
دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فى لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا
على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذى هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط
ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذى يقتضيه علم
الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم
المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتنى وقول المتلمس ولو غيره اخوالى
ارادوا نقيصتى وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام فى صورة المبتدأ
والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية
التى لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار
وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل تقدر
لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك وعن ابن عباس رضى الله عنه
العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى
اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن
عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا
هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز

مكشوفات وفوات وحجتها عدتها كلها حجارة وعن صفوان بن عسال رضه ان بعض اليهود سأل رسول الله
عن ذلك فقال عم اوحى الله الى موسى عم ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا
تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببري الى
ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة فلا
تعدوا في السبت فسل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني
اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم
وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همزة وهي لغة
قريش وقيل فسل بني اسرائيل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه
عن الآيات ليزدادوا يقيناً وطمأنينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت
كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول
فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على
الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبرونك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم مسحوراً سحرت
فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله عز وجل بصائر
بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً
وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه
الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحوراً
فانا اظنك مثبوراً هالكاً وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك
ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك
مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحوراً قول كذاب وقال الفراء مثبوراً مصروفاً عن الخير
مطبوعاً على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقراءة ابي بن كعب رضه
وان اخالك يا فرعون لمثبوراً على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفز موسى وقومه
من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان استفزه
الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد
الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفاً جمعاً مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز
بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما
انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبساً بالحق والحكمة لاشتماله
على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا بالحق والحكمة محفوظاً بالرصد من الملائكة
وما نزل على الرسول الا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم
بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك
وقرآناً منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابي رضي الله عنه فرقناه بالتشديد اي جعلنا

نزوله

قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا
لمفعولاً ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً

٣١٣

نزوله مفرقاً منجماً وعن ابن عباس رضه انه قرأه مشدداً وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله
وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم على مهل
وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلاً على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم و
احتقارهم والازدراء بشأنهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا
في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيراً منهم وافضل وهم العلماء الذين
قرأوا الكتاب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود
في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجداً وسبحوا الله تعظيماً لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة
وبشر به من بعثة محمد عم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولاً
ويزيدهم خشوعاً اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا
العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلاً لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون
تعليلاً لقل على سبيل التسلية لرسول الله عم وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء
وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للذقن قلت
السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض
من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه
فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعاً لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه
ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت
لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين عن
ابن عباس رضه سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو
يدعو الهاً آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية هذا الاسم
فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيداً ثم
يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيداً والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو
للتخيير يعني ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا الاسم واذكروا اما هذا
واما هذا والتنوين في اياً عوض عن المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي هذين
الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين
المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وجل لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياً ما تدعوا
فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان
لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم
بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان
على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله عم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون

لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركون ولا تخافت حتى لا تسمع
من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته
بالقراءة في صلوته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي الله عنه يرفع صوته ويقول ازجر
الشيطن واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ره ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر
بصلوتك ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار
وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل
مثل لانتحاء الوجه التوسط في القراءة ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال
احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة
التحميد قلت لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي عم
اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله عم من قرا سورة بني اسرائيل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية ٥

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة
الاسلام وما انزل على عبده محمد عم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له
عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف
والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت
الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل
فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره
ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت
ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التاكيد
فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على
ساير الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع
وقرئ قيما انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما و
اصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب
وبؤس الرجل باسا وباسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع
اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي
انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير
الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر

به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم
اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد تلقفه
اباؤهم من الشيطن وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه
ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل
اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز وبالرفع على الفاعلية
والنصب على المفعولية اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة
تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون
به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره
فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت
قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا
وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقته احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه
وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال
فيمن قرا ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون
حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها
ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار
بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها
بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من
الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف
وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها
الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف
وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل
مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك
رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة
الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك اسدا فضربنا على
آذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى
المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون
بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده
كقوله عز وعلا لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى ان يعد
واذا كثر احتاج الى ان يعد اي يحصى لمعنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه

ايضاً لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعولها نعلم اى الحزبين المختلفين
منهم فى مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا فى ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اى الحزبين المختلفين
من غيرهم احصى فعل ماض اى ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل
قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق
شاذ والقياس على الشاذ فى غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما
ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت انى انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر فى قوله واضرب منا
بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم
رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله العلم باحصائهم المدة غرضا فى الضرب على آذانهم
قلت الله عز وجل لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا
ويكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها
بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ
قاموا بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض
شططا قولا ذا شطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط فى السوم وفى غيره هؤلاء مبتدا
وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار فى معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف
بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد
وانه لا بد فى الدين من حجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم
لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعنى واذا اعتزلتموهم واعتزلتم
معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روى انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة
وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ
بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اى ينتفع انما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم
عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبى فى عصرهم واما ان يكون بعضهم انبياء اصله تتزاور فخفف بادغام
التاء فى الزاى او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه
زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم
تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن
الفوارس وهم فى فجوة منه وهم فى متسع من الكهف والمعنى انهم فى ظل نهارهم كله لا يصيبهم الشمس فى طلوعها
ولا غروبها مع انهم فى مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل فى متسع من غارهم
ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اى ما صنعه الله بهم من ازورار
الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعنى ان ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم

بالكرامة

وقيل باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقنأة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم
من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا فى الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم
وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين
فهو الذى اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان
الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد فى نكد قيل عيونهم منفتحة
وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة
فى يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر
يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرأ جعفر الصادق رضى الله عنه وكالبهم اى
وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى المضى واضافته
اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة
وقيل الباب وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها على ومعروفى بها غير منكر وقرئ لملئت بتشديد اللام
للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذى يرعب الصدر
اى يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم
وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك
قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهى حتى اعلم علمهم
فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ لو
اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث
جميعا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا
يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على
الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ ربكم اعلم بمدة لبثهم كأن
هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله
وروى انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم فى يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم و
شعورهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم
بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا فى شىء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ومنه الحديث
ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ
بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف فى الكاف وعن
ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين على غير حده وقيل المدينة طرسوس
قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأى المتوكلين
على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما فى اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضى الله عنها لمن سألها

عن محرم يشد عليه هميانه او نفقتك عليك نفقتك وما حكى عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى
ان يرزق حج بيت الله وتقول منه ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم فوج منهم على الحج اتوه فبذلوا
له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا
السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اى اهلها فحذف الاهل كما فى قوله واسئل
القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره
من امر المبايعة حتى لا يغبن او فى امر التخفى حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعنى ولا يفعلن ما يؤدى من
غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير فى انهم راجع الى الاهل المقدر
فى ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهى الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم فى ملتهم
بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود فى معنى الصيرورة اكثر شئ فى كلامهم يقولون ما عدت
افعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم فى دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم
وبعثناهم لما فى ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث
وان الساعة لا ريب فيها لان حالهم فى نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث اذ يتنازعون
متعلق باعثرنا اى اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون فى حقيقة البعث فكان
بعضهم يقول تبعث الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها
كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اى على باب كهفهم لئلا
يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلعم بالحظيرة قال الذين غلبوا
على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلى فيه المسلمون
ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اى يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون فى
قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف
يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روى ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت
ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد فى ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف
قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف
ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون منى انا احب احباء الكهف وكانوا يعبدون
فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقيل ان بعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته فى
البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه
ان يبين لهم الحق فالقى الله فى نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه
ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا
فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على
الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا

الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم فى المنام
كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم لما
تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا
ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين فى حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا
فيهم على عهد رسول الله صلعم من اهل الكتاب سيقولون الضمير لمن خاض فى قصتهم فى زمن رسول الله صلعم من اهل
الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجرى
بينهم من اختلافهم فى عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رض انا من
اولئك القليل وروى ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبى صلعم فجرى ذكر اصحاب الكهف
فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم
وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلعم عن لسان جبرائيل عم
وعن على رضه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشليينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش
ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى امره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من
ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير فان قلت لم جاء بسين الاستقبال فى الاول
دون الآخر قلت فيه وجهان احدهما ان يدخل الآخرين فى حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع
فى الفعلين جميعا وان يريد بيفعل معنى الاستقبال الذى هو صالح له رجما بالغيب اى يأتون به او وضع الرجم
موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم
فرق بين العبارتين الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اى المظنون وقرئ ثلاث رابعهم
بادغام الثاء فى تاء التأنيث وثلاثة خبر مبتدأ محذوف اى هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم
جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت فما هذه الواو الداخلة
على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين قلت هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما
تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة فى نحو قولك جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف ومنه قوله تعالى وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر
وهذه الواو هى التى آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا
بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث
قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضه حين وقعت الواو انقطعت العدة اى لم يبق بعدها عدة عاد
يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير
فى سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اى سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا فى قليل منهم واكثرهم
على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب فى شأن اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه
وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم فى الرد عليهم كما قال

وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت فيهم ولا تسأل احدا عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه
وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك
بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل
من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشية الله دون فعله
وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله
ان تقوله بان يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيئته وهو في موضع الحال يعني
الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تأبيد
كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء
الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر
وعن ابن عباس رض ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير رض ولو بعد يوم او شهر او سنة وعن طاوس
هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة
الفقهاء رحم الله انه لا اثر له في الاحكام ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا ح رح خالف ابن عباس رضي الله عنه في الاستثناء
المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو ح رحمه الله هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضى
ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك
بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا
تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة
المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني
نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص
الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر
ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة
ولعل النسيان كان خيرة اي خيرا كقوله او ننسها نأت بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين يريد
لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين
عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به
وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله رض وقالوا لبثوا
وسنين عطف بيان لثلاثمائة وقرئ ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله
بالاخسرين اعمالا وفي قراءة ابي ثلاثمائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه
بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على
التعجب من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك
السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن

كما يدرك

كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من ولي من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه
احدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل
له واتل ما اوحي اليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر احد
على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا
ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلعم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم
ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك
واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذويب فصبرت عارفة لذلك
حرة ترسوا اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر
والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير
كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني
القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا
اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا يعدهم عيناك او ولا تعل
عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى
الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي لا
تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل
الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلعم ان يزدري بفقراء المؤمنين
وان تنبو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال
من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته
وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين
كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل
الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق
والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ
محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلة فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة
او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مأمور بان
يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط
وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان محيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف
بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي
الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلعم هو كعكر الزيت فاذا قرب
اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت

من نفقا والاخلاء انفاق لاهل النار ولا تكاه الآن يكون من قوله اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيناي فيها القتاد

مذبوح لكنا خبر ان وانا لا تنفيع اعتراض ولكن ان يحتمل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او يحتمل اولئك كلاما مستانفا بيانا

للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدا قلت من احسن عملا والذين امنوا

وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن

منوان بدرهم من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس

وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة

المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين اي مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا

اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات

في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف

فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه

دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني

جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين

بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق

بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد جنتين من اعناب بستانين

من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها

مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول

واحد فتزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات

والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب

الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به

وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بفتح الكاف وهو تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه

لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقراءة عبد الله كلا الجنتين آتى اكله برد الضمير على كلا وكان له ثمر

اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة

من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعني انصارا

وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسائله

فاخذ بيد اخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال

دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي

وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي

مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة

جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله

وترى اكثر

وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم

من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك

مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع

له طلبا واحيط بثمره

وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه

ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة

خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا

لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا

وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه

لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سواك

عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب

بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان

فكان الادغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك

وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرا ابن عامر باثبات الف انا في

الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا عن حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو

انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقراءة ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة

عبد الله رضه لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله

لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرو حاضر ما شاء الله يجوز ان يكون ما موصولة مرفوعة المحل

على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء

الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر

الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده

ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها

هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير رضه انه كان يثلم

حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج من قرا اقل بالنصب فقد جعل انا

فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل الخبر خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد

في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى

فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان

بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حسابا

كذبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهو الصواعق صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها

زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط بثمره عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به

فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قوله اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم

العدو اذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم تقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك

بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق

بيان النادم

[illegible]

فعمارتها فهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرّشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها يا ليتني تذكّر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان قرئ ولم يكن بالياء والتاء وحُمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدّق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس رض تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا الباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة تسير من سيّرت ونسير من سيّرنا ونسير من سارت اي تسير في الجو او يذهب بها بان تجعل هباء منبثا وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى

وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكروا بمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا لقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك من المعاصي شيئا الا احصاها اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر وكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس رض الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنى وعن الفضيل كان اذا قراها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيبه اطفال المشركين بذنوب آبائهم كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم عم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضادّه وزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين بمعنى وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسوله عم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقراءة علي رض متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقراءة الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وبسكون الضاد وعضدا بفتحتين وعضد بضمتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه

لقد جئتمونا منصوب بقول مضمر ويوم نسير منصوب بفعل مضمر [illegible]

[illegible marginal notes]

واعاً انه يقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخاً لهم واراد الجن والموبقاً المهلك من وبق يبق وبوقاً ووبق يوبق وبقاً اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدراً كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم وادياً من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركاً يهلكون فيه جميعاً وعن الحسن موبقاً عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيمة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيراً وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفاً معدلاً قال ازهير هل عن شيبة من مصرف اكثر شيء جدلاً اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدال ان فصلتها واحداً بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلاً على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى بنصب الثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان تأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلاً عياناً وقرئ قبلاً انواعاً جمع قبيل وقبلاً بفتحتين مستقبلاً ليدحضوا ليزلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا يجوز ان يكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفاً اي وما انذروه من العذاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزؤاً بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك من بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكراً في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملاً على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابداً مدة التكليف كلها واذن جواب وجزاء فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول يعني انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سبباً في انتفائه على انه جواب للرسول عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصاً على اسلامهم فقيل وان يدعوهم الى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مواخذة اهل مكة عاجلاً من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلاً منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتداء والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصباً باضمار اهلكناهم على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعداً وضربنا لاهلاكهم وقتاً معلوماً لا يستأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم فان قلت

ولن يدعوهم الى الهدى ولم يهتدوا اذاً ابداً وربك الغفور ذو الرحمة لو يواخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً واذ قال موسى لفتيه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقباً فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً فلما جاوزا قال لفتيه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً قال ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان

ولا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معاً يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح سيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر عليهما السلام لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقباً او اسير زماناً طويلاً والحقب ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيباً فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر عليه السلام في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عليه السلام وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتاً في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر عليه السلام ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سرباً امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى عليه السلام او للخضر فلما جاوزا فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما رأى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى سيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حيوة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد

مطلب الخضر

وحين طلب موسى الحوت قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان
وانضم الى ذلك انه ضرى بشاهدة امثاله عند موسى عم من العجايب واستانس باخواته فاعان الالف على قلة
الاهتمام ارايت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التيام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت
الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى عم الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية
فدهش وطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك
وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان
وفي قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه
السرب او قال عجبا في اخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى عم وليس
بذاك ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر قرئ نبغ
بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف
فارتدا فرجعا في ادراجهما قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا
هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وبسكون
اي علما ذا رشد ارشد به في ديني فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم من اخر في عهده انه كما قيل موسى بن
ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين قلت
لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذ عمن دونه وعن سعيد بن جبير انه
قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال
كذب عدو الله نفي استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا
هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك و
يأخذ في الانكار وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او لانه لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا اعصي في
محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او في لا محل عطفا على ستجدني رجاه موسى عم
لحرصه على العلم وازدياده ان تستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عن حقيقة الامر فوعده الصبر
معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد
شي لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه
بري من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم
قرئ فلا تسالني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه
صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون
انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة
فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا
الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل
موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق

واهلها

قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع
عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان

واهلها مرفوع جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء امرا امرا نسيت بالذي
نسيته او بشي نسيته او قد نسيت لا عهد شيئا نكرا بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مواخذة على الناسي او اخرج
الكلام في معرض النهي عن المواخذة بالنسيان يوهم انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي
يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم عم هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما
تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي لا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني
ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فقتله قيل كان
قتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحايط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل
حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل
قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق
السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب
اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل
نفسا فتقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عم عن قتل الولدان
فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علم عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل
من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك
كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب
على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني
فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصاحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني
اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعذرت وقرئ لدني بالتخفيف ولدني بسكون الدال
وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا
وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب اهل قرية هي انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله
من السماء ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف
السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازور واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض
استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في بهمة قلقت به
هاماتها قلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال
حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفا وطلب
ان يطفا واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة
والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال اذا قالت الانساع للبطن الحق تقول
سن للنواة طنى لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكا الي جملي طول السرى وتمرد مارد وعز الابلق وبعضهم يا بي على اجفانه اغفاءة هم اذا انقاد الهموم تمرد

ابعد من الحجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا شرع سقوط من انقضاض الطاير وهو انفعل مطاوع قضضته
وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت
طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالقتاد غير المنجه فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام
واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال
حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدوا مواسيا فلما اقام
الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو اتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا
حتى تنتعش به وتستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه
كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شي فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول
ميعاده على ما قال موسى عم ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما
تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السوال الثالث اي هذا الاعتراض
سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرا به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى
المفعول به لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن
ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى
فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه قلت
النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة
قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله رضي الله عنهما كل سفينة صالحة وقرا الجحدري فكان ابواه مؤمنان
على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخشينا ان يغشى الوالدين المومنين طغيانا
عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في
بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتد بسببه ويطغيا ويكفرا بعد
الايمان وانما خشي الخضر عم منه ذلك لان الله عز وجل اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله
كاخترامه لمفسدة عرفها في حيوته وفي قراءة ابي رض فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة
الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك وقرئ يبدلهما
بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي انه ولدت لهما جارية تزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مومنا مثلهما
وقيل اسماء الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من
ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف
يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز
لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
الاية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين

الاب الذي

قل سالوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شي سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما
قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من امن وعمل صالحا
فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم يجعل لهم سترا

الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وعن الحسين بن علي رضي الله عنه انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين
قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبانا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر
منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته عن امري اي ما رايت عن امري عن اجتهادي ورايي انما فعلته
بامر الله ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مومنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود
وبختنصر واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور
والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه
سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء
الملائكة وعن علي رض سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه
وساله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن
في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله
قيل كانوا يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي عم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني
جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب
لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل
كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما سمي الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه
وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان وقيل ساله
ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من كل شي اي من اسباب كل شي اراده من اغراضه و
مقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ
السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع قرئ حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيه الحماة وحامية بمعنى حارة وعن ابي
ذر رض كنت رديف رسول الله عم على جمل فرأى الشمس حين غابت اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله
ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود رض وطلحة وابي عمرو والحسن وقرا
ابن عباس رض عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرا فقال
كما يقرا امير المومنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية
وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس رض وكان ثم رجل فانشد قول تبع فراى مغيب الشمس عند مآبها في عين
ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي طين وحماء اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان يكون
العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار
الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو
المعذب في الدارين واما من آمن وعمل صالحا بما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى
او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان
يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا يامره بالصعب الشاق

ولكن بالسهل المتيسر من الركوب والخراج وغير ذلك وتقديره فاتبع كقوله ميسوراً وقرئ يسراً بضمتين و
قرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجر الرامسات ذيولها يريد كان
آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا
ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك
وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم
فقالوا له جئتنا ننظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم
يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سرباً لهم فلما ارتفع النهار
خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد
من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي
وصفناه تعظيماً لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبراً يكثر لذلك وقيل لم نجعل لهم
من دونها ستراً مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب
من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني
انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم بين السدين بين الجبلين
هما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل
العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر
حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما
ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماً وظرفاً وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي
المشرق من دونهما قوماً هم الترك لا يكادون يفقهون قولاً لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة
ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة
مجهولة يأجوج ومأجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئتا مهموزين وقراءة آجوج وماجوج
من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا يأكلون
الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئاً اخضر الا اكلوه ولا يابساً الا احتملوه وكانوا
يلقون منهم قتلاً واذى شديداً وعن رسول الله صلعم في صفتهم لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم
قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا القصر فهل نجعل لك خرجاً جعلاً
نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال قرئ سداً وسداً بالفتح ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكيناً
من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان عم فما آتاني الله خير
مما آتاكم وقرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات
ردماً حاجزاً حصيناً موثقاً والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر الاساس
حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم

حتى سد ما بين

حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي
فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى
سووي وعن رسول الله صلعم ان رجلاً اخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال
قد رأيته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين وسكون
والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطراً منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطراً افرغ
عليه قطراً فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ائتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان
التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صاداً واما من قرأ بادغام التاء في الطاء فملاق
ملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه اي يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه
ولا نقب لصلابته وثخانته هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار
الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا يوم القيامة وشارف ان يأتي جعل السد دكاً
اي مدكوكاً مبسوطاً مستوياً بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام و
قرئ دكاء بالمد اي ارضاً مستوية وكان وعد ربي حقاً آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم بعض الخلق
يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج
وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون
يأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة
وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفاً في اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم
فرأوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتأمل معانيه و
يتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعاً يعني وكانوا صماً عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع
السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادي من دوني اولياء هم الملائكة
يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم قراءة ابن مسعود افظن الذين كفروا
وقراءة علي رض افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوا اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل
والفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا
ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم
ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رض كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي رض
ان ابن الكواء سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري يأتي ناس باعمال يوم القيمة هي
عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئاً فلا نقيم لهم يوم القيمة وزناً فنزدري بهم ولا
يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا نقيم لهم ميزاناً لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات
من الموحدين وقرئ فلا يقيم لهم بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا في اي محل هو قلت
الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصباً على الذم

629

ادخرنا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم الحول التحول يقال حال من مكانه حولاً كقوله عادني حبها عوداً
يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان
في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيدا للخلود المداد اسم ما
تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم
الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد البحر قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل
البحر قبل ان تنفد مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد
مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رض بمثله مدادا وقرا الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما
يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر
كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد
فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله
وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله
اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ع م ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران
اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا
وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله م من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدميه
ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه ع م من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم
كان له في مضجعه نورا يتلالا الى الكعبة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه
بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

والله اعلم تم الكتاب بعون الملك الوهاب
تم هذا التفاسير الكشاف في يوم
يكشنبه في شهر ربيع الاول اوايل سنة اثنى
وخمسين والف تم

قد فرغ من هذه النسخة الشريفة في اواخر شهر ربيع الاول لسنة اثنى وخمسين والف [illegible] يحيى بن يونس غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات بلطفه وكرمه